511

HARLEQUIN

موعد مع الحب

www.liilas.com

جيسيكا ستيل

عندما وصلت إلى تشيكوسلوفاكيا، علمت حالاً أنني سأحبها. وقد قسمت وقتي هناك بين براغ وغرب البلاد.

في براغ أشياء كثيرة رائعة، المنازل الفخمة والأبنية الأثرية أذكر منها اثنين هما جسر تشارلز والساعة الفلكية الخلابة.

لكن، بالنسبة إليّ، كانت مدينة ماريانسكيه لازنيه، في غرب بوهيميا، مكاناً لا مثيل له، فهنا شعور بمراحل الزمن التي هي في الوقت نفسه مزيجاً بجلال الهندسة الأوروبية.

منذ أن أمضيت ليلة في براغ وأنا في طريقي إلى مكان آخر، تمنيت أن اتمكن يوماً ما، من زيارة أخرى إلى ماريانسكيه لازنيه ولو ليوم واحد.

٥١١

قلوب عبير

khouloub Abir 511

موعد مع الحب

جيسيكا ستيل

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.liilas.com

هدهودة

«كلا!» صرخت فجاة بذعر، ثم تراجعت خطوة مبتعدة عنه

حالاً، كما لو كانت جمرة، سقطت يداه بعيدتين عنها وهو يقول مطمئناً: «لا بأس، فأنا لن أؤذيك. وبالرغم مما حدث، يا فابيا، فأنا لم أحضرك إلى براغ لكي أغويك.»

www.liilas.com

الفصل الأول

تحركت فابيا مستيقظة في غرفتها في الفندق صباح الاثنين وعندما عاودتها الذكريات، عادت فأغمضت عينيها الخضراوين الجميلتين فجأة وهي تتمنى لو أنها مازالت في انكلترا.

بعد حوالي ثانية، هزت رأسها بعنف تنفي بذلك، هذه الخواطر من ذهنها، لتعود فتفتح عينيها محاولة التفكير في النواحي المشرقة. ولكن الشيء الوحيد المزعج، كما ادركت حين اوشكت الكآبة أن تعود إليها، هو أنه، عدا عن وجودها في مدينة الحمامات المعدنية الساحرة ماريانسكيه لازنيه، وهي المدينة التي كانت دوماً تتمنى زيارتها، عدا عن ذلك، لم يكن ثمة ناحية مضيئة في وجودها هنا.

فكرت في أنها لا بد كانت معتوهة تماماً حين سمحت لشقيقتها كارا بأن تقنعها بالقيام بهذه الرحلة وحدها. ذلك أن كارا كانت أحرى بأن تنجح في هذه المهمة لولا الظروف التي طرأت في آخر لحظة.

صحيح أن كارا كانت أكثر حنكة منها في الشؤون العملية، ولكن هذا متوقع، إذ كانت في الثامنة والعشرين من عمرها أي أنها تكبرها بست سنوات. وربما ما كانت كارا قادرة على البقاء في حقل الصحافة لو لم تكن شديدة الحذق تعرف كيف تشق طريقها إلى ما تريد. وسواء كان هذا صحيحاً أم لا، فإن فابيا كانت تسارع إلى الدفاع عن أختها

www.liilas.com

ولو بينها وبين نفسها. وكان لكارا نصير قوي هو بارنابي ستيوارت. كان بارني رجلاً متفوقاً لامعاً في وظيفته العلمية، ولكنه من ناحية أخرى، كان شارد الذهن نوعاً ما، ومهملاً بوجه عام. وكانت هناك أوقات، كما تعرف فابيا جيداً، كان بارني يدفع أخته ذات الكفاءة والعقل المنظم، إلى الحيرة والذهول. ولكن، مع هذا، فقد وقعت شقيقتها في غرامه، ثم تزوجها منذ عام واحد.

مدت فابيا يدها إلى الطاولة بجانب السرير تتناول ساعة يدها. كان الوقت مازال مبكراً. ولم تكن مستعجلة لتبدأ يومها الذي قد ينتهي بنفس الخيبة الذي انتهى به نهار أمس وأمس الأول واليوم الذي قبله. وجلست متكئة إلى حاجز السرير.

أخذت تفكر، متأملة، في أن الأمور لم تسر كما كان مقرراً لها، وتمنت لو كانت كارا حاضرة. كان يجب عليها أن تكون موجودة، إذ، في الحقيقة أن كارا وليست هي، المفروض انها ستقوم بهذه الرحلة إلى تشيكوسلوفاكيا.

ودون شعور، عادت فابيا بخيالها إلى منزلها في غلوستر شاير حيث تعيش مع والديها في قرية هوك لايسي. كان والداها يملكان مأوى يضم تسهيلات لإيواء الكلاب التي يذهب اصحابها لقضاء إجازاتهم. وكانت فابيا مولعة بالكلاب والهررة ايضاً، لهذا السبب هناك اقتراح بأن تتعلم البيطرة.

كانت تتابع دراستها في الجامعة، عندما صعدت إلى غرفتها ذات ليلة ليتبعها والدها بعد لحظة، بعد أن راودته نفس شكوكها التي راودتها مؤخراً حول هذا الأمر، وهو

يقول: «إنني أعلم أن أمر العناية بالحيوانات، هذا، يحتاج إلى شخص يتولاه، ولكنني غير متأكد من أن عملاً مرهقاً مثل هذا، يناسبك، يا حبيبتي.»

قالت له عندها: «ولكن، إذا أنا لم أدرس الطب البيطري، هل يجعلك هذا تشعر أنني قصرت في حقك؟»

أجابها: «لا تكوني حمقاء، فإن هذا الأمر يعود إليك.» عندما انهت دراستها الجامعية، وجدت أنسب عمل لها هو أن تقدم المساعدة في إطعام تلك الكلاب والعناية بها وإفراغ المزيد من الحب والرعاية لبقية الحيوانات تلك.

كانت شقيقتها مولعة بالحيوانات هي أيضاً، ولكنها لم تجد الوقت الذي تقضيه معهم، أبداً، إذ أنها تركت منزل أسرتها مباشرة بعدما تعدت سن الثامنة عشرة، وبعد أن تزوجت بارني كما كانت تدعوه في لندن، وكانت تأتي لزيارة أسرتها كلما سنحت لها الفرصة هي وزوجها، أو بمفردها أحياناً إذا لم تسنح الفرصة لزوجها.

ذات يوم، وكان هذا منذ شهرين، كانت كارا في المنطقة التي يعيش فيها أهلها، في مهمة صحفية، مرت لرؤيتهم. وراود فابيا شعور ما أنّ ثمة شيئاً غير عادي تريد كارا أن تخبرهم به. ولم تكن فابيا وحدها في هذا الشعور إذ أن والدهما، وهو رجل قوي الملاحظة قال: «هل ستخبرينا عن الأمر، أم أنه سر؟»

قالت كارا: «احزروا ما هو.»

قالت الأم التي كانت متشوقة إلى أن تصبح جدة: «ربما أنت حامل.»

هتفت كارا ساخطة: «أمي. هل تريدينني ان أضيف عبئاً

www.liilas.com

آخر إلى العبء الحالي الذي يثقل كاهلي بعملي المرهق هذا، وكذلك العناية ببارني؟»

كانت كارا لا تريد أن تترك عملها لتؤسس أسرة، وهذا الموضوع كان يؤلم أمها على الدوام. ولكن، لأنهم لم يروا كارا منذ عيد الميلاد الماضي، وقد لا يرونها بعد الآن لعدة أسابيع أخرى، لم تحاول الأم مناقشتها في الأمر، بل قالت بلطف: «ولكنك طلبت منا أن نحزر...»

تألقت عينا كارا وهي تقول: «إحزروا ما هي المقابلة التي ستعتبر مقابلة السنة في المجلة؟»

كانت كارا قد استقرت أخيراً في العمل في مجلة (الحقيقة)

قالت فابيا وهي تظن أن كارا تعني المقابلة التي قامت بها مؤخراً في المنطقة: «إنها تلك المقابلة الرائعة التي جئت تحدثيننا عنها.»

قالت كارا: «أوه، كلا، فهذه المقابلة تافهة بالنسبة إلى التي سأحدثكم عنها.»

سألها والدها: «أتعنين أنك لم تقومي بالمقابلة بعد؟»

أومأت كارا برأسها وهي تخبرهم بفخر. مشيرة إلى أنها عرفت هذا الصباح قبل التوجه إلى تشالتنهام، وبينما كانت تتفقد بريدها الخاص في المكتب، أنها حصلت على مقابلة صحفية مع فنتلين غاجدوسك.

سألتها فابيا: «أتعنين الكاتب التشيكوسلوفاكي؟» مع أنها لم تقرأ أي كتاب له، فقد كانت تعلم جيداً أي مركز مرموق يتمتع به ذلك الكاتب في عالم الأدب.

أجابت كارا باختصار: «هو نفسه.» وعادت تقول: «انني لا أكاد أصدق ذلك. وانني ما زلت أقرص نفسي للتأكد من انني لا أحلم.»

قال والدها: «ولكنني أظن أنه يرفض إجراء أية مقابلات صحفية.»

أجابت كارا: «هذا صحيح، ولهذا امضيت اسابيع طويلة في إقناع سكرتيرته حتى امكنني النجاح في ذلك. ما زلت غير مصدقة، حتى الآن، رغم تسلمي رسالة منه تؤكد ذلك.»

بعد أن مضت بضع دقائق هنأوا فيها كارا لما اعتبروه انجازاً كبيراً، سألتها والدتها: «هل عليك أن تذهبي إلى الفندق الذي ينزل فيه، لإجراء هذه المقابلة؟»

قالت كارا مستغربة: «الفندق؟» ولكنها ما لبثت أن استطردت بعد أن أدركت ما تظنه والدتها: «آه، كلا. عليّ أن أسافر إليه في بلده في تشيكوسلوفاكيا.»

هتفت والدتها: «تشيكوسلوفاكيا؟»

قالت كارا ضاحكة: «إنها في شرق أوروبا، يا أمي، وليست في المريخ.»

سألتها والدتها: «ألا يمانع زوجك في سفرك؟»

أجابت كارا: «إن سرور بارني يعادل سروري. لقد اتصلت به اخبره بالأمر حالما استلمت الرسالة. كلا يا أمي، إنه لا يعارض في أي شيء يسعدني في عملي.» وابتسمت لتخفي ضيقها من رأي والدتها في وجوب التصاقها بمنزلها، بعد الزواج، اكثر من قبل. واستطردت تقول: «على كل حال، فإن موعد تلك المقابلة لن يكون قبل الأسبوع الأول من نيسان ـ ابريل.»

سألتها فابيا: «ولكنني أظن أن زوجك سيسافر إلى أميركا في آخر شهر آذار ـ مارس.»

www.lilas.com

ابتسمت كارا قائلة: «في الحقيقة، كنت أتساءل كيف سأمضي أربعة اسابيع من دونه إذ انني قد اعتدت على وجوده معي، ولكنني الآن قد صممت على أن ألحق به إلى اميركا لقضاء الأسبوعين الأخيرين. أما الاسبوعان الأولان...» ونظرت إلى شقيقتها متسائلة: «لماذا لا تأتين معي إلى تشيكوسلوفاكيا؟»

هتفت فابيا بلهفة: «هل تعنين ذلك حقاً؟»

أجابت شقيقتها: «طبعاً. إنك ستكونين مرافقة رائعة لي كما أنني واثقة من أنك ستسرين جداً بهذه الرحلة.»

قال الوالد مخاطباً كارا: «لعلك تذكرين، حين كان الأبناء المراهقون يزعجون آباءهم بموسيقى البوب، كانت فابيا تصدع رؤوسنا بالموسيقى التشيكية ليلاً نهاراً.»

ضحكت فابيا قائلة: «هذه مبالغة. ولكنها لم تكن تحبها للموسيقى التشيكية.

سألتها كارا: «حسناً، ما قولك؟» واستدارت فابيا إلى والديها متسائلة، وهي تقول: «هل يمكنكما الاستغناء عني؟»

أجابت الوالدة في الحال: «إنك طبعاً، تستحقين إجازة.»

قال الوالد: «يمكننا الاستغناء عنك مدة اسبوع.» ونظر إلى كارا متسائلاً: «أم أسبوعين؟»

قالت كارا: «إن السيد غاجدوسك يعيش في قسم من تشيكوسلوفاكيا يدعى غرب بوهيميا. وكنت اعتزم السفر بالطائرة لأصل بسرعة لأبحث عن المنطقة التي يسكن فيها وتدعى ماريانسكيه لازنيه، ثم أعود مباشرة إلى انكلترا. ولكن، إذا جاءت فابيا معي، ففي إمكاننا أن نسافر بالسيارة، ثم نعبر البحر إلى بلجيكا ونتوجه منها إلى المانيا. وعندما

انتهي من المقابلة، يمكننا أن نقوم بإجازة نطوف في أثنائها في تلك الأنحاء وقد نذهب إلى العاصمة براغ.»

هتفت فابيا بحماس بالغ: «أحقاً؟» وعلى هذا، استقر الأمر.

اثناء الشهرين التاليين، حزمت فابيا أمتعتها، ثم حلتها، ثم حزمتها من جديد. واشترت قاموساً يعلم جملاً للمخاطبة باللغة التشيكوسلوفاكية. وعندما قال الوالد ان سيارتها التي تلقتها هدية من والديها في عيد ميلادها الثامن عشر، هي اقوى، بالنسبة لهذا السفر البعيد، من سيارة شقيقتها كارا، إستقر الأمر على السفر بسيارتها الفولز فاغن.

خلال هذه المدة، كانت كارا وفابيا على اتصال هاتفي دائم ولكن، بينما كانت الاثارة تجتاح نفس فابيا متصاعدة يوماً بعد يوم كلما اقترب موعد السفر، وذلك لاقتراب زيارتها لبلاد الموسيقيين الذين تعشق الحانهم، كانت الإثارة في نفس شقيقتها تتصاعد هي أيضاً، وإنما لاقتراب موعد تلك المقابلة مع ذلك الكاتب الشهير فتدلين غاجدوسك. وبدا عليها وكأنها لا تصدق حظها الرائع ذاك في أنها هي الوحيدة التي اختار أن يجري معها المقابلة من بين كل اولئك الصحفيين. وفي الحقيقة، كانت هذه هي قمة الشهرة في مهنتها.

عندما لم يبق على ابتداء الرحلة سوى أسبوع واحد. وبعدما انتهت من قراءة كتاب مترجم من تأليف فتدلين غاجدوسك هذا، شعرت فابيا نحو الكاتب بنفس الرهبة التي تشعر بها شقيقتها نحوه. ومع أنها كانت تفضل النهايات الجميلة لما تقرأ، فإنها لم تستطع أن تتمالك إعجابها

www.liilas.com

بالنهاية العنيفة التي أنهى بها ذلك الكاتب الكبير كتابه القصصي ذاك.

لقد كان من حسن حظها أن تقابل الرجل الذي يكتب بهذا الشكل الرائع. ولكنها فكرت، متأملة، وهي تغلق حقيبتها لآخر مرة في ذلك النهار الذي كان صبيحة الثلاثاء، في أنها، لولا شقيقتها كارا، ما كان لها قط أن تحلم بمقابلة ذلك الكاتب الشهير.

أخذت، مرة أخرى، تفكر في مخطط رحلتهما تلك. لقد سافر بارني زوج شقيقتها، إلى اميركا الخميس الماضي، وهذا النهار ستذهب هي بسيارتها إلى لندن حيث تقيم شقيقتها. وهناك كانت كارا قد خططت لكل شيء بمنتهى الدقة. فهي ستشرع مع شقيقتها في الرحلة إلى دوفر لتستقلا منها عبارة المانش إلى أوستند صباح الاربعاء، ثم تجتازان، عند وصولهما، بلجيكا بالسيارة إلى المانيا ومنها إلى الحدود التشيكوسلوفاكية. وكما تقول كارا التي سبق وحجزت غرفة في فندق في ماريانسكيه لازنيه، سيكون وصولهما إلى حيث تقصدان، عند العصر.

ذهبت كارا قبل الساعة الحادية عشرة إلى المجلة لتثبيت موعدها مع غاجدوسك صباح الجمعة، ثم، وبعد ذلك، بدأت العطلة.

كانت هذه الرحلة تملأ ذهن فابيا عندما وقفت إلى جانب سيارتها لتحيي والديها تحية الوداع.

قالت الوالدة توصيها: «والآن، انتبهي إلى أن...»

قاطعتها الابنة: «لا تقلقي يا أماه، إنك تعرفين كارا وكفاءتها، ففي وجودها لا مجال للخطأ أبداً.»

لكن، بعد ساعات قليلة فقط، أخذت فابيا تتمنى لو انها وقفت على الخشب قبل أن تقول ذلك لأن ثمة شيئاً حدث لم يكن بالحسبان. كان شيئاً فظيعاً. وكان ذلك قبل أن يتركا انكلترا!

ارتسمت على شفتيها ابتسامة سعيدة واثقة وهي تسوي شعرها الذهبي الطويل خلف اذنيها وقد وقفت امام باب شقة شقيقتها تنتظر أن تلبي رنين الجرس.

لكن، سرعان ما تلاشت ابتسامتها الحلوة تلك، عندما فتح الباب لتدرك هي من النظرة الأولى إلى وجه كارا، أن شقيقتها العزيزة كانت تبكي. واندفعت معها إلى داخل الشقة وهي تهتف: «كارا حبيبتي... ماذا حدث؟»

انفجرت كارا قائلة بتعاسة: «لا يمكنني السفر، يا فابيا.»

امتزت فابيا. وسألتها: «لماذا؟ ماذا جرى؟ وكانت تريد أن تعرف ما الذي يمكن أن تساعدها به مهما كان سبب ذلك.

أجابت كارا: «إنه بارني. إنه مريض يا فابيا.» كان من الواضح انها امضت وقتاً عصيباً ذرفت اثناءه كثيراً من الدموع.

تأوهت فابيا بالم وهي تقول: «أوه، كلا... يا حبيبتي...» ووضعت ذراعها حولها وجلست معها على الأريكة. وسألتها وهي تدعو من اعماقها ألا يكون الأمر خطيراً: «ما الذي حدث له؟»

أجابت كارا: «إنهم لا يعرفون ماذا يعاني بعد. لقد تلقيت النبأ منذ حوالي ثلاثة ارباع الساعة. إنه شبه فاقد الوعي، ومستغرق في الهذيان، يقولون إنه التقط فيروس سبب له هذا. والأطباء يجاهدون كالمجانين لكي يكشفوا حقيقة مرضه.»

www.liilas.com

قالت لها: «وأنت، بطبيعة الحال، ستذهبين إليه.»

أجابت: «لقد اتصلت بالمطار وحجزت مقعداً في اول طائرة. هل يمكنك أن تأخذيني إلى المطار؟ أشعر أنني عاجزة عن إمساك عجلة القيادة.»

أجابت فابيا دون تردد: «طبعاً سآخذك.» وكانت على وشك أن تقول انها ستذهب معها في نفس الطائرة، عندما منعها من ذلك تغير ملامح كارا. وكانت تعرف شقيقتها جيداً، لهذا، لم تعجب حين رأت كارا، رغم مرض بارني الشديد، تجاهد للتغلب على هذه الصدمة التي تلقتها منذ اقل من ساعة.

كذلك، حين برزت كفاءة كارا وهي تقول: «أظن أن في إمكانك أن تتابعي طريقك إلى دوفر بعد أن توصليني إلى المطار.» ثم تابعت كلامها قبل أن تعلن فابيا أنها لا يمكن أن تحلم بالسفر بدونها إلى تشيكوسلوفاكيا: «إن العبور لا يستغرق اكثر من أربع ساعات يمكنك اثناءها ان تأخذي اغفاءة قصيرة ترتاحين فيها قبل...» وسكتت كارا، وبدا عليها أنها تجاهد بكل قدرتها لتبقي ذهنها بعيداً عن حالة زوجها الحبيب، ثم عادت تتابع حديثها: «ان من الحماقة البالغة أن أخسر هذه المقابلة مع ذلك الكاتب الشهير فندلين غاجدوسك. إن هذه المقابلة لا تحدث إلا مرة في الحياة.»

كانت فابيا قد نسيت، هذه اللحظة، كل شيء عن موعد يوم الجمعة بالنسبة إلى كارا. ولكنها قالت لها بعطف صادق: «كم أنا آسفة لأجلك.» كانت تعلم جيداً كم كان يعني هذا الموعد لأختها. ولم تكن تملك نحوها سوى

الحب الخالص وهي تراها أمام الخيار الصعب الذي كان، إما الالتحاق بزوجها الحبيب، وإما الذهاب إلى ذلك الموعد البالغ الأهمية بالنسبة لمهنتها. ولم تتردد كارا في اختيار السفر إلى حيث حبها وواجبها يدعوانها. ولكن عندما طفحت عينا فابيا بالدموع، خشيت أن تمنعها عواطفها من النظر في الكيفية التي يمكنها بها مساعدة شقيقتها. وهكذا قالت لها، وهي تحاول ما أمكنها الأمر، تمالك عواطفها: «ربما يمكن لشخص آخر أن يقوم بهذه المقابلة لأجلك.»

استدارت كارا إليها وعلى فمها ابتسامة شجاعة وهي تقول: «يمكن ذلك، في الواقع.» وشجعت فابيا هذه الابتسامة، لتبتسم بدورها... ولكن ابتسامتها هذه لم تدم اكثر من لحظة قالت كارا بعدها: «إنه أنت.»

هتفت فابيا: «أنا؟» وسرعان ما أدركت أن شقيقتها لم تكن تمزح.

تابعت كارا وهي تتجاهل نظرات شقيقتها، غير المصدقة، لتقول: «من الواضح أنك أنسب من يقوم بهذا العمل لأجلي. لقد فكرت في ذلك تماماً في ذلك الوقت الذي تلقيت فيه الخبر عن زوجي والذي كان أطول ثلاثة ارباع ساعة مرت علي في حياتي، وذلك بين تلقي الخبر وحضورك. وكانت النتيجة أنه أنت فقط من يصلح لذلك. وقد جهزت قائمة بالاسئلة التي يجب ان تسأليها له و...»

هتفت فابيا باحتجاج: «كارا.» كانت تحاول منعها، ما أمكنها من المتابعة: «لا يمكنني القيام بذلك.» وعندما تحولت نظرة شقيقتها إلى العداء، تابعت تقول: «يمكنك،

www.liilas.com

طبعاً أن تكتبي إلى السيد غاجدوسك أو الاتصال به هاتفياً، وقد استطيع انا القيام بذلك بالنيابة عنك.»

لم تكن تريد ان تسيء إلى علاقتها بشقيقتها خصوصاً في وقت كهذا، وتابعت: «إن السيد غاجدوسك سيتفهم الأمر. انني متأكدة من موافقته على تأجيل الموعد إذاً...»

قاطعتها كارا غاضبة: «طبعاً لا. لقد عانيت الكثير في سبيل أن احظى بقبوله لرؤيتي، وأنا لا يمكن ان اقول له، بعد الموعد الوحيد الذي وافق عليه، انه لا يمكنني الحضور، فاخسر كل شيء. هذا إلى جانب، أن سكرتيرته ميلادا بانكراكوفا اوضحت في رسالتها إليّ التي تحدد لي الموعد، أن هذا هو آخر اتصال يريدونه بهذا الموضوع، وأن مخدومها ليس عنده وقت أو رغبة في تكرار الحديث عنه، وأن عليّ فقط أن احضر في الموعد المحدد.»

وسكتت وهي ترمق فابيا بنظرة قاسية دون أن تبتسم، واستطردت: «وفي مثل هذه الحالة، فلن أكون أنا من يقابل، بل أنت.»

أخذت فابيا تقول بيأس: «ولكن، يا كارا...» وتذكرت عناد كارا الغريب وإصرارها على الفكرة التي تطرأ على ذهنها، وتابعت: «ألا يمكنك أن تكلّفي احداً من زملائك لينوب عنك؟ إنهم جميعاً اختصاصيون...»

قالت كارا: «لا بد أن عقلك ليس معك. لقد سبق واوضحت لك أنني مرغت نفسي في التراب لكي احصل على هذا الموعد. فإذا تصورت انني سأسمح بأن اخسر هذه الفرصة التي سعيت إليها للارتقاء مهنياً، ليأتي شخص آخر من المجلة ويضع اسمه تحت المقابلة، هكذا بكل بساطة...»

سألتها فابيا: «ألا يقبلون، بالنسبة لظروفك، بأن يضعوا اسمك أنت...»

انتهرتها كارا قائلة: «تباً لك ما زال أمامك الكثير لكي تتعلمي.»

لكن، فجأة، امتلأت عيناها بالدموع، ليمتلئ قلب فابيا بالحنان، وجاهدت لكبح دموعها بينما استطردت كارا بصوت كسير: «ألا يمكنك ان تقومي بذلك لأجلي؟ إنها ساعة واحدة من حياتك وهذا كل ما يستغرقه الأمر.»

بكت فابيا وهي تقول: «أوه، يا كارا.» حقاً، ماذا تعني ساعة واحدة من حياتها تبذلها لأجل شقيقتها الحبيبة؟ وشعرت بنفسها في غاية الدناءة إن هي رفضت ذلك.

عادت كارا تقول: «إنني لا أطلب منك أن تكتبي المقابلة بنفسك. إذ انني انا سأكتبها بعد أن تعطيني الأجوبة والملاحظات. كل ما أريده منك هو أن تحضري لي معك الملاحظات والأجوبة معاً. ألا يمكنك أن تفعلي ذلك لأجلي، يا حبيبتي؟»

كيف يمكن لفابيا أن ترفض؟ وأجابت: «طبعاً.» وفي طريقها إلى المطار، أخذت فابيا تستمع إلى إرشادات شقيقتها وتعليماتها. واعطتها هذه عنوان فنتلين غاجدوسك وهي تلح عليها بان تتذكر ما إذا كان ثمة شيء آخر تريد أن تسألها عنه.

في المطار كان لا يزال ثمة وقت يمضيانه معاً، فسألتها فابيا عما إذا كانت تريد أن تتصل بوالديها لتخبرهما عن حالة بارني، ولكن كارا قالت: «لا أظن ذلك. إذ لا بد أن يكونا الآن في الفراش. فإذا ساءت الأمور مع بارني...» وتهدج صوتها وهي تستطرد: «فإنني، عند ذاك، سأتصل بهما.»

www.liilas.com

ولكن، بالمناسبة، اعطني معي معروفاً ولا تتصلي بهما أنت ايضاً، إنك تعرفين مبلغ قلقهما الذي سيشعران به تجاهك، مما يجعلهما يحاولان ثنيك عن السفر إلى تشيكوسلوفاكيا.»

وجدت فابيا نفسها تقول بالرغم عنها: «ولكنني أكره أن أكذب عليهما.»

قالت كارا: «ليس عليك أن تكذبي. بما أنك ذاهبة في إجازة بالسيارة فلن يتوقعا منك لكثر من بطاقة بريدية أحياناً منا نحن الاثنتين، وبما انك قد ترسلين بطاقة، فلا بأس إن اضفت اسمي فيها، إلى اسمك. فهما لن يتوقعا بطاقة من كل منا. وبمناسبة ذكر البطاقات، من الأفضل أن تأخذي مني بعض بطاقات العمل التي تخصني.»

لم تعرف فابيا ماذا يسمى إضافة اسم كارا إلى اسمها على البطاقة، إذا لم يكن هذا كذباً. واخرجت كارا من حقيبتها عدداً من بطاقات التي اعتادت شقيقتها ان تذكر اسمها عليها قبل الزواج (كارا كينغسدال ـ مجلة الحقيقة) اقترحت كارا: «إحتفظي بهذه البطاقات لتبرزيها للسيد غاجدوسك إن طلب منك اثبات شخصيتك.» ثم هتفت وقد تذكرت شيئاً، ثم أخرجت رسالة مفتوحة عليها طابع تشيكي وناولتها إياها ايضاً إذ انها تتضمن وقت وتاريخ المقابلة التي سبق وتلقتها من السكرتيرة.

سألتها فابيا بكل براءة: «ألن ينزعج السيد غاجدوسك عندما يعلم أن من ستجري له المقابلة ليست صحفية مؤهلة؟» وسرعان ما أدركها الرعب ليس فقط للغضب الذي ظهر على ملامح شقيقتها، بل لما قالته شقيقتها لها وهي

تنفجر فيها بصبر نافد: «آه، هذا صحيح. إياك أن تقولي له إنك لست صحفية مؤهلة. بل عليك أن تتظاهري بأنك أنا. كارا كينغسدال.»

شهقت فابيا بذعر وهي تقول: «ولكنني لا استطيع القيام بذلك.»

قالت كارا بعنف: «ولكنه لا يعرفنا من قبل، كما أنه لن يرانا بعد ذلك.» وخفضت من صوتها إذ شاهدت شخصين يلتفتان ناحيتهما، وفجأة، تغيرت لهجتها تماماً وهي تستطرد قائلة: «هل يضايقك كثيراً أن تتظاهري لأجلي، بأنك أنا، لمدة ساعة واحدة؟ هل ستتخلين عني الآن؟»

سارت فابيا في طريقها نحو دوفر وهي تشعر بالتعاسة والكراهية لنفسها، إذ انها بدلاً من ان تقدم لأختها الحزينة كل معونة تستطيعها، اخذت على العكس، تعقد لها الأمور. وحاولت ان تشعر بالبهجة حين صعدت بسيارتها إلى العبارة، وهي تتذكر كيف انهارت مستسلمة بسرعة عندما سألتها كارا: «هل ستتخلين عني الآن؟» لقد اطمأنت الآن إلى أن كارا ستسافر مطمئنة إلى أن شقيقتها وعدتها بأنها لن تتخلى عنها أبداً.

كان عبور فابيا البحر إلى اوستند دون حدث يذكر. فقد كانت تأمل بأن الأمور ستكون على ما يرام بالنسبة إلى زوج شقيقتها، كان عندها كراهية فطرية للكذب والخداع، ولكنها وافقت على أن تقوم بهما معاً. فقد كان وضعها لاسم كارا بجانب اسمها على بطاقة ترسلها إلى والديها، هو كذب. ثم أليس من الخداع أن تذهب لإجراء مقابلة مع فندلين غاجدوسك في منزله مدعية بأنها كارا؟

www.liilas.com

اجتازت فابيا بسيارتها بلجيكا لتدخل إلى المانيا متمنية من اعماقها لو تغمض عينيها ثم تفتحهما لتجد أن اليوم هو السبت، وأن مقابلة يوم الجمعة، مع ذلك الرجل الكبير، قد انتهت.

في طريقها إلى المانيا خطر على بالها فجأة، أنها نسيت أن تسأل شقيقتها عن الوقت الذي ينبغي عليها أن تعود فيه إلى انكلترا.

لقد تضاءل بعض حماسها، الذي كان، لقرب رؤيتها لتشيكوسلوفاكيا، بسبب ما حدث. ولكنها استنتجت من اقتراح كارا بالنسبة لإرسالها بطاقات تحية إلى والديها، أن شقيقتها تتوقع منها أن تمضي اسبوعي الإجازة كاملين كما سبق وقررتا، هل هذا ما أرادته كارا، أن تفعل؟ واعترفت فابيا بأن فكرة القيام بتلك المقابلة، دون إيفائها حقها من العناية، ثم التوجه عائدة، كان لهذا اغراء كبير، ومن ناحية أخرى، كان ثمة شيء يشدها إلى الوراء يمنعها بقوله، تريثي.

أدركت، عندذاك، أنها كانت متعبة مشوشة الذهن، ألقت نظرة سريعة على ساعتها التي قدمت توقيتها ساعة لتناسب فرق الوقت، وكانت قد تعدت السادسة، وجدت انها تقود سيارتها بشكل متواصل منذ التاسعة صباحاً باستثناء توقفها للتزود بالوقود ولتناول فنجاناً من القهوة.

بعد ذلك بوقت قصير، توقفت امام فندق في مدينة بامبرغ، البالغ عمرها ألف عام. غداً ستتابع طريقها نحو الحدود التي تفصل بين المانيا وتشيكوسلوفاكيا، متوجهة نحو غايتها في ماريانسكيه لازنيه.

استيقظت فابيا في غرفتها في الفندق في بامبرغ وهي تفكر في أنه لو كانت كارا معها الآن، حيث أن غايتهما قد اصبحت قريبة، لكان في إمكانهما أن يخرجا معاً ليلقيا نظرة على ما حولهما. ولكانت أحبت أن تلقي نظرة على ساحة الكاتدرائية في المدينة حيث كانت تقوم قلعة بامبرغ يوماً، ولكن شقيقتها لم تكن معها. وبينما كانت تتضرع لكي يشفى بارني، كانت تشعر بالتوتر وبحاجتها إلى التنقل.

توقفت مرة واحدة لتتزود بالوقود، ثم تابعت سيرها إلى الحدود الالمانية ومنها ستة اميال لتتوقف بعد ذلك، في شيب على الحدود التشيكوسلوفاكية حيث استبدلت بعض العملة الانكليزية بالتشيكية، ثم تابعت سيرها وهي تتساءل عما إذا كان شعورها بالتوتر ذاك، سيستمر معها إلى وقت الغداء في الغد. إذ تكون، عندذاك، قد أتمت المقابلة واخذت اجوبة كل الأسئلة التي وضعتها كارا، وسيكون في استطاعتها، من ثم، أن تجلس لتتنفس بارتياح.

لكن الأمور، لسوء الحظ، لم تسر بهذا الشكل. لقد مر، في البداية، كل شيء على مايرام. فقد وصلت إلى فندقها في ماريانسكيه لازنيه بعد ظهر يوم الخميس. ومع استمرار شعورها بالتوتر، تركت الفندق، ثم سارت قليلاً في الشارع الرئيسي هلافني تريدا، ولكنها لم تستطع التخلص من قلقها وشعورها بالذنب، فعادت إلى فندقها وهي ترجو من كل قلبها، أن لا تعود الظروف وتضطرها إلى أن تمثل شقيقتها مرة أخرى.

لم تكن جائعة بشكل خاص، ولكنها نزلت إلى غرفة

www.liilas.com

الطعام في الفندق حوالي الثامنة ذلك المساء، لتعود بعد ذلك إلى غرفتها وتمضي ليلة غير مريحة.

في الصباح التالي، نظرت من نافذة غرفتها في الفندق في منطقة غابة سلافكوسكي، إلى حيث التلال المشجرة تحيط بماريانسكيه لازنيه، ولكنها لم تشعر بأية متعة في أي منظر. وبعد أن تناولت في غرفة الطعام شيئاً من القهوة واللبن، توجهت نحو مكتب الاستعلامات لتسأل عن الاتجاه إلى منزل السيد غاجدوسك. عادت إلى غرفتها، ثم ارتدت اجمل ملابسها، طقماً من الصوف بلون الحشائش، وأحسنت تسريح شعرها الذهبي ثم تركت الفندق في اتجاه ضاحية ماريانسكيه لازنيه.

كانت لا تزال متوترة لما تقوم به من خداع مدفوعة إلى ذلك بعاطفتي الولاء والحب لشقيقتها ما جعلها لا تكاد تلحظ البنايات الكبيرة على جانبي الطريق نحو الوادي حيث تنتهي المدينة ليبدأ طريق معبد خلال الغابات، حيث كان طريق ضيق إلى اليسار، وكان هو الطريق الذي كان عليها أن تسلكه حسب الإرشادات. وفي نهاية ذلك الطريق كان عليها أن تتوجه يميناً لتسير عدة مئات من الياردات لتنتهي إلى بيت رائع الجمال مؤلف من اربعة طوابق. وكان هذا هو المنزل الذي يسكنه الرجل الذي جاءت خصيصاً لكي تجري معه المقابلة.

نظرت إلى ساعتها بينما كان قلبها يخفق بعنف، ذلك أنها لم تكن معتادة على وضع كهذا، مما جعلها تشعر بالغثيان. وأدركت أنها وصلت مبكرة عن الموعد المقرر بربع ساعة. على كل حال، في محاولة منها للظهور بمظهر الهدوء

والبرود وتمالك الجأش، خرجت من سيارتها متباطئة ثم اتجهت نحو الباب الأمامي للمنزل.

تسمرت عند العتبة وقد تملكها ذعر جعلها تفكر بالهرب، ولكنها ما لبثت أن مدت يدها تضغط على زر الجرس. لقد فات أوان الهرب الآن، وبينما كانت فابيا تجاهد في سبيل تمالك اعصابها، أخذت تفكر في الأسئلة التي وضعتها لها كارا لتكتشف انها لا تستطيع ان تتذكر واحداً منها.

عندما تصاعدت خفقات قلبها، سمعت خطوات في الداخل تتجه نحو الباب، وشعرت فابيا بخيبة أمل إذ لم يكن من فتح الباب هو الرجل الذي جاءت لتجري معه المقابلة، بل امرأة متينة البنيان في حوالي الخمسين من عمرها.

ارتسمت ابتسامة على وجه فابيا وهي تتمتم بالتحية. وردت المرأة التحية بلغتها.

كانت ابتسامة فابيا إكراماً لشقيقتها فقط حيث ان قلبها كان لا يزال يخفق وهي ترى هذه السيدة التي قد تكون زوجته أو مديرة منزله أو أي شيء آخر... لا تعرف كلمة من اللغة الانكليزية.

ابتدأت تقول: «ان اسمي هو فا...»

ها أنها قد ابتدأت اول اغلاطها... بينما لم تكد تبدأ بعد. وابتسمت وهي تعود فتقول: «ان اسمي هو كارا كينغسدال.» وعندما لم تحظ بجواب من المرأة، عادت تقول: «انني جئت لمقابلة السيد غاجدوسك. ولحظت شيئاً من التجاوب في وجه المرأة عندما سمعت الاسم. فأخذت تعمل ذهنها في كيفية جعل المرأة هذه تفقه ما تقول، وفجأة، تذكرت بطاقات العمل التي سبق واعطتها إياها كارا، ففتحت

www.liilas.com

حقيبتها لتخرج واحدة منها تناولها إلى المرأة آملة أن تأخذها إلى سيد المنزل.

شعرت بالارتياح حين القت المرأة نظرة سريعة على البطاقة، ثم اختفت.

عندما سمعت فابيا صوت الخطوات تقترب، مرة أخرى، عادقلبها إلى الخفقان. ولكن عندما رأت امرأة اخرى، وليس رجلاً، يرافقها، عادت خفقات قلبها إلى انتظامها. كان من الواضح من منفضة الغبار التي كانت في يدها، ان هذه المرأة الثانية كانت خادمة قوطعت اثناء تأديتها لعملها.

حيتها هذه المرأة بانكليزية ثقيلة. ولكن، سواء كانت هذه المرأة تتكلم اللغة الانكليزية بشكل جيد أم لا، فإن فابيا شعرت بالارتياح لأن أحد من يمكنها التفاهم معه، وعاد إلى نفسها التوتر بعد أن علمت من هذه المرأة أن الرجل الذي ستجري معه المقابلة، لم يكن موجوداً.

سألتها فابيا ببطء: «اتعنين أنه غير موجود هذه اللحظة؟» ولما وجدت أن المرأة لم تفهم كلامها، عادت تكرر ما قالت ببطء أشد. إلى أن قالت الخادمة فجأة: «براغ.»

هتفت فابيا غير مصدقة: «أهو هناك؟» ورغم أن المرأة أومأت برأسها إيجاباً، بقيت لا تستطيع التصديق.

قالت فابيا معترضة: «ولكن لدي موعد معه.» ولاحظت أن المرأة لم تفهم كلمة موعد، ولكن هذا لم يكن مهماً على كل حال، وتساءلت عما إذا كان السيد غاجدوسك سيعود من براغ هذا النهار تبعاً للموعد الذي بينهما، وتأخر لسبب ما. وعادت تسأل المرأة: «هل تتوقعين عودة السيد غاجدوسك هذا النهار؟» وعندما لم تفهم هذه سؤالها، أشارت فابيا إلى

ساعتها وهي تقول بواسطة الاشارات: «متى سيكون السيد غاجدوسك هنا؟» راعها جواب المرأة: «بعد أسبوع واحد.»

بعد ذلك بعشر دقائق، استقلت فابيا سيارتها عائدة إلى فندقها مصعوقة لا تكاد تصدق ما حدث، لقد بذلت جهداً مع تلك المرأة الخادمة قدر استطاعتها ولكنها لم تأخذ منها سوى جملة واحدة هي (أسبوع واحد). وأخيراً، تذكرت أن شقيقتها كانت على اتصال بسكرتيرته ميلادا بانكراكوفا فسألت المرأة: «وسكرتيرة السيد غاجدوسك، ميلادا بانكراكوفا؟»

بان الفهم على وجه المرأة مما بعث الانتعاش في نفس فابيا، ولكن المرأة قالت: «لقد ذهبت.» وأدركت فابيا أن رحلة السيد غاجدوسك إلى براغ لا بد أن تكون للعمل مادام اصطحب سكرتيرته معه. والآن، ما الذي يجب عليها عمله؟

أدركت فابيا، وهي تتناول القهوة في بهو الفندق، ما يجب عليها عمله، وهو أن تعود إلى انكلترا دون تأخر. لقد حاولت أن تقوم بما ارادت كارا القيام به إلى منتهاه حيث قرعت جرس باب السيد غاجدوسك.

أخذت ترشف قهوتها ببطء. نعم. لقد قامت بكل ما تستطيع لأجل كارا، ولكن... شعرت بالضيق، إذ انتابتها فكرة... هل تراها قامت حقاً، بكل ما تستطيع؟ وهل هذا صحيح؟

وخزها ضميرها وهي تتساءل عما إذا كان مجرد قرع جرس باب السيد غاجدوسك كاف جداً. وضغط على نفسها التفكير في شقيقتها الحبيبة ومعاناتها، ودفعها ضميرها بالاشتراك مع حبها لشقيقتها، إلى التفكير بأنها لا بد أن تقوم بأكثر من ذلك.

من المفروض أنها الآن في إجازة من العمل، فما الداعي لها إلى الاسراع في العودة إلى وطنها؟ ومادامت هذه المقابلة ضرورية بالنسبة لشقيقتها، فما الذي يمنعها من البقاء اسبوعاً تنهي بعده المقابلة؟

كانت فابيا تعلم الآن أنها قد استقرت على هذه الفكرة رغم عدم رغبتها في العودة إلى ذلك المنزل الفخم الرائع الجمال بعد اسبوع، ذلك انها لا تضمن قبول السيد غاجدوسك إجراء المقابلة، بعد ذاك، ولكنه، حيث أن سكرتيرته كتبت لكارا رسالة بهذا المعنى، لا بد أن يراها حسب هذا الوعد.

لم تشأ فابيا أن تسيء الظن في تصرف السيد فندلين غاجدوسك الذي أخلف ذلك الموعد رغم علمه التام أن ثمة من سيأتي من انكلترا خصيصاً للاجتماع به. فقد فكرت في أن ذلك الموعد قد وضع منذ شهرين ومن الممكن جداً ان يكون، هو أو سكرتيرته، قد اتصل بإدارة المجلة يوم الاربعاء، قبل الموعد بيومين، ليترك خبراً بتغيير الموعد دون أن يخطر في باله أن الصحفية التي ستقوم بالمقابلة، إنما قد اختارت السفر براً، لتباشر بذلك قبل أيام من الموعد، وذلك بدلاً من القدوم بالطائرة قبل يوم واحد.

وإذ أدركت الآن أن استياءها من فندلين غاجدوسك كان قصير الأمد سرعان ما تلاشى، عادت إلى القلق بشأن كارا وبارني، والمقابلة التي كان يجب أن تكون الآن منتهية، بينما هي لم تبدأ بعد. وهذا يعني أنه ما زال أمامها اسبوع من المعاناة.

صممت فابيا، أخيراً، على عدم معاودة التفكير بهذا

الأمر، رغم صعوبة ذلك. ولكنها ستحاول جهدها على كل حال، وتحمل نفسها على الاستمتاع بهذه الأيام السبعة معتبرة إياها عطلة حقيقية دون أن تفكر في أي شيء آخر.

بوصولها إلى هذا القرار، تركت فابيا الفندق، ولكونها متعودة على ممارسة رياضة المشي، أخذت تكتشف الطرق الرئيسية والفرعية لضاحية ماريانسكيه لازنيه. وتوقفت عدة مرات تتناول شراباً منعشاً، لتعود بعد ذلك، إلى الفندق حوالى الساعة السادسة بعد أن وجدت تلك الضاحية في منتهى الجمال.

يوم السبت، أخذت تطوف مرة أخرى في الشوارع الواسعة النظيفة المشجرة ذات الحمامات المعدنية بأعمدتها المزخرفة. وكانت قد قرأت كيف أن هذه المدينة تشكل قسماً مما يسمى الآن بغرب بوهيميا. أما المدينتان الأخريان فكانتا مدينة كارلوفي فاري و فرانتيسكوفي لازنيه».

أخذت تتمشى بين أبنية تعود هندستها إلى القرن التاسع عشر ومؤلفة من أربعة طوابق الوانها إما بيضاء ملونة بالأصفر، وإما العكس، وذات اسطح حمراء أو خضراء. وعادت إلى فندقها، لقد بقي أمامها خمسة أيام كاملة عليها أن تمضيها قبل أن تجري المقابلة مع فندلين غاجدوسك، وأمضت في التأمل فترة، ليتملكها الحماس فجأة، وقد مضت في ذهنها فكرة. لم لا تزور المدينتين الأخريين؟ هذا إذا كانتا غير بعيدتين؟ وعندما وصلت إلى الفندق، توجهت رأساً إلى مكتب الاستعلامات تسأل الموظف عن ذلك.

أجاب الموظف وهو يلتهم ملامحها الجميلة بانظاره: «لي السرور بأن اجيبك على ذلك.»

استيقظت فابيا صباح الأحد، وهي تفكر في كارا وبارني وفي الرجل الذي لم تقابله بعد ومازالت تسعى لذلك رغم الشعور بالذنب الذي ينتابها.

بعد أن تناولت طعام الافطار، اتجهت نحو مدينة الحمامات المعدنية الأخرى. وبعد حوالى الخمسين دقيقة، كانت تسير في حدائق الحمامات تلك، بين المقاعد حيث كانت فرقة موسيقية تعزف. بقيت فابيا تطوف في تلك الأنحاء قرابة الساعة وهي تتذكر وصف الشاعر «غوته» لها بالفردوس على الأرض. وأخذت تتمنى لو كانت إجازتها أطول مما هي.

كانت في أسعد لحظاتها عندما عادت إلى سيارتها، التي سارت بها شوطاً قصيراً ثم عادت فتوقفت لكي تتأمل في الخارطة. وعندما أرادت السير مرة أخرى لم تتحرك السيارة.

انتظرت قليلاً غير مصدقة بأن السيارة لن تتحرك. وعندما فشلت في أن تجعلها تسير مرة اخرى، بشيء من المحاولات داخل السيارة أدركت أن ثمة خطأ ميكانيكياً في السيارة، ولم يأت بجدوى خروجها من السيارة لترفع الغطاء عن المحرك، ملقية نظرة رغم جهلها التام بالميكانيك. فقد كانت تدرك أنها لن تتمكن من معرفة الخطأ ولو كان مكشوفاً أمامها.

جلست في السيارة تفكر في ما يمكنها أن تفعل، حين حانت منها التفاتة إلى المرآة العاكسة للمنظر الخلفي لتجد خلفها سيارة مرسيدس تنتظر تحركها لأنها، هي، كانت تتوسط الشارع تماماً.

لم يكن أمام فابيا سوى أن تنزل من السيارة لتتوجه نحو

المرسيدس تلك مبدية عذرها، وعندما وضعت يدها على مقبض الباب أدركت أن ليس ثمة حاجة تدفعها إلى ذلك بعد أن لاحظت، من المرآة، رجلاً طويلاً ارستقراطي المظهر، يترجل من سيارة المرسيدس ثم يتوجه نحوها.

عندما اقترب، انزلت زجاج سيارتها، ولم يكن ثمة حاجة لأن تشعر بالحيرة بالنسبة للتفاهم معه، إذ أن ذلك الرجل البالغ الأناقة، انحنى بشعره الأسود، على نافذتها قائلاً بانكليزية سليمة: «هل ثمة مشكلة؟»

أجابت بسرعة: «إن... إن سيارتي لا تتحرك.» وابتدأ قلبها يخفق عندما اخذت عيناه الذكيتان الثاقبتان تتأملان شعرها الذهبي الطويل وعينيها الخضراوين وملامحها وبشرتها، وتابعت تقول: «لقد كانت على مايرام، ولكنها توقفت الآن تماماً.»

حاولت أن تتمالك جأشها وهي تدرك أن لوحة سيارتها البريطانية لا تتطلب منه ذكاء كبيراً لكي يدرك أنها انكليزية.

قال بلهجة رقيقة: «أظنك قمت بكل المحاولات؟» وسرها منه لهجته غير المتعالية.

اعترفت قائلة: «لقد رفعت غطاء المحرك، ولكن لم أفهم منه شيئاً.»

أجاب الرجل الذي كان يبدو في أواسط الثلاثينات من العمر: «وكذلك أنا لا أفهمه كثيراً.»

بينما كان قلب فابيا يخفق بعنف لسحر لهجته، اندفع هو يقول، مشيراً إلى مسافة تبعد قليلاً إلى اليمين: «حركي سيارتك إلى هناك بينما ادفعك أنا، ثم اقطر سيارتك بسيارتي واسحبها إلى المرآب.»

www.liilas.com

كانت ڤابيا لا تزال مصعوقة بفكرة أن سيارتها الفولز ڤاغن بولو ستقطرها المرسيدس، وعندما تحول الرجل الغريب إلى خلف سيارتها، كان عليها أن تتحرك هي بالسيارة.

كانت لا تزال غير مصدقة ما يحدث لها، عندما كانت سيارتها تدخل المرآب بأمان.

استدارت نحو الرجل الغريب تشكره قائلة: «أشكرك جداً لما تكلفته من عناء لأجلي في إحضاري إلى هنا.» كان هو قد انهى الحديث مع الميكانيكي الذي كان يكشف على سيارتها، وتابعت مع[illegible] أ[illegible]كون [illegible] الكثير من وقتك.» كانت تتحدث [illegible] قد يكون على موعد وتخشى أن يتأخر عنه.

لكن، سرها منه أن يقول: «إنني لست مستعجلاً. فأنا في إجازة.»

هل كان يعني بالإجازة، يوم الأحد؟ أم أنه يعني قضا[illegible] إجازة في المنطقة؟ ومع أن ڤابيا تمنت لو تلقي عليه هذ[illegible] السؤال، الا أنها كانت تدرك أن قصد معرفة الواحد منهما بالآخر لا تسمح لها بإلقاء هذا السؤال أو إلقاء أية ملاحظة.

قالت شاكرة: «حسناً، أشكرك على كل حال.» ابتسمت له وهي تلاحظ نظراته تتوقف على ثغرها، وما لبث الميكانيكي أن ترك سيارتها واتجه نحوهما.

بينما أخذ الرجلان يتحدثان بلغة لا تفهمها، وقفت هي جانباً راجية أن لا يكون العطل في سيارتها خطيراً، وعندما انتهى حديث الرجلين، نظرت متسائلة إلى منقذها الساحر الفارع القامة.

أجابها على الفور: «أخشى أن الأخبار ليست حسنة. ذلك أن سيارتك بحاجة إلى قطعة غيار.»

تمتمت: «يا للتعاسة.» وحاولت أن تبدو ذكية وأن قطعة الغيار لا تعني شيئاً لديها، ولكن يبدو أن السيارة لا تستطيع السير من دون ذلك. وقالت: «هل في إمكان الميكانيكي أن يضع القطعة بصورة مستعجلة؟» وبدت عليها اللهفة.

لاحظت أن منقذها هذا يبدو أنه سأل العامل نفس السؤال، إذ أنه أجابها: «كان في إمكانه ذلك لو كان وجد عنده في المخزن نفس القطعة المطلوبة.»

[illegible] تزال [illegible] تفعل، وسألته: «كم من الوقت [illegible] قطعة المطلوبة؟»

أجاب الرجل الغريب: «إن ذلك يتطلب عدة أيام.» فسألته بسرعة: «ألا يمكنني استعادة سيارتي هذا النهار؟» وحاولت أن لا تبدي الذعر عندما هز رأسه نفياً. كيف يمكن العودة إلى ماريانسكيه لازنيه من دون سيارتها؟

[illegible] أفك[illegible]ها: «أين تقيمين؟»

أجابت: «إنني لا أقيم في هذه المدينة. لقد جئت إلى هنا من ماريانسكيه لازنيه.»

ابتسم الرجل ابتسامة مطمئنة رغم تحفظها، وقال: «إنني أنا نفسي في طريقي إلى ماريانسكيه لازنيه. إذن، فهذه المشكلة يمكنك أن تنسيها.»

بينما أحست بالارتياح لتطوع هذا الرجل بتوصيلها إلى فندقها، تحول هو نحو العامل الميكانيكي ليعطيه بعض التعليمات، ثم استدار إليها يقول: «سيحاولون العثور على القطعة بأسرع ما يمكن، ولكن عليك أن تتركي السيارة هنا.»

lilas.com

وسرعان ما كانت فابيا تجلس إلى جانب الغريب وانسابت بهما السيارة بسرعة وسهولة، وفي النصف ساعة التالية، عقب تبادلهما بعض الملاحظات، بدأت فابيا تستعيد أنفاسها مما أصابها.

كانت، والسيارة تنطلق بهما، مستغرقة في التفكير في سيارتها العديمة الحركة، ولم يكن أمامها خيار سوى ترك السيارة في المرآب، ثم دفع أجرة سيارة إن هي ارادت متابعة التجوال هنا وهناك. وعليها أن تنسى رحلتها إلى كارلوفي فاري، وهذا مؤكد. ولكن، هل خسارة رحلة إلى حمامات المدينة المعدنية الثالثة، لها مثل هذه الأهمية إزاء مقابلتها المنتظرة للسيد فندلين غاجدوسك المعلقة فوق رأسها؟

سألها الرجل الغريب فجأة: «هل أنت في إجازة في تشيكوسلوفاكيا؟»

انتبهت فابيا إلى نفسها وإلى أنه شعر بضيقها وارتباكها، ولهذا صمم على أن يصرف ذهنها عن هذا الموضوع.

أجابت: «نعم.»

سألها: «وهل تستمتعين بالإجازة؟»

أجابت: «جداً.» حسناً، لقد وقعت فعلاً في غرام مدينة ماريانسكيه لازنيه، وكان هو من الذوق بحيث يتحمل ملل الحديث عن مشكلاتها.

وعاد يسألها: «هل أنت بمفردك هنا؟»

أجابت: «أوه، نعم.» وكانت أن تقول انها كانت مصممة على الحضور مع شقيقتها، ولكنها لم تشأ أن تصدع رأسه بهذه القصة التي لا تهمه بشيء، ولهذا استطردت تقول: «بمفردي تماماً.»

سألها: «ألا يمانع والدك سفرك بمفردك؟»

قالت بكبرياء: «إنني في الثانية والعشرين.» ولم تستطع أن تفهم كيف يعتبرها وكأنها طفلة.

قال معتذراً: «انني آسف، فانت تبدين أصغر من ذلك.» وللسحر الذي بدا في وجهه ولهجته، قبلت فابيا اعتذاره على الفور. وسألها: «هل تراني سألتك عن اسمك؟» وكادت تبتسم، إذ أنه كان قد ترك لديها انطباعاً بانه رجل لا يمكن أن ينسى شيئاً.

أجابته: «اسمي فابيا ك...» وفي هذه اللحظة قفز غزال أمام السيارة سبب لها الذعر الشديد وذلك قبل أن تنهي كلامها، هذا عدا عما كان يمكن أن يصيب السائق أو الغزال أو السيارة نفسها، وعندما اجتاز الغزال الطريق وقفز فوق السياج ثم اختفى، تمتمت بقولها: «كان الأمر قريباً من الاصطدام.»

قال باستغراب جعلها تضحك: «هل هذا ما يسمونه التوقعات الانكليزية؟»

كانا قد دخلا ضاحية مدينة ماريانسكيه لازنيه. استدار ينظر إليها وكأنما سرته ضحكتها، ثم سألها عن اسم فندقها، وسرعان ما اوقف سيارته امامه... وفكرت فابيا في أن فترة من أجمل فترات حياتها، بصرف النظر عن تعطيل سيارتها، قد انتهت. وهذه النهاية لمستها من كلمة الوداع والتمنيات الطيبة التي كانت آخر ما نطق به عندما ترجل من السيارة مستديراً ليفتح لها الباب.

أجابته بصدق: «اشكرك جداً لمساعدتك لي.» ولكنها، عندما اكتشفت فجأة أنه من المهم أن تعرف اسمه، شعرت أن

www.liilas.com

من الحماقة منها أن توجه إليه هذا السؤال في الوقت الذي كانا يفترقان فيه. وهكذا حيته باسمة، ثم استدارت تدخل الفندق.

من الغريب أن التفكير في ذلك الرجل لم يفارقها بقية اليوم. وبدا لها أنه رجل تمرس في الحياة، فقد وجد المرآب حالاً، وكذلك عامل ميكانيكي يشتغل يوم الأحد... ثم أنه، فوق ذلك، بالغ الجاذبية...

نزلت فابيا إلى مطعم الفندق لتناول طعام العشاء ولم تستطع ان تقاوم التفكير فيه، حتى ولو لم يكن مقيماً في نفس الفندق، وإلا لذكر ذلك، ربما يفكر في أن يتناول العشاء فيه، فقد كان من حسن الحظ أنه في إجازة في هذه المدينة. ومن الحتمي أن يزور الحمامات المعدنية فيها.

أوت إلى فراشها تلك الليلة دون أن ترى أثر ذلك الرجل الذي اوصلها. ولكن الشيء المهم الذي تذكرته الآن، هو أنها لا تعرف اسم الرجل ولا اسم المرآب الذي وضعت فيه سيارتها ولا المنطقة التي يسكن فيها. يا للتعاسة، كيف يمكنها أن تتصل بهم هاتفياً لتسألهم ان كانت سيارتها قد تم اصلاحها؟

أمضت ليلة سيئة حلمت فيها ببارني وهو يذهب بعيداً بسيارتها، بينما كارا تلومها بمرارة لأنها تركته يذهب بها.

شعرت أخيراً، بسرور لحلول الصباح. وعندما سمعت ضجيج السيارات امام الفندق، انتبهت من احلام اليقظة المستغرقة بها إلى ان هذا اليوم هو صباح الاثنين، فهل كانت تظن أنها ستبقى في الفراش طيلة النهار؟

نهضت أخيراً من فراشها بحماس فاتر وقد وضعت في

بالها أنها، منذ الآن، سيكون تجوالها على قدميها، ثم اتجهت إلى الحمام.

كانت تحت «الدش» عندما خطر ببالها أنه ربما لم يكن هنالك عديد من الكاراجات في مساحة حوالي العشرة اميال باتجاه مدينة فرانتيسكوفي لازنيه. ولكن، حتى ولو أنها وجدت اسم المرآب وعنوانه، فإن العثور على قطعة الغيار وتركيبها سيأخذ وقتاً. وهكذا لم يكن ثمة فائدة في الاتصال بهم ذلك النهار.

فكرت، من باب التفاؤل، في أن امامها اليوم باكمله لتأخذ راحتها في ماريانسكيه لازنيه. ولكن المشكلة هي أن توترها لم يكن ليسمح لها باي شعور بالراحة. على كل حال، لم يكن امامها خيار سوى التفاؤل، ما دامت لا تستطيع شيئاً بالنسبة لمشكلة بالغة الأهمية، وهي سيارتها، فكيف إذن، بالنسبة لمشكلة أخرى بالغة الأهمية، هي أيضاً... أي تلك المقابلة؟

فكرت، وهي في طريقها إلى تناول طعام الافطار، في السبيل إلى حل مشكلاتها تلك. كان من المتوقع قدوم السيد غاجدوسك يوم الخميس القادم، هذا، إن لم يكن قد اساءت فهم خادمة منزله.

كانت فابيا تاكل قطعة من الجبن حين توقفت فجأة. هل كان فهمها غير صحيح وكانت هي مخطئة؟ وأخذت تتذكر مادار بينها وبين تلك الخادمة من حديث. لقد قالت الخادمة بلا ريب (أسبوع واحد). ولكن لغتها الانكليزية لم تكن جيدة. وفجأة ساور فابيا ذلك الاحساس العنيف بالاضطراب الذي اعتادته كلما فكرت في قرب موعد تلك المقابلة.

www.liilas.com

فكرت لبرهة في الاتصال هاتفياً بمنزل السيد غاجدوسك لمعرفة ما إذا كان هناك، ولكن، إذا كان هو وسكرتيرته غائبين، فسيكون عليها ان تكرر نفس تلك المحادثة مع الخادمة بانكليزيتها الضعيفة تلك، ولكن، إذا كانا قد عادا فمن الأفضل الذهاب بنفسها وليس الاتصال هاتفياً.

عاد الصراع إلى نفسها بعودتها إلى غرفتها. ما الذي ستفعله بقية النهار على كل حال؟ لقد سبق وفكرت في التجوال في مدينة ماريانسكيه لازنيه، فهل يصعب عليها أن تقطع سيراً، ثلاثة اميال وهي ما يفصلها عن منزل السيد غاجدوسك؟

استفحل الصراع في نفس فابيا بين الضمير والمنطق في نصف الساعة التالية، وكذلك الشعور الغريزي بانها لا تريد أن تقوم بذلك، وأن الذهاب إلى هناك سيكون رياضة لا معنى لها.

بعد ذلك بخمس دقائق، كانت قد سيطرت على اعصابها لتحصل على قرارين حاسمين، الأول وهو، بما أنها ستذهب في رحلة فاشلة على كل حال، فهي لن ترتدي أفضل ثيابها لهذه المناسبة، وسيبقى اجمل ثوب عندها في الخزانة، وسنغطي ساقيها بسروال أنيق وكذلك ستنتعل حذاء يريحها في المشي، وفوق كل ذلك سترتدي قميصاً وجاكتة صوفية.

أما القرار الثاني فهو، إذا اعتبرنا واحداً بالمئة، أن هذه الرحلة ليست فاشلة، وأنها لا تريد أن تصل غارقة في العرق والحر، إذن، لا بد أن تأخذ سيارة أجرة إلى هناك. ومدت يدها إلى الهاتف لتتصل بمكتب الاستعلامات.

قبل الساعة العاشرة بدقيقة واحدة، اتصل بها موظف

الاستعلامات ليخبرها أن سيارة الأجرة بالانتظار. ارتدت فابيا سترتها، ثم تركت غرفتها. وعندما وصلت إلى منزل فندلين غاجدوسك، حاولت أن تطلب من السائق الانتظار، ولكن السائق كان قد ابتعد عن المكان.

تنفست بعمق وهي تنظر إلى المنزل الجميل، ثم حنت كتفيها. وعندما حاولت التقدم إلى الأمام، لتقترب من الباب الأمامي وتقرع الجرس، سمعت صوتاً جذب انتباهها إلى زاوية المنزل. وبعد ذلك بلحظة، عرفت ما هو هذا الصوت وإذا باجمل كلب رأته عيناها يندفع من خلف زاوية المنزل، مهاجماً إياها بعنف.

الآن فقط، أدركت فابيا كم كانت بشوق إلى الكلاب. وقالت بصوت حنون وهي تتقدم نحوه: «مرحبا، يا عزيزي.» ولكن لم يرعها سوى أن الكلب قد اندفع اليها ليعض كاحلها بأسنانه. وسرعان ما ادركت أن عضة الكلب هذه لم تكن سوى تحذير فقط لا اكثر. وحيث انها كانت معتادة على الكلاب فإنها لم تشعر بالخوف. ولكنها مع هذا هربت منه، وكان هذا خطأ منها، فقد كان عليها أن تتصرف حالما رأت ما فعله الكلب بها، بدلاً من أن تهرب مندفعة في طريقها الذي اقبلت منه. ولم تلبث أن سمعت صوتاً آخر، ورفعت انظارها لتجد ان العون قد اقترب منها... ولكن، لتهتز فجأة، وتقف محدقة بذهول في رجل طويل القامة ضامر الجسم ارستقراطي المظهر كان قد اندفع وراء الكلب من نفس الزاوية ليرى كل ما حدث.

وقفت بصمت، مصعوقة وقد اتسعت عيناها، غير مصدقة، وهي تحدق به. هذا الرجل قد جاء ليساعدها للمرة الثانية

www.liilas.com

في خلال يومين. لقد جاء ليساعدها حقاً، ولكن، كما انها عرفته، فقد عرفها هو أيضاً.

زجر الكلب، فتراجع هذا مذعناً تاركاً إياها ليقف إلى جانب سيده، الذي لم يظهر عليه أي أثر من سحره الذي رأته فيه أمس، وهو يصرخ فيها بالانكليزية غاضباً: «أليس عندك ذرة من العقل؟»

تأوهت فابيا، في داخلها... أوه، كلا... لقد تمنت أمس لو عرفت اسم ذلك الغريب، وهي اليوم تعرفه. وعادت تتأوه في داخلها، يا للعجب، إذا كان هذا هو فندلين غاجدوسك، فما أسوأ هذه البداية.

الفصل الثاني

أخذ قلب فابيا يخفق بعنف بين أضلعها وهي ترى رسن الكلب في يد الرجل مما فهمت منه أنه، إما كان مصمماً على اخراج الكلب هذا للنزهة، وإما هو عائد به من النزهة تلك. وكان الكلب الآن، جالساً إلى جانب سيده بانضباط تام. ولكن فابيا كانت تعلم أن ليس ثمة عذر لتهورها ذاك.

حاولت، على اي حال، الاعتذار بقولها: «إنني...»

عندها قاطعها قائلاً: «هل أنت دوماً حمقاء بهذا الشكل؟»

كان الرجل ذو العينين الداكنتين غاضباً وهو يحدق اليها بعينين ملتهبتين، وتابع قائلاً: «ألم تدركي أن الكلب لم يكن يفكر بالصداقة عندما اندفع نحوك؟»

وجدت نفسها تجادله قائلة: «إن الأمر لم يكن بهذا الشكل.» ولكن سرعان ما رأت أن معارضتها لم تلق القبول. وابتلعت بقية كلامها، بشيء من الصعوبة، ولكنها قالت بصدق: «لقد كان الذنب ذنبي، وليس ذنبه. لقد كان يحاول أن يخبرني أن أقف في مكاني، ولكن...»

لكنه أسكتها قائلاً: «أريني كاحلك.»

قالت: «ليس هناك ما...» وكان عليها أن توفر كلامها لأنه كان من الواضح أنه غير مهتم بما تقول. وأشار إلى مكان قرب الباب يمكنها أن ترفع عليها قدمها، بينما وقف هو جانباً وقد بان عليه شيء من نفاد الصبر.

حاولت أن تقول شيئاً، ولكنها آثرت الصمت إذ كان لديها

www.liilas.com

ما هو أهم لتفكر فيه. وهكذا، توجهت إلى حيث أشار، حيث وضعت قدمها على الحافة، ثم رفعت سروالها قليلاً لتسمح له بأن يتفرس في جوربها القطني الذي لم يبد عليه التمزق بشكل ملحوظ. وحاولت جذب قدمها قائلة: «ليس ثمة أية علامة على كاحلي.»

زاد من اقترابه وهو ينحني قائلاً باقتضاب: «اخلعي الجورب.»

قالت محتجة بحدة: «أحقاً؟» ولكن نظرة الازدراء التي رمقها بها جعلتها تتراجع قائلة: «لابأس.» وأذعنت بسرعة، وهي تفكر في انه لو كان هو حقاً ذلك الكاتب الكبير، كما ظنت، فانها تسلك الطريق الخطأ لتلك المقابلة. وبدون أية كلمة، أنزلت جوربها من تحت سروالها ثم أبرزت كاحلها.

دهشت وهي ترى أن عضة الكلب التي بدت لها خفيفة رقيقة ليس أكثر، قد تركت أثراً أبدأ يظهر على جانبي الكاحل.

كانت يد الرجل على جلدها دافئة رقيقة إلى حد مدهش وهو يلامس مكان العضة ويحرك قدمها يميناً ويساراً. وسمعته يتمتم بشيء قد يكون شتيمة خفيفة وهو يتفرس في عضة الكلب. وانتهى عمله، أخيراً، لتجذب هي قدمها بسرعة ثم ترفع جوربها مرة أخرى، ووضعت قدمها تلك بجانب الأخرى ثم انتصبت واقفة.

كان هو قد وقف كذلك. ورغبت في أن تنتهي كلياً من قضية كلبه هذه، وحماقتها هي، فكرت في أن تبدأ في ذكر عملها وما جاءت لأجله. كان عليها، كما رأت، أن تدور أولاً حول الموضوع بحذق. وهكذا، بدأت قائلة: «لا أدري إذا كنت تعلم ما إذا كانت الآنسة ميلادا بانكراكوفا قد عادت من...»

قاطعها بحدة: «هل أنت صديقة لها؟»

وأسفاه، أين ذهب سحره بالأمس؟ لابد أنها كانت تتخيل ذلك ليس إلا. وحاولت فابيا أن تحتفظ بهدوئها قائلة وقد صممت على أن الوقت قد حان لكي تنتهي من هذه القضية مهما كان الأمر: «لقد تدبرت الآنسة بانكراكوفا موعداً ل... لي مع السيد فندلين غاجدوسك ليوم الجمعة الماضي، ولكنه...»

صدرت عنه شتيمة أعنف من تلك التي سبق وتمتم بها، ثم تفرس فيها، وما لبث ان تذكر الكلام باللغة الانكليزية، فقال: «إذاً، لقد فعلتها ميلادا بانكراكوفا.» وتابع ببرود وقد ضاقت عيناه: «مقابلة؟ ولماذا تريدين اجراء مقابلة معه؟»

قالت: «إنني... إنني اعمل لحساب مجلة.»

قال: «إذن، فأنت صحفية.»

فكرت فابيا في أن يعرف طبعاً أنها، أو بالأحرى كارا شقيقتها، هي صحفية إذ ما دام هو الرجل الذي جاءت لمقابلته والذي وافق على اجراء المقابلة مع مندوبة المجلة. وقالت كارهة للكذب الذي تتفوه به: «نعم... هل... هل تعرف السيد غاجدوسك؟»

أجاب: «أكثر مما تتصورين.» وشعرت فابيا بقلبها يثب بين ضلوعها. إنها الآن تقف مع فندلين غاجدوسك العظيم. وتمالكت مشاعرها لتركز اهتمامها على المهمة التي بين يديها. ولكن السيد غاجدوسك أظهر أنه لم ينس ما فعله كلبه بكاحلها إذ قال: «الأفضل أن تدخلي إلى المنزل لوضع بعض المطهرات على الجرح.»

أجابت: «أوه، إن الجرح ليس بذي شأن.» وأضافت دون

www.liilas.com

تفكير: «فأنا معتادة على هذا في عملي، من قبل بعض الكلاب.» ولاحظت نظرته الحادة إليها فانتبهت حالاً إلى غلطتها، فقالت بسرعة: «إن والديّ يديران مأوى للكلاب، فأنا أساعدهما كلما جئت لزيارتهما. وأبي يحرص دوماً على أن يتأكد من أنني أتلقى لقاحاً ضد مرض الكلب بانتظام.»

شعرت بالارتياح وهي ترى معالم الرضى ترتسم على وجهه. وعلى كل حال، فان فندلين غاجدوسك لم يسألها، رغم انه كان لا يزال مصراً على ان تضع على الجرح بعض المطهرات. والتفت إلى كلبه قائلاً: «من هنا.» وكان هذا ما يزال في مكانه لا يتحرك، مذعناً لأمر صاحبه، وما لبثوا أن ساروا، هم الثلاثة، مستديرين إلى ما وراء المنزل.

من خلال الباب الخلفي، ألقى إلى الكلب بتعليماته مرة أخرى، عندما ابتعد الكلب، تابع هذا الرجل الذي بدا الآن عدائياً خالياً من السحر، طريقه نحو المطبخ.

قال: «إن مدبرة منزلي هي التي تعرف أين يوجد صندوق الاسعافات الأولية.» ثم قادها خلال ممر إلى باب خشبي متين. ولأول وهلة، ميزت المرأة القوية الصحة التي استدارت اليهما حيث كانت تقوم بشيء عند حوض المطبخ، فقد كانت هي نفسها التي سبق وفتحت لها الباب يوم الجمعة الماضي. نظرت فابيا إليه، وهو يلقي برسن الكلب على الطاولة ويقول لمدبرة المنزل بعض الكلمات، ذهبت على إثرها إلى درج فتحته وأحضرت منه علبة من الصفيح حملتها إليه. تناولها منها وهو يقدم المرأة إلى فابيا قائلاً: «السيدة إديتا نوفاكوفا.»

تمتمت فابيا بأدب: «كيف حالك.» كانت تعلم جيداً أن المرأة لا تفقه لغتها.

لكن المرأة منحتها ابتسامة دافئة، بعد ان قالت شيئاً لمخدومها بلغتها، ثم تركت المطبخ.

حول اهتمامه إلى فابيا قائلاً وهو يجذب كرسياً من جانب الطاولة: «اجلسي على هذا.» وبدا أنه هو الذي سيضع المطهر على كاحلها بينما كان في استطاعتها أن تقوم بهذا بنفسها وبسهولة.

سألها عن اسمها، وكانت هي مستعدة هذه المرة، تماماً للجواب. لم تشأ ان ترتكب غلطة أخرى، كتلك التي اقترفتها بالنسبة إلى مهنتها، فقالت: «كارا كينغسدال.» وبينما تجاهل ما سبق وأخبرته به أمس من أن اسمها هو فابيا، كانت هي تشعر بالندم لاضطرارها إلى هذه الكذبة.

وبينما كان هو يضع قدمها على مقعد منخفض، متحسساً أثر العضة، فتحت هي حقيبة يدها وأخرجت رسالة سكرتيرته إلى شقيقتها والتي تحدد فيها موعد المقابلة، ثم ناولته إياها، اثباتاً لكلامها. فقد كان السيد غاجدوسك بحاجة إلى التذكير به. وبينما كان هو يضع بعض المرهم على الجرح بغاية الرقة واللطف، كانت هي تسحب الرسالة من المغلف.

في الوقت الذي عاد فيه من حيث غسل يديه من أثر المرهم، كانت هي قد أعادت ارتداء جوربها وانتعلت حذاءها. وبدا، حين وقف إلى جانبها، أكثر طولاً مما كانت تظن. وانحدر بناظريه يحدق في عينيها الخضراوين.

تمتمت بأدب: «أشكرك، فقد كان هذا لطفاً بالغاً منك.»

ولشعورها بالرهبة، ولعله الشعور بالذنب، مدت يدها تتناول تلك الرسالة التي تثبت ما قالت. وتابعت قولها: «لا بد ان لديك، في الملف، نسخة منها، بطبيعة الحال. ولكن...» وسكتت بينما كان هو يفضّ الرسالة ويبدأ قراءتها.

رأته يعبس متجهماً وهو يمعن النظر في الرسالة، وتساءلت عما اذا كان لا يجيد قراءة الانكليزية، كما يجيدها تحدثاً.

تبخرت كل افكارها عندما القى عليها نظرة حادة من عينيه الثاقبتين ثم قال: «تبعاً لهذه الرسالة، كان يجب ان تكوني هنا يوم الجمعة الماضي.»

قالت بحدة: «لقد كنت هنا فعلاً.» ولكنها تذكرت انها تسيء إلى غاية اختها كارا، بحدتها هذه فتابعت بهدوء: «ولكنك لم تكن هنا.» كان من الواضح ان الرجل قد نسي كل شيء عن هذه المقابلة وكذلك السكرتيرة ميلادا بانكراكوفا، وإلا لذكرته بها.

أدركت فابيا أنها، لو كانت تتوقع أي اعتذار منه فقد خاب أملها، إذ كان كل ما فعله أن أعاد إليها الرسالة، مهمهماً. في الوقت الذي أخذ يتفحصها بنظرات قاسية جعلتها تشعر بأنها هي المخطئة.

وإذ شعرت بشيء من الاشمئزاز كونه هو الذي كان بعيداً في براغ عندما جاءت في الموعد المحدد، فقد حاولت جهدها أن لا تدع شعورها ذاك، يظهر على وجهها. لم يكن معه حق في ذلك، فهي التي كانت هنا يوم الجمعة الماضي، بينما هو الذي كان غائباً.

استمرت تتذكر كيف كانت أمس تظن أن فندلين غاجدوسك

في براغ، بينما كانت هي، أثناء ذلك، تجلس بجانبه في سيارته حيث كان يعيدها إلى فندقها في ماريانسكيه لازنيه! قال لها وهو يرمقها بنظرة متحدية كاد معها قلبها أن يكف عن الخفقان: «ولكنك قلت ان اسمك هو فابيا؟»

قالت: «هو ذاك. انه اسم تحب اسرتي ان تدعوني به، وكذلك اصدقائي.»

لم يكن أمامها سوى ان تقدم هذا العذر.

قال بجفاء: «هل يمكنني أن أشكرك لأنك أمس، اعتبرتني صديقاً؟» وخالت هي، للحظة، انها رأت على ملامحه ظلاً من سحر أمس.

ابتسمت وهي تجيبه: «لقد كنت أمس انساناً بالغ العطف والرقة.» واغتنمت الفرصة حين رأت ليناً في ملامحه، فسألته: «لا أظن أن من المناسب ان أجري معك المقابلة الآن، يا سيد غاجدوسك، أليس كذلك؟»

نظر إليها لبرهة من عليائه، بينما كانت هي تحاول، باستماتة، تذكر ربع الاسئلة التي كتبتها لها شقيقتها، والمفروض ان توجهها إليه، ولكنه قال باختصار: «كلا. هذا غير مناسب.» وبينما كانت آمالها تهوي إلى الحضيض، تابع قائلاً: «إنني سأخرج الكلب آزور، إلى التريض.»

تمتمت فابيا شاعرة بخيبة الأمل: «أوه.» وشعرت برغبة عارمة في الذهاب معه ومع آزور للتمشي. ولكن معرفتهما ببعضهما البعض لم تكن من القوة بحيث تجعلها تذكر هذا، خاصة الآن بعد ان أدركت شخصية رجل الأمس العطوف الرقيق.

وضعت حقيبتها على كتفها بشيء من الكبرياء انساها، للحظة، ان تأخذ منه موعداً للمقابلة. ثم توجهت نحو الباب.

www.liilas.com

لكن صوته اوقفها قبل ان تصل إليه، وهو يسألها ببطء وابتسامة هزت كيانها: «أتحبين أن تأتي معي؟»

علت وجهها ابتسامة، هي أيضاً، وهي تستدير إليه قائلة بلهفة: «أيمكنني ذلك حقاً؟»

استقر نظره على فمها الرائع الجمال، ثم ارتفع إلى عينيها حيث تشابكت نظراتهما برهة قبل ان ينحدر بنظره إلى حذائها. لاحظت ان حذاءها نال موافقته، ولكنه قال محذراً: «ولكنني لن أعود بسرعة.»

أجابت: «هذا حسن، ذلك ان بعض الكلاب عندنا...» وراجعت نفسها بسرعة. «أعني في بيت اهلي عندما كنت اسكن عندهم، كنا نأخذها للتريض أميالاً.»

ألقى عليها نظرة أخيرة لم تعرف منها ما إذا كان كلامها أعجبه أم لا، ثم تناول رسن الكلب عن الطاولة وخرج معها من باب المطبخ.

كما توقعت فابيا، فقد أسرع الكلب إليهما، ويبدو أنه كان حاد السمع، إذ انه سمع فتح باب المطبخ ثم قرقعة في يد صاحبه، ليجداه امامهما حالما ظهرا على الباب.

تركا المنزل من نفس الطريق الذي دخلا منه. ولم يكونا قد ابتعدا كثيراً عندما توقف ليتبادل بعض الكلمات مع رجل كان يجري بعض الاصلاحات خارج أحد الأبنية.

قال فندلين غاجدوسك: «إنه زوج مديرة منزلي.»

قالت: «آه، السيد نوفاكوفا.» بدت وكأنها تستحب التشدق باسم آيفو نوفاكوفا ذاك، وشعرت ان لدى فندلين غاجدوسك شعوراً مشابهاً حين رأت ظل ابتسامة على جانبي فمه.

قال يصحح مفهومها بقوله: «ان اسمه هو نوفاك، ولكن في اللغة التشيكية فان الاسماء يلحق بها احرف «أوفا» إن تزوج، وذلك بالنسبة لزوجته فقط وليس له.»

قالت وقد أشرق وجهها: «علي ان أتذكر ذلك دوماً.» وشعرت بغاية الانتعاش عندما رأت ابتسامته.

بعد ذلك، استمر سيرهما رائعاً بالنسبة اليها. فقد استمتعت بالهواء النقي والطبيعة الخلابة، والطرق التي تحف بها الاشجار ايثما توجهت.

بعد أن اجتازا مسافة ميل أو نحو ذلك، بدأت تفكر في كارا، وهي المعروف عنها انها كانت تستقل السيارة إلى المكان القائم عند المنعطف قرب المنزل لكي تشتري زجاجة لبن. ان كارا هذه، قد تقدم على رحلة كهذه سيراً على الأقدام، لو كانت هي وليست أختها، في هذا المكان. ولكنها ما لبثت أن أدركت أن فكرتها هذه سخيفة لأن كارا، عدا عن أنها مهنياً، تقصد مباشرة إلى المقابلة لتنجزها، فانها لا تستعمل أبداً احذية مناسبة للمشي، فكيف اذا كان هذا المشي عبارة عن خمسة اميال عليها ان تقطعها بين الشعاب والتضاريس؟ إن هذا لا يمكن ان يخطر في البال.

أما ما يخطر في بال فابيا الآن فقط هو، انه من المفروض ان تكون صحفية، لكن تصرفها في هذا الأمر كان في غاية الفوضى. فقد صعب عليها أن تلزم السيد غاجدوسك بوعده في تنفيذ المقابلة. ولكن قد تجد صعوبات أخرى في هذه المنطقة. فلماذا تدع مثل هذه الفرصة العظيمة في وجودها معه الآن، دون أن تستفيد منه ببعض الأسئلة؟

www.elias.com

هكذا، سألته ببراءة: «هل تأخذ آزور للتريض يومياً، يا سيد غاجدوسك؟»

أجابها بقوله وهو ينظر اليها: «من الواضح انك تستمتعين بالمشي.»

سرت بعض الحمرة في وجهها الشاحب بطبيعته. وتقابلت نظراتهما، وشعرت فابيا فجأة، بالاضطراب ونسيت، للحظة، أنه لم يجب عن سؤالها. وتمتمت: «لقد نشأت في الريف.»

شعرت بأنها ما كان لها أن تجيبه عن سؤاله هذا، صحيح ان كارا قد نشأت، مثلها، في الريف، ولكنها لا تعرف إلى أين ستؤدي بها الأسئلة والأجوبة إذا استمرت ولم تتجنبها هي.

سألها: «من أي منطقة من انكلترا؟»

أجابت: «من غلوسسترشاير.» ولم تجد مانعاً من اجابته هذه المرة ايضاً. ولكنها أدركت انها عادت فنسيت سؤالها له مرة أخرى... أي تلك المقابلة. وعادت تسأله عندما خرجا من الغابة إلى فسحة تشرق عليها الشمس: «أخبرني يا سيد غاجدوسك، هل...»

لكنه قاطعها: «ان هذا النهار أجمل من أن تفسدينه بتلك الرسميات إذ تناديني دوماً باسم غاجدوسك.»

توقفت انفاسها وهي تنظر إليه بذعر. رأت عينيه القاتمتين تنظران اليها باسمتين. وشعرت بالغبطة تغمرها، فتجرأت أن تسأله غير مصدقة: «هل تريدني أن أدعوك فندلين؟»

اجابها: «ان اصدقائي يدعونني فين يا فابيا.»

هناء ضحكت... وشعرت بالسعادة وهي ترى الأمور

تستقيم معها بعد كل الذي حدث لها مؤخراً. ذلك ان الرجل الذي جاءت لتجري معه المقابلة، اقترح عليها أن تدعوه فين، كما أنه اقترح ان يكونا اصدقاء ولو كان ذلك من باب المزاح. وبدا ان القلق قد بدأ يزول من نفسها.

وسرعان ما أدركت فابيا ان بهجتها هذه لن تدوم، وذلك لأنها هنا لتؤدي ذلك العمل لشقيقتها، وكذلك لحالة بارني الداعية إلى القلق. هذا عدا عن سيارتها... نعم، كيف امكنها أن تنسى سيارتها! إنها...

توقف تفكيرها وهي تشعر بأن عيني فندلين غاجدوسك مازالتا منصبتين عليها، وكأنما ادخلت ضحكتها البهجة إلى نفسه. حولت عنه نظراتها وهي تشعر بعدم الثبات وكأنما كل شيء يبتعد عنها.

عند ذلك، وصلت إلى نتيجة هي أن فندلين غاجدوسك هو رجل عنيد ومن النوع المسيطر. وبعد ذلك بثوان، أصبحت تشك في ان له علاقة بأي من أفكارها ومشاعرها الغريبة، فلماذا تشعر بمثل هذا التوتر؟ هل ثمة شيء غير طبيعي؟ فهي قد قابلت، أخيراً، الرجل الذي كانت تسعى إلى مقابلته، وها هي تتنزه معه في نهار مشمس رائع الجمال... ألا يجدر بها أن تسترخي قليلاً محاولة ان تتخلص من توترها هذا؟

قالت وقد صممت أن توجه إليه سؤالاً آخر من أسئلة المقابلة: «يا سيد غاجدوسك...»

نظرت إليه لترى حاجبيه يرتفعان فعادت تقول متلعثمة، «يا... ف... فين.»

قاطعها بلطف: «أخبريني يا فابيا. هل ثمة كثيرات مثلك في بلدك؟»

www.liilas.com

لم تفهم تماماً ما يقصد وسألته: «عفواً؟»

قال يذكرها: «أظنك قلت انك في الثانية والعشرين.»

تمنت فابيا، من كل قلبها، لو لم تتطرق إلى اعطائه هذا النوع من المعلومات عنها. ذلك انها لم تشأ ان يأخذ عنها فكرة في انها ليست صحفية جيدة مع انها في الثانية والعشرين. ولكن، يبدو ان تعليقه على سنها لم يقصد به شيئاً من ذلك لأنه اتبعه بقوله: «هل أنت الابنة الوحيدة لوالديك؟»

سرّت لابتعادها عن موضوع السن وأجابته ببراءة: «عندي اخت أكبر مني.» ثم اضافت: «ولكنها في اميركا حالياً.»

أرادت أن تغير الموضوع. ولكنه عاد يقول: «يبدو انك تقومين برحلات كثيرة للعمل.»

كان يجري معها تحقيقاً في الوقت الذي كان مفروضاً فيها هي ان تجري معه مثل ذلك التحقيق.

أجابت بدهاء: «إنني أحب ان أسافر أكثر من ذلك. ماذا بالنسبة إليك؟ هل تحب الاسفار؟»

لكن سؤالها لم يحظ بجواب اذ ظهر امامها شخصان يقودان كلباً. ونادى السيد غاجدوسك كلبه آزور ليضع الرسن في رقبته. ثم قال لفابيا: «سنعود إلى المنزل من هذا الطريق.» ثم قادها في اتجاه آخر.

أدركت وهما عائدان، انهما كانا قد قطعا عدة اميال وانها أمضت في رفقته وقتاً طويلاً. لهذا لم تدهش وهي تفكر باكتئاب، كم هي فاشلة في هذا العمل الذي جاءت لأجله. ذلك ان اي صحفي يستحق راتبه ما كان ليدع فترة

مثل هذه يقضيها مع ذلك التشيكوسلوفاكي الطويل القامة دون استغلال.

لكنها بعد ذلك بلحظات، عادت تتساءل عما إذا كان في امكانها ذلك حقاً بالنسبة إلى السيد غاجدوسك الذي كان مهتماً بنزهته تلك اكثر من اهتمامه بالاجابة عن اي من اسئلتها.

لكن نزعة إلى العدالة ساورت ذهن فابيا لتجعلها تفكر في انه، مادام يمضي اكثر اوقاته سجيناً في مكتبه، فان له كل الحق في ان يتمتع بنزهته دون اي تطفل من صحفي يفسد عليه ذلك باسئلته، (لماذا وأين...الخ).

عادت تناقش نفسها، لقد وافق طبعاً على تلك المقابلة، ولكن ليس بالضبط في وقت راحته من عناء العمل. وتحيرت، ولم تعرف على ماذا تستقر برأيها. وأخيراً، قررت ان تطلب منه عند وصولهما إلى المنزل، ان يبر بوعده بالنسبة إلى المقابلة.

عندما استقر رأيها على هذا، كانا قد وصلا إلى المنطقة السكنية، تذكرت سيارتها ورأت ان من الأنسب ان تسأله الآن عن اسم المرآب ومكانه قبل ان تنسى مرة أخرى. والغريب ان موضوع سيارتها هذا كان يملأ ذهنها طيلة ذلك الصباح بينما لم تتذكره هنا، الا الآن. وسألته قائلة: «بالمناسبة، هل لك ان تخبرني باسم المرآب حيث سيارتي...»

شعرت بالضجر من عادته بعدم تركها تتم أسئلتها إذ قاطعها على عادته قائلاً: «لماذا؟»

فأجابت بحدة تكرر سؤاله: «لماذا؟ لأتصل بهم هاتفياً وأسألهم عن...»

قاطعها: «إنني اعتذر إذ لم أكن أعلم انك تتحدثين لغتي.»

www.liilas.com

قالت: «ولكنني لا أتحدثها!» ولم تستطع أن تفهم ما الذي يقصده بقوله هذا.

قال موضحاً كلامه: «كيف إذن، تتوقعين ان تتفاهمي مع العمال في المرآب؟»

سألته: «ألا يتكلمون الانكليزية أبداً؟»

أجاب: «كلا.» وربما أراد ان يضيف المزيد إلى كلامه، لولا ان سيارة سكودا يقودها رجل في حوالي الثلاثين من عمره، تقدمت ببطء لتستدير إلى خلف المنزل ثم تقف في موقف السيارات هناك.

كانا شبه ملاصقين للسيارة عندما نزل منها رجل بني الشعر متوسط البنية، ليتوقف فين غاجدوسك يتبادل معه كلمات قليلة باللغة التشيكية. ثم استدار، بعد ذلك، مبرهناً على اهتمامه بالواجبات الاجتماعية، ليعرفهما ببعضهما قائلاً بالانكليزية: «السيد لابور اوندراس. الآنسة كينفسدال زائرة من انكلترا.»

هتف السيد لابور قائلاً: «أوه، الآنسة كارا كينفسدال؟» صافحها وهو ينظر إليها باعجاب.

سأله فين غاجدوسك بحدة: «هل تعرف الآنسة كينفسدال؟»

أجاب: «أعرفها فقط من بطاقة العمل التي وجدتها على مكتبي. وقد سألت إدينا عن هذه البطاقة فأجابت انها هي التي وضعتها هناك.» كانت لغته الانكليزية جيدة جداً.

قالت فابيا وهي تسحب يدها من يده بعد ان بدا عليه الاستمتاع بالاحتفاظ بها في يده: «لقد جئت إلى هنا يوم الجمعة الماضي.»

فكرت متأملة في أنه، مادام عنده مكتب في هذا المنزل، فلا بد انه مساعد فين غاجدوسك، وان ادينا أخطات فوضعت البطاقة التي قدمتها إليها، على مكتبه هو بدلاً من ان تضعها على مكتب ميلادا بانكراكوفا.

قال السيد لابور: «انني شديد الأسف اذ خسرت رؤيتك. لقد عدت مساء امس فقط من اجازة لعدة ايام.» وبينما كانت فابيا تعتبر الأمر مجرد غزل بريء، عاد يسألها: «ولكن رغم بطاقتك العملية، ربما أنت في اجازة.»

أجابت: «إنني أرجو أن أرى شيئاً من تشيكوسلوفاكيا أثناء وجودي هنا.» ولكنها شعرت فجأة أن الصمت المفاجيء الذي بدا على فين غاجدوسك كان شديد البرود، ولما كان آخر شيء تريده هو ان تخسر صداقتها معه إذ لم يعجبه مغازلة لابور لها في وقته هو، سارعت تقول: «يجب ان أعود الآن إلى فندقي.»

قبل ان تلتقط انفاسها، اندفع لابور قائلاً: «ربما تأذنين لي ان اوصلك إلى هناك.»

سكتت تفكر في جواب لبق تتخلص به منه، عندما سارع مخدومه قائلاً وهو يدفع إليه رسن الكلب: «يمكنك ان تأخذ آزور، إذ ان عليّ ان اخرج الآن وسأوصل الآنسة كينفسدال في طريقي إلى فندقها.»

نقلت فابيا انظارها بين الاثنين، لم تشأ أن تكون عبئاً على أي منهما، فقالت: «يمكنني ان أذهب سيراً على الاقدام...» وأرادت ان تضيف ان هذا يسرها كثيراً، لو أنها وجدت الفرصة لذلك.

لكن فين غاجدوسك بادرها بقوله: «لكنك مشيت بما فيه

www.liilas.com

الكفاية.» وفكرت في ان تقول له ان في استطاعتها اتخاذ قرارها بنفسها، لولا أنها تذكرت انها ما زالت تريد تلك المقابلة معه. وقال لها وهو يشير بيده دون ان يترك لها فرصة لالقاء تحية الوداع على السيد لابور: «من هذه الناحية.» ثم قادها إلى حيث كانت سيارته متوقفة.

لم تكن قد راودتها قط فكرة انها ستستقل تلك المرسيدس مرة أخرى، ولكنها عندما استقرت إلى جانب فين غاجدوسك، وسارت بهما السيارة بين التلال لتدخل ماريانسكيه لازنيه، استعادت مزاجها العادي.

كانا قد اقتربا من مدينة الحمامات المعدنية، وبينما كانا ينتظران حافلة كانت تتجه نحو اليمين، لم تجد سبباً يمنعها من توجيه سؤال بدا لها طبيعياً جداً، فقالت: «هل لابور اوندراس مساعدك في ابحاثك؟»

أجابها باختصار: «كلا.» ثم عاد يركز اهتمامه على السير.

قالت بصوت خافت: «أوه.»

لكنها شعرت بمزيج من الراحة والاضطراب عندما قال: «انه سكرتيري.»

عادت تتمتم: «أوه.» ثم كان عليها ان توجه إليه سؤالاً لم يكن ثمة حاجة إليه، ولكن لتتأكد فقط: «هل لديك اثنان؟»

أجاب: «كلا.» وتركها تجد بقية الجواب بنفسها.

بعد قليل من التفكير، لم تجد تفسيراً سوى أن سكرتيرته لم تعد تعمل لديه، فعادت تسأله: «هل تريد ان تقول أن الآنسة بانكرلكوفا لم تعد تعمل عندك؟»

أجاب: «لقد سرني ان أراها تذهب.»

لم تعجب فابيا لهجته تلك. فسألته بسرعة: «هل صرفتها من الخدمة؟»

سألها وكأنه لا يعرف معنى هذه الكلمة: «صرفتها؟»

قالت مفسرة: «أي طردتها. أخرجتها من الخدمة.» ووجدت سروراً إذ تبين له ان بامكانها تقديم خدمة هامة له.

أخذ يلهو بكلمة (صرف) هذه عدة مرات، ثم سألها: «هل هذه الكلمة مبتكرة؟»

أجابت بحنق: «لا أدري.» وفجأة، ساورها القلق إذ وجدت انهما قد اقتربا من الفندق دون ان يتقرر الأمر بالنسبة لإجراء المقابلة. ولكن، نظرة منها إلى حاجبه الذي ارتفع عالياً عند سماعه ردها الحانق، أدركت بعدها انها لن تحصل على موعد أبداً ما دامت تظهر حنقها لعدم اجابته عن أكثر اسئلتها. وهكذا، ابتلعت سخطها وتنفست بعمق وبدأت تقول: «حسناً، أظن أن أصل هذه الكلمة يعود إلى سنين بعيدة...» وأخذت تشرح له سبب إدخال هذه الكلمة إلى اللغة، ثم ما لبثت ان سألته: «لا أظن أن ترك ميلادا بانكرلكوفا لخدمتك سيؤثر على شيء، أليس كذلك؟»

أجابها بمنتهى الحنق: «سيؤثر؟» وكان ذلك حسب ما استنتجت هي، لأنه يعرف الآن تماماً سياق الكلام الذي استعملت هي فيه تلك الكلمة.

لكن، عندما اوقف السيارة خارج الفندق، واستدار ينظر اليها، أدركت فابيا انها لا تستطيع اظهار اي بادرة سخط. فهو سيذهب الآن، ولم يبق لها من فرصة سوى هذه الدقيقة الأخيرة، وقالت تسأله بشكل مباشر: «هل ما زال موعد اجراء المقابلة، قائماً بيننا، حسب وعدك؟» وفكرت برهة، حين

www.lilas.com

نظر اليها بصرامة، انها قد تسببت بخسارتها للأمر، وأنه رفض تذكيرها له بوعده.

بقيت ملامحه على صرامتها، وحاولت فابيا أن تقرأ أفكاره وقد ساورها الارتباك. لقد تأكدت الآن، انه لابد ان يفكر في أنها لو كانت صحفية حقيقية، لاستطاعت ان تعد عنه موضوعاً تستخلصه من الوقت الكافي الذي أمضته معه في نزهته تلك في الغابات. إما هذا، واما قد يكون ذلك لانها لم تلق عليه مزيداً من الاسئلة. ربما كان هذا هو السبب، وربما لانها كانت من التهذيب بحيث امتنعت عن ازعاجه بكثرة الاسئلة. [illegible] لأن [illegible] من يستطيع أن يحمله على ال[illegible] من [illegible] كان [illegible] لا يريد ذلك.

عندما ترك مقعده، دون ان يجيبها بشيء عن المقابلة، واستدار حول السيارة متوجهاً اليها، تأكدت عندها، والألم يكاد يعصف بكيانها، من انها خسرت كل شيء حقاً. ونزلت من السيارة لتقف معه على الرصيف.

رفعت عينيها تنظر في عينيه القاتمتين اللتين لا تكشفان عن شيء، وقد نشأ في نفسها صراع عنيف بين كبريائها الذي يمنعها من الالحاح بسؤالها هذا عليه، وبين حاجتها إلى أن تطمئن إلى الأمر. لتشرق الشمس فجأة وتبدد الظلمة التي اكتنفت نفسها. ذلك انه قال بعد أن أخذ يبتعد عنها: «الأفضل أن نتناول العشاء معاً غداً.»

لم يكن ثمة وقت لاظهارها التردد او الدلال، فقالت تسأله بسرعة وهو يستقل مقعد القيادة: «في أي ساعة؟»

رأت زاويتي فمه ترتفعان بشبه ابتسامة وكأن لهفتها

على تلك الدعوة قد بعث التسلية في نفسه. ولكن ابتسامته تلك سرعان ما تلاشت وهو يقول: «سأرسل لك زوج مدبرة منزلي حوالى الساعة السابعة.»

استدارت فابيا مبتعدة تريد بذلك أن تظهر له عدم اهتمامها. وكانت تسير في اتجاه الفندق حين سمعت صوت سيارته تنطلق به، ولكنها تابعت سيرها.

من الغريب ان تشعر بالابتسامة تعلو ثغرها في حين انها لم تكن متأكدة من انها ستحصل على وعد بالمقابلة من ذلك الرجل ال[illegible]

liilas.com
هدهودة

الفصل الثالث

نامت فابيا جيداً تلك الليلة لتستيقظ صبيحة الخميس وهي تفكر في فين، وفي كارا وبارني. وودت من كل قلبها، لو كان في امكانها الاتصال هاتفياً بوالديها لتسألهما عما إذا أبلغتهما شقيقتها شيئاً. ولكن، بما ان من المفروض أن كارا هي معها في تشيكوسلوفاكيا، وطلبت منها أن تصنع معها معروفاً وهو عدم الاتصال بوالديها، فقد استقر رأيها على عدم الاتصال. وبعد الإفطار، خرجت إلى حيث ابتاعت بطاقة ملونة لترسلها لوالديها، ثم أخذت تتمشى مجتازة مجموعة الأعمدة في ماريانسكيه لازنيه لتدخل منطقة الحدائق الرائعة الجمال وترتاح على أحد المقاعد البيضاء المتناثرة في تلك الأنحاء، ثم أخرجت البطاقة وبدأت بالكتابة.

بعد عشر دقائق، كانت قد ملأت كل مساحة في البطاقة بكل أخبار رحلتها وانطباعاتها عن جمال مدينة ماريانسكيه لازنيه، حتى إذا وصلت إلى وضع إمضائها لم تكد تجد فسحة لوضع اسمها هي، هذا عدا عن اسم كارا.

تركت مقعدها لتطوف أنحاء المدينة التي خلبت لبها، مشت في بعض الشوارع المأهولة. ولاحظت، بدهشة فحماً بني اللون قد وضع خارج منزل هناك، ولم تكن قد شاهدت فحماً بنياً من قبل، وفكرت في أن صاحب المنزل لا بد أن يجرف هذا الفحم في ما بعد ليدخله إلى قبو منزله.

واختزنت هذا المنظر في ذاكرتها إلى منظر الغابات الملتفة حول المدينة تقريباً، وهي تتابع طريقها.

مرت بمركز الألعاب الرياضية، ثم مكتب السياحة. ومن هناك انعطفت لتدخل في منطقة مألوفة لها، وسرعان ما وجدت نفسها في ساحة الأعمدة. حان موعد الغداء، ولكنها كانت لا تزال تطوف بين الأعمدة، ولم تستطع مقاومة الإغراء في أن تصعد الدرجات لتلقي نظرة على معرض رائع لمصنوعات زجاجية.

بعد عشرين دقيقة، تركت المعرض وهي تحمل بحرص، مزهرية من الزجاج رائعة الجمال كانت متأكدة من أن أبويها، خصوصاً والدتها، سيعجبان بها كثيراً.

خرجت فابيا من المعرض، ونزلت الدرجات إلى الشارع لتصطدم أنظارها بشاب، لم يكن سوى لايور اوتدراس. بادرها بالتحية وقد بدا عليه بوضوح السرور لمرآها. ردت عليه التحية وهي تشعر أيضاً بالسرور لمصادفة شخص تعرفه.

نظر إلى اللفافة التي تحملها وهو يسألها: «هل كنت تتسوقين؟»

فأجابته: «إنها هدية لوالدتي.»

قال بسرعة: «لا بد أنك مرهقة.» لم تكن تشعر بأي تعب في الحقيقة، ولكن، يجب أن لا يخسر الإنسان فرصة سنحت. وأضاف وهو يبتسم. «إنني أصر على ان تسمحي لي بأن اصطحبك إلى الغداء.» ثم وقف ينتظر الجواب.

تساءلت فابيا عما يجب عليها فعله، كان شخصاً شفافاً ولكنه لطيف، مغازل وصريح بذلك. كان ودوداً وقد شعرت بميل لمرافقته.

www.liilas.com

قال مصراً: «يمكنني أن أريك مناظر المدينة الجميلة أيضاً.» وكانت اللهفة تبدو على قسماته لتوحي بأن رفضها قد يكون مأساة مؤلمة بالنسبة إليه.

أخيراً، قبلت وعندما أشرقت ابتسامته بالسعادة، ابتسمت هي الأخرى.

قال لها وهو يتناول منها لفافتها: «إن سيارتي ليست بعيدة من هنا.»

سألته: «هل المكان الذي نحن ذاهبان إليه، هو في ماريانسكيه لازنيه؟»

أجاب وهو يفتح باب السيارة لها لكي تصعد: «نعم. على توزيع بعض الخطابات، وعندي متسع من الوقت قبل أن أعود إلى عملي.»

جلست فابيا في السيارة، وهي تتساءل عن مخدومه غاجدوسك. لقد كان متوقفاً عن العمل صباح أمس لكي يأخذ الكلب آزور إلى النزهة، وكذلك هي بالصدفة، حيث سارا طويلاً. فهل فين غاجدوسك يعمل بعد الظهر فقط؟ أم ربما بعد الظهر والمساء؟ أم ان تعطله ذلك الصباح لكي ينزه كلبه، كان حالة نادرة؟

الآن فقط أدركت، رغم الساعات الطويلة التي أمضتها معه، انها لا تعرف عنه شيئاً، وفي الحقيقة، انها لا تعرف عنه الآن سوى أكثر قليلاً مما كانت تعرف قبل أن تقابله... ولا شك ان كارا كانت ستقطعها اربباً لو عرفت بذلك.

لم تستطع أن تتصور ما الذي كان في استطاعة كارا أن تفعله، حتى مع خبرتها الصحافية، مع رجل يعكس كل أسئلتها عليها، دون أن تلاحظ هي ذلك.

قال لابور باسماً: «سناكل أولاً.» ثم أوقف سيارته ليدخل وإياها إلى فندق جميل.

طلبت فابيا عجة وسلطة وهي تفكر في أنها ستتناول وجبة دسمة مع غاجدوسك هذا المساء. وسرعان ما اكتشفت ان لابور هو مرافق طيب العشرة.

سألها: «هل تسمحين لي بأن أدعوك كارا؟» وكان منذ لحظة قد طلب منها أن تناديه باسمه الأول.

أجابت: «طبعاً، ولكن...» وتوقفت. فهي لم تكن مسرورة بأن يدعوها كارا... وشعرت بضيق لذلك، فهو ليس اسمها...

قال: «هل ترين أني استعجلت في وضع نفسي بين معارفك؟»

قالت بسرعة لتزيل مخاوفه، سواء كانت صحيحة أم خريفة: «كلا، كلا، أنا لا أقصد هذا. في الحقيقة، ان أكثر الناس يستعملون الإسم الذي يستعمله أهلي في المنزل وهو فابيا.»

أخذ يردد: «فابيا...» وبدا عليه الاستمتاع بلفظ اسمها هذا. ليسرع بعد ذلك، باستعمال اسمها هذا، قائلاً: «هل أنت هنا في رحلة عمل، واجازة في نفس الوقت، يا فابيا؟»

أجابت: «نعم.» وفكرت ان كان من غير المناسب أن تسأله عن مخدومه، ولكنها لم تر سبباً يمنعها من ذلك. إذ انه على أتم العلم بما يحتويه ملف مخدومه فين غاجدوسك. فتابعت قولها: «لقد جئت إلى هنا خصيصاً لأجري مقابلة مع السيد غاجدوسك يوم الجمعة الماضي، ولكن...»

هتف لابور بدهشة: «وهل وافق السيد غاجدوسك على اجراء المقابلة؟»

www.liilas.com

أجابت بشيء من الدهشة هي أيضاً لدهشته تلك: «نعم. ألم تعرف بذلك؟»

أجاب: «أبداً، فأنا لم أبلَغ بذلك. كما أنه هو لا يقبل باجراء أية مقابلات له.»

قالت: «أعرف ذلك. ان أخ...» وسكتت بعد إذ همّت بأن تقول ان اختها أعلمتها بذلك. وقالت بسرعة تغطي زلة لسانها: «وهذا يجعل قبوله باجراء هذه المقابلة أمراً رائعاً.»

عاد يسألها متشككاً: «هل قبل حقاً بذلك؟»

سألته: «هل تركت لك سكرتيرته السابقة ملاحظة بهذا الشأن؟» وتمنت فابيا لو لم تقل شيئاً، إذ من الواضح ان تلك السكرتيرة لم تكن على حظ من الكفاءة، وربما كان هذا هو سبب رفض مخدومها لها.

أجاب: «كلا، ولكن...» وسكت وقد بدا عليه التفكير، وفجأة أشرق وجهه وقد عادت إليه الابتسامة، وتابع قوله: «لقد عجبت للسبب الذي جعل السيد غاجدوسك يطلب مني أن أتفحص عمل ميلادا بانكراكوفا السابق أمس. لقد عرفت الآن.»

سألته: «أظنها اقترفت بعض الأخطاء؟»

أجاب: «وأكثر من ذلك. ولكن، ما لنا ولها، دعينا نتحدث عنك.»

فجأة، قالت بذعر: «ولكن، هل كان موعد مقابلتي للسيد غاجدوسك يوم الجمعة الماضي، مدوناً في مفكرته؟»

أجاب: «بالطبع، ولكن لم يطلع عليها أحد لسوء الحظ.» وعندما خطر في بالها أنه ربما كان يمزح معها، عندما

أظهر جهله، في البداية، لهذا الموعد استطرد قائلاً يسألها: «هل أحضر لك شراباً؟»

أجابت: «أريد كأساً صغيراً فقط.» شعرت بالارتياح وقد زال ذعرها، وكرهت أن تعود إلى التحقيق معه عن عمله وخاصة عن مخدومه، وهكذا أخذت بالإستمتاع بهذا الغداء.

عندما انتهيا من تناول الغداء، وغادرا، وجدا أن المطر قد بدأ يهطل. فقال لها: «أخشى أن لا تبدو لك المناظر التي وعدت أن أريك إياها، جميلة الآن. ولكن، لا بأس في أن نذهب ونلقي نظرة.» أخذ بذراعها يقودها إلى أمام الفندق ثم تابع نحو حاجز منخفض وقال لها: «كان يجب أن نأتي إلى هنا أولاً. ذلك ان كل ما استطاعا رؤيته من المناظر أسطح المنازل والغابة وكل ذلك مغلفاً بالضباب والمطر، وتابع قائلاً: «ربما أمكننا أن نأتي إلى هنا غداً.» واستدار ينظر إليها متشوقاً بينما وضع ذراعه حول كتفيها بشكل عفوي.

كانت لا تزال تشعر نحوه بالمودة، ولكن وضعه لذراعه حول كتفيها لم يعجبها بل جعلها أكثر حذراً، فأجابت: «إنني لست متأكدة مما سأفعله غداً.»

واذ كانت تظن أنها أوقفته عند حده، فلا بد أنه ظن أنها تعطيه الضوء الأخضر ليستمر في طريقه، إذ ان ذراعه اشتدت فجأة حول كتفيها وقد بدا في عينيه بريق العاطفة المتأججة وهو يزيد من اقترابه منها وقد أسرعت أنفاسه بالرغبة وهو يهمس: «انني شديد الإعجاب بك، يا فابيا.»

في أية ظروف أخرى، كانت فابيا تشعر بشيء من القلق... ولكنها لا تكون في بلاد أجنبية كل يوم، مع رجل

www.liilas.com

أجنبي يحاول، بعد أن أطعمها، أن يغويها وفي وضح النهار، بينما المطر ينهمر مبللاً إياها، وقد وقف هو ينتظر ما ستقوم به.

فكرت في أنه يأمل بشيء من التجاوب منها، ولكن، سواء استاء لذلك أم لا، فقد وجدت نفسها تنفجر ضاحكة وهي تقول: «لابور. لقد بللني المطر.»

بدا عليه الندم حالاً، ليسارع بها إلى سيارته، وعندما أصبحا في داخلها، سار بها هابطاً التلة. وعند أسفل المنحدر، حيث الشارع الرئيسي الذي يقوم على أحد جانبيه الفندق، توقف يراقب حركة السير إلى يساره عندما نظرت فابيا إلى اليمين، وما زال على ملامحها أثر من الضحك، لتشعر بتلاشي كل ما كانت تشعر به من التسلية. ذلك أنها رأت سيارة مرسيدس تتجه نحوهما ويقودها فندلين غاجدوسك. وفي الواقع كانت على وشك تجاوزهما. وبدا على غاجدوسك أنه لم ير السيارة السكودا فقط، بل رأى من فيها. وبدا من اشتعال نظراته أن رؤيته لهما لم تعجبه.

أوه، يا للصدف. فكرت وهي تحاول أن تقلل من شعورها بالرعب بأنه لم يغضب لرؤية سكرتيره، وانما لرؤيتها هي، وقبل أن تركز أفكارها على هذه النقطة، استدار لابور، الذي لم يلحظ شيئاً مما حدث، قائلاً: «لقد أصبحت أكثر جمالاً عندما غسل المطر وجهك.»

كان من الممكن، لو كان قد قال هذا منذ دقيقة أو أكثر، أن تنفجر ضاحكة مرة أخرى مما كانت تعتبره مجاملة فوق الحد، ولكن، بعد أن رأت فين غاجدوسك، لم تشعر بأية رغبة في الضحك.

قالت بهدوء: «شكراً يا لابور.» وبقي متابعاً طريقه بعد أن منحها ابتسامة.

بعد دقائق، وصل لابور بها إلى فندقها، وبعد ان شكرته على دعوته لها للغداء، وناولها اللفافة، أجاب قائلاً: «لقد كان الغداء مناسبة سعيدة لي أيضاً.» ولم يضع لحظة قبل أن يقول: «هل من الممكن أن نسعد مرة أخرى بتناول العشاء معاً هذا المساء؟»

أجابت بابتسامة أسف، إذ كانت متأكدة من سلامة نيته: «أخشى انني لن أستطيع ذلك، إن عندي موعد عمل.» وتساءلت عما إذا كان لابور قد استشف ان موعدها العملي ذلك المساء كان مع مخدومه، أو ربما قد سبق وعلم، أثناء تبادل حديث بشأن العمل معه، انها ستتعشى مع فين. ولكنها نفت تلك الفكرة من ذهنها حالاً، إذ أدركت ان لابور ما كان سيدعوها إلى العشاء لو انه كان يعلم بأنها ستتعشى مع مخدومه.

ألقت عليه تحية الوداع، لتنساه حالما دخلت الفندق. عادت إلى مخيلتها صورة الغضب التي كانت ترسم على ملامح فين غاجدوسك. وأخذ القلق يتصاعد في نفسها وهي تقف بانتظار مفتاح غرفتها.

صعدت إلى غرفتها دون أن تعرف سبباً لغضبه ذاك. وخطر ببالها خاطر مخيف وهو، حيث أن الانكليزية ليست لغته الأصلية، ربما أراد أن يقول لها انه يدعوها إلى الغداء وليس العشاء فيكون هذا هو سبب غضبه، وأي شخص آخر في مكانه، كان سيغضب مثله لو رآها تخرج من فندق في وقت الغداء مع شخص آخر. ولكن فابيا عادت فنفت هذه

www.liilas.com

الفكرة من ذهنها بعد ان تذكرت آخر كلمات فين لها وهو يقول انه سيرسل آيفو اليها حوالى السابعة، والساعة السابعة ليست بالطبع، موعداً للغداء.

لماذا الغضب إذاً؟ وشعرت بالضيق، ثم بدأ القلق ينهشها عما إذا كانت ستتعشى معه هذه الليلة أم لا. هل من الممكن أن يكون السبب في عدم اخباره لسكرتيره لابور عن عشاء العمل معها، هو أنه ببساطة، لا يفكر بتناول العشاء معها هذا المساء؟

لكنه قال لها أمس بكل وضوح، الأفضل أن نتناول العشاء معاً غداً. فكيف يغير رأيه؟ ولم تشأ أن تتذكر كيف نسي موعده معها يوم الجمعة الماضية.

عندما بدأ القلق في نفسها يتصاعد خوفاً من أن ينسى فين موعده معها مرة أخرى، بدأت بنزع ثيابها العملية، ثم دخلت الحمام.

عندما انتهت من تجفيف شعرها، عاد إليها شعور القلق ذاك، فارتدت سروالاً وقميصاً، ثم نزلت إلى الردهة لتضع البطاقة التي سبق وكتبتها لوالديها، في البريد. وحاولت أن تشكر موظف الاستعلامات باللغة التشيكية وهو يعطيها طابع البريد مؤكداً لها أنه سيضع البطاقة في بريد ذلك اليوم.

عادت إلى غرفتها وما زال أمامها عدة ساعات لكي ترى ما إذا كان فين غاجدوسك سيبرّ بوعده لها، أم لا. وشعرت بوخز الضمير وهي تفكر في أنه ليس في قبولها دعوته ما يشرفها حيث أن هذه الدعوة كانت لكونها صحفية بينما هي ليست كذلك. ولكنها تابعت تفحص خزانة ملابسها.

في السابعة إلا عشر دقائق، كانت فابيا على أتم

الاستعداد. وفي السابعة إلا خمس دقائق قررت أن شعرها بحاجة إلى إعادة تسريح. وبعد دقيقة قفزت من أمام طاولة الزينة لسماعها رنين الهاتف ليخبرها موظف الاستعلامات أن ثمة سيارة تنتظرها.

لم تستطع للهفتها، تذكر كلمة الشكر باللغة التشيكية، فشكرته بالانكليزية.

عندما وضعت السماعة، بقيت لحظات تحاول تمالك رباطة جأشها بعد ان شعرت بقلبها يخفق بعنف. ولكن، كان لذلك عدة أسباب، الأول، هو أنه قد سبق واقتنعت بانها يجب أن تنسى كلمات فين غاجدوسك لها. «سارسل آيفو لأجلك...» وها هو ذا آيفو قد أقبل... ثانياً، إنها لا تفهم شيئاً عن المقابلات الصحفية حتى ولو من باب الهواية. ثم لم يكن ما يهدىء من اضطرابها، وهي تترك غرفتها، صورة ذلك الارستقراطي المظهر فندلين غاجدوسك. وأصابها الذعر وهي تفكر في أن انتحالها لشخصية شقيقتها يجب أن يكون بالغ الاتقان، ذلك أن فين غاجدوسك ليس بالأحمق.

لم تعرف كيف استطاعت أن تبتسم لآيفو الذي كان ينتظرها في الردهة، ولكنها ابتسمت على كل حال بل وأكثر من ذلك، استطاعت أن تتذكر كلمة التحية باللغة التشيكية.

عندما تركت السيارة المدينة، لتدخل الضاحية في طريقها إلى المنزل، كانت لا تزال تشعر بالاضطراب. ولكن الذي شجعها هو أنها تمكنت من أن تتمالك نفسها لتصعد إلى السيارة مع آيفو، كما انها استطاعت أن تبتسم له! وربما كان هذا دماثة أصيلة في نفسها. ولا بد أن بإمكانها

www.liilas.com

التصرف بهذا الشكل مع مخدومه فلا تدعه يشعر بما يعتمل في داخلها من وهن واضطراب. أوقف آيفو، أخيراً السيارة أمام الباب، ليخطر لها خاطر شدّد من عزيمتها، وهو أنه ما دام فين غاجدوسك لم يسبق له أن أجريت له أية مقابلة من قبل، فالأغلب أنه لن يكتشف أي خطأ قد يحصل منها أثناء اجراءها المقابلة معه.

عندما رافقها آيفو إلى باب المنزل، شكرته باللغة التشيكية بحرارة، كما ألقت بالتحية بنفس اللغة إلى زوجته مديرة المنزل، وهي تبتسم وذلك في نفس الوقت الذي فتح فيه الباب. بادلتها مديرة المنزل تحيتها مبتسمة، ولكن حركة ما جعلت فابيا تستدير، والابتسامة ما زالت على فمها، لتواجه فين غاجدوسك بأناقته التامة، وحياها بلطف بينما كانت مديرة المنزل تختفي من المكان. «مساء الخير، يا فابيا.» وأخذت نظراته تتنقل من شعرها الذهبي الطويل، إلى ملامحها، إلى بشرتها الرائعة، إلى ثوبها الصوفي الليموني اللون بكميه الطويلين والذي كان يبرز جمال أنوثتها، لتستقر أخيراً على حذائها ذي الكعب العالي.

أجابته قائلة: «مساء الخير يا سيد غاجد...» نظر إليها رافعاً حاجبيه مما جعلها تستدرك قائلة: «يا فين.» وهنا شاهدت شبه ابتسامة على فمه قبل أن يمسك بمرفقها ويقودها إلى غرفة الجلوس.

كانت غرفة رائعة يتجلى فيها الذوق. ذات سقف عالٍ وأثاث ممتاز، قامت في أنحائها طاولات أثرية.

قال: «اجلسي ريثما أحضر لك شراباً.» وأشار إلى أحد مقعدين مستطيلين مريحين كانا في تلك الغرفة وهو يتابع:

«ماذا تريدين أن تشربي؟» وسار نحو طاولة المشروبات بينما جلست هي على المقعد الذي كان مريحاً إلى درجة لم تكن تتصورها.

أجابت: «أريد بعض عصير البرتقال، من فضلك.» وعندما أحضره ووضعه على منضدة بجانبها، قالت له: «انني شاكرة لك دعوتك هذه.»

أجابها: «إن في هذا سروراً لي.» ومن ثم، إلى حين حضور مديرة المنزل لتخبرهما أن العشاء بات جاهزاً، بقي يتحدث إليها في شؤون شتى لا تمت بصلة إلى السبب الذي أحضرها لأجله إلى هذا المكان، وهو المقابلة. كما أنها، من ناحيتها، وجدت أن في مقاطعته لكي تدخل في ذلك الموضوع، ثم تنهال عليه بعشرات الأسئلة، وجدت في هذه الطريقة شيئاً من عدم الذوق، خاصة في هذه الغرفة الفخمة التي لم تكن مكتباً أو مكاناً للعمل، وهكذا، أرجأت أسئلتها رغم انها وجدت نفسها، دون أن تدري تستفيض بالحديث عن عشقها للموسيقى وخصوصاً مؤلفات الموسيقار التشيكي «جانا سيك».

في الحقيقة، كانت فابيا لا تزال تتساءل عن الطريقة التي جعلها فين، فيها تتحدث عن الموسيقى، عندما انتقلا إلى غرفة الطعام المماثلة في الروعة لغرفة الجلوس. وقبل أن تجد الجواب لذلك، كانت مديرة المنزل تدخل لتقدم الطعام الذي وجدته لذيذاً جداً، وهكذا انصرف ذهن فابيا إلى أمور أخرى.

قالت تحدث مضيفها: «إن هذا الطعام لذيذ جداً.» وعندما نظر إليها بمنتهى الرقة والدماثة بحيث لم يكن ثمة أثر لذلك

التجهم الذي كان يكسو ملامحه عندما رأته في السيارة وقت الغداء، شعرت بأنها يجب أن تأتي على ذكر ذلك الموضوع، فتابعت تقول: «ان هذا يجعلني في غاية السرور لكوني تناولت غداء خفيفاً هذا النهار.»

استحالت نظرته إلى البرود والهدوء وهو يقول: «أظنك تناولت الغداء مع سكرتيري.»

أجابت: «لقد قابلته صدفة في الطريق، وقد تكرّم بدعوتي إلى الغداء، فهو انسان ودود جداً.»

قال بلهجة جافة: «هل نظرت مؤخراً إلى صورتك في المرآة؟» وشعرت ڤابيا بالزهو في أعماقها اذ شعرت بأن في كلامه هذا إطراء لها، ولكن هذا الشعور سرعان ما خمد عندما أدركت في نفس الوقت أنه يعرف نوليا لابورد أو نفراس الذي يلاحق بغزله من لا تملك حتى ربع ما تملكه هي من جمال.

قالت تدافع عن نفسها وهي تتمنى، تقريباً، لو انها لم تأت على ذكر ذلك الغداء: «إنه لم يحاول أن يغازلني طوال الوقت، لقد سرنا طويلاً، وأخبرني أنه سيريني منظراً رائعاً، ولكن المطر ابتدأ ينهمر و...»

قاطعها: «ماذا قال لك أيضاً.» وكانت تحاول أن تنسى عادته تلك في مقاطعتها على الدوام.

نظرت إليه بدهشة وقد أفزعتها نظرته الحادة. وحالاً، أدركت أنه يفكر في أنها استجوبت سكرتيره عنه هو شخصياً، فتصاعد الدم إلى وجنتيها وهي تقول بحرارة: «لا شيء.» وازداد فزعها عندما خطر لها أن هذا هو ما كان سبب غضبه عندما رآهما معاً، واندفعت قائلة وقد أثارها أن

يظن بها هذا: «عجباً، لا يمكن أبداً أن أفكر في أن أسأله أي شيء عنك.»

سألها ببرود وقد بان الغضب في عينيه: «ألا تفعلين ذلك؟»

أجابت مؤكدة: «كلا، طبعاً.» وكانت ما تزال غاضبة، وعندما بقيت عيناه في عينيها تتأملان فيهما، ودت من كل قلبها لو تعرف ما يفكر فيه.

انقطع حبل أفكارها عندما دخلت مدبرة المنزل تحمل مزيداً من الطعام وتتبادل بعض الكلمات مع فين.

استطابت ڤابيا طعم الفطر مع اللحم مما أعاد إليها توازنها النفسي. وسألته: «ما اسم هذا النوع من الطعام؟»

أجاب بلطف: «لقد طلبت من اديتا أن تطبخ هذا النوع لأنني توقعت أنه سيعجبك. إنه عبارة عن نوع بسيط من...» وذكر اسماً طويلاً معقداً يبلغ عدة كلمات وذلك بلغته التشيكية جعل ڤابيا تفكر في أنها تحتاج إلى اسبوعين كي تحفظ هذا الاسم.

سألها: «هل أعجبك نوع هذا الطعام؟»

أجابت: «جداً.» ولكنها كانت لا تزال مستاءة لتفكيره في أنه من الممكن لها أن تتجسس عليه وذلك بتوجيه أسئلة عنه لسكرتيره.

أخيراً، انفجرت قائلة: «إن المرة الوحيدة التي ذكرت اسمك فيها كانت حين أخبرته بأنني جئت إلى هذه البلاد كي أجري معك مقابلة.»

قال ببطء: «لا أدري هل أعتبر كلامك هذا مدحاً أم ذماً.» تملكها الغيظ، وشعرت بالكره للرجال ذوي الحنكة

www.liilas.com

والدهاء. هل تراه يريد القول ان هذا قد يكون من باب التهيب لشانه، أم لأنه لا يستحق ذكراً أكثر من مرة واحدة أثناء الغداء؟

تعبت من محاولة التعمق في هذا الأمر، فقالت: «على كل حال، لقد دهش لابور في البداية، وأنا متأكدة من عدم وجود مكر في دهشته تلك، دهش إذ علم انك وافقت على تلك المقابلة، ولكنه ما لبث أن لان قلبه فقال إن طلبي ذاك للمقابلة كان مدوناً في مفكرة مكتبك، ولكن لم ينتبه إليه أحد.» وشعرت فابيا بالارتياح بعد إذ أفضت ما بصدرها ومع ذلك فإن تلك النظرة الغامضة ما زالت تلوح في عيني ذلك الرجل، وعادت مرة أخرى، تتمنى لو استطاعت أن تقرأ أفكاره.

كان تعليقه الوحيد هو قوله: «ولكن لابور أوندراس هو سكرتير من الدرجة الأولى.»

انطلقت أجراس الإنذار في رأسها حين قال: «وأنا متأكد يا فابيا أنك أنت صحفية من الدرجة الأولى كذلك.» وكان هذا رهيباً، ولكنها عادت ففكرت في أن هذه مناسبة جيدة للدخول في موضوع المقابلة وتوجيه الأسئلة. وعاد هو يسألها: «هل أنت في هذه المهنة منذ مدة طويلة؟»

يا للمصيبة، ما الذي يجب أن تفعله الآن؟ وودت من كل قلبها لو لم تخبره أنها في الثانية والعشرين فقط. وأجابت متلعثمة: «إن... كان ذلك منذ... منذ تركت المدرسة.» وشعرت بجسدها يتوهج حرارة خوفاً من أن يسألها عن خبرتها في عالم الصحافة.

سألها: «أتستعملين الاختزال؟»

تساءلت، أما كان عليها هي أن توجه إليه هذا السؤال،

لكنها أجابته: «إنها طريقتي.» واستعدت لكي توجه إليه بعض الأسئلة بدورها مما سجلته في ذاكرتها، وابتسمت أولاً ولكنها وجدت أنه وجد سؤاله التالي أسرع منها.

سألها: «تطبعين على الآلة الكاتبة، طبعاً؟» وفجأة، شعرت فابيا بالم في معدتها. ماذا تفعل لو انه قدم إليها آلة كاتبة لتطبع عليها أجوبته؟

استطاعت بشكل ما، أن تتمالك نفسها، وقالت: «طبعاً.» وأضافت بسرعة: «ولكنني أفضل دوماً أن أدون المقابلات بخط يدي.»

كانت ما تزال تتساءل عما إذا كان ثمة حاجة لأن تضيف شيئاً لهذا الجواب، عندما أدار فجأة دفة المحادثة ليسألها بغتة: «هل أنت متزوجة؟»

أجابت فوراً: «كلا.» وحالاً، أدركت غلطتها. ذلك أن من المفروض أنها كارا، وكارا متزوجة. وكان ينبغي لها أن تقول، نعم. ولكن الأوان فات الآن. ولا بد أن كارا ستفتك بها لو أفسدت كل شيء الآن. وفكرت أخيراً أن كارا، على كل حال ما زالت تستعمل اسم أسرتها، وبالتالي فإن هذه ليست غلطة كبيرة. وهكذا تجاوزت عن غلطتها هذه، لتوجه إليه سؤالاً نبع من تفكيرها الخاص ولا دخل لقائمة الأسئلة تلك به، وهو: «هل أنت متزوج؟»

هز رأسه نفياً وهو يقول: «كنت أقوى من الإغراء بذلك.» وعندما أخذت فابيا تفكر في أنه لا بد هناك نساء كثيرات يأسفن لذلك، سألها: «هل لديك حبيب؟»

أجابت: «لي أصدقاء فقط.»

قال باسماً: «وهذا يفسر حضورك إلى تشيكوسلوفاكيا

www.liilas.com

وحدك في الإجازة، أعني إجازة مع العمل.» وعندما جعلتها عودة ابتسامته الساحرة شبه غائبة عن الوعي، عاد يقول: «لقد ذكرت لسكرتيري أمس أنك كنت تتمنين أن تري مناطق من بلادي. فهل في ذهنك منطقة معينة؟»

قالت بعد أن ذهبت الكراهية لدهائه ذاك من نفسها لتحل محلها المودة: «أحب أن أرى براغ العاصمة، طبعاً. وكنت أفكر في أن أذهب بسيارتي إلى كارلوفي فاري إلى...» وتوقفت فجأة. كيف لها أن تنسى شيئاً مهما كهذا؟ وهتفت: «سيارتي؟»

على كل حال، فقد دخلت مدبرة المنزل غرفة الطعام، وتوقف الحديث لحظة أثناء تغيير المرأة للأطباق المستعملة بأطباق نظيفة، ولاحظت قابيا أن فين تبادل مع المرأة عدة كلمات سارة ابتسمت بعدها هذه وتركت الغرفة.

على كل حال، فقد صممت على أن لا تنسى سيارتها مرة أخرى وهي تذوق الحلوى التي كانت عبارة عن فطيرة الخوخ بشكل يختلف عما اعتادته في بلدها. وفتحت فاها تسأله: «ما هو...» ولم تتمالك نفسها من الضحك عندما قاطعها ذاكراً اسم تلك الحلوى بلغته والذي يتألف من عدة كلمات معقدة أيضاً. وكادت تقسم انها رأت جانبي فمه يرتفعان وهو يحدق في فمها الضاحك.

خفضت أنظارها وهي تتناول عدة ملاعق أخرى من الحلوى، لتتذكر مرة أخرى. فرفعت عينيها إليه قائلة: «بالنسبة إلى سيارتي، انني...»

قاطعها: «آه... نعم، سيارتك لقد اتصلت هاتفياً بالمرآب.» ثم سكت.

وهذه المرة، قاطعته هي تسأله: «ثم؟»

أجاب بعد لحظة: «لقد وجدوا صعوبة في العثور على قطعة غيار تناسبها لكي تتمكن من العمل.»

تنهدت قائلة: «تباً!» ثم سألته برجاء: «هل قالوا كم من الوقت...؟»

قاطعها كعادته: «يقولون ان ذلك قد يأخذ اسبوعاً أو أكثر.»

ساورها الأسى وهي تفكر في أن آمالها في القيام برحلة إلى براغ وكارولفي فاري قد تلاشت. ولكنها، بعد ان فكرت أن من قلة الذوق أن تجلس هكذا تندب حظها، حاولت جهدها إخفاء خيبتها، لتقول بوجه مشرق: «أوه، حسناً، ربما من حسن حظي أنني وجدت من مدينة ماريانسكيه لازنيه بديلاً رائعاً لتلك الرحلة.»

كانت تشعر بنظراته تنصب عليها، فنظرت إليه باسمة، وظنت أنها رأت لمحة من الاعجاب في عينيه، ولكنها ما لبثت أن عرفت أنها مخطئة عندما قال بلهجة عادية: «حسناً، هل نعود إلى غرفة الجلوس لنتناول القهوة؟»

سرت قابيا للعودة إلى غرفة الجلوس، وجلست على المقعد الذي سبق وجلست عليه قبلاً، حيث كانت صينية القهوة موضوعة أمامها، وجلست ثم سكبت فنجاناً ناولته لفين الذي كان جالساً على مقعد مريح بجانبها، ثم سكبت لنفسها فنجاناً.

كان يبدو عليه الاسترخاء والراحة التامة، كما شعرت هي نفسها، أيضاً بذلك. وأحست بالشكر والعرفان له وحسن ضيافته لها. وعندما بدأت ترشف قهوتها، ساورها شعور

www.liilas.com

بالندم. ذلك أنها هنا ليس لمتعتها الشخصية، بل لإجراء تلك المقابلة.

لما كانت هذه فرصة نادرة لذلك، فقد فتحت فاها لتتكلم عندما سألها فين: «إذاً، فأنت تعتقدين أن ماريانسكيه لازنيه مدينة ساحرة الجمال؟»

قالت مؤكدة على الفور: «أوه، نعم.»

قال وهو يرشف قهوته: «ما الذي أعجبك فيها أكثر من غيرها؟»

أجابت: «هندستها، وغاباتها وهواؤها النقي. هنالك شيء غير عادي في هذا المكان، قد يكون تفتح النرجس، والبراعم على الشجر، مجموعة الأعمدة...» وسكتت فجأة، وقد بدا عليها وكأنها تذكرت شيئاً قد سبق ورأته... ثم تابعت: «كل شيء له سحر خاص يضاف إلى جمال المدينة.»

كانت نظراته دافئة وهو يحدق في وجهها، ثم قال ساخراً برقة: «ولكنك لم تشاهدي النافورة التي تغني بعد.»

سألته متعجبة: «النافورة التي تغني؟»

أجاب: «إنها قرب مجموعة الأعمدة. ولكنهم لا يشغلونها قبل شهر أيار - مايو، أو ربما آخر نيسان - ابريل.»

تأوهت متألمة وهي تفكر أنها، في الوقت الذي ستغني فيه النافورة، ستكون هي في وطنها. ثم عادت تسأله: «وهل هي حقاً تغني؟»

أجاب: «تغني؟ طبعاً لا. ولكن الميكانيكيين جعلوها ترقص على أنغام الموسيقى، وذلك كل ساعة.»

هتفت وهي تتصور هذا المنظر: «أوه، ما أجمل هذا.» وانتبهت حالاً، إلى أن نظرات فين إليها أصبحت جادة مع

رقتها، وقد تلاشى الهزل فيها. وفجأة، شعرت بأنفاسها تتوقف، وأنها يجب أن تقول شيئاً، وبسرعة لتتمالك نفسها. قالت: «بالمناسبة... أين الكلب آزور؟»

أجاب بصوت طبيعي: «إنك تحبين الكلاب، كما أرى.» ولم تعد الآن ملامحه جادة كما تصورتها.

سألته: «هل يظهر ذلك عليّ؟»

أجاب: «إنه لا يحدث كل يوم أن يأتي شخص ليجول في أملاكي، وعندما يهجم عليه كلباً مندفعاً بعد أن أخرجته أنا مغلقاً الباب خلفنا، يتقدم هذا الشخص إليه مسروراً وهو يحييه قائلاً: «مرحباً يا عزيزي.» كان فين يذكرها بتلك الحادثة وبأن الكلب لا يمكن أن يخرج أبداً عن سيطرته، لأنه كان موجوداً ورأى كل شيء.»

سألته محاولة إبعاد الحديث عن نفسها: «أرى أنك تحب الكلاب أنت أيضاً؟»

سألها: «كيف حال كاحلك؟» وابتدأ قلبها يخفق بشكل سخيف حين انحنى ممسكاً بكاحلها يتلمسه برقة فائقة، وقد ظهرت علامات عديدة زرقاء مائلة للاخضرار.

عندما أعاد قدمها إلى الأرض بنفس الرقة، ساورها الخجل... كان خجلاً سخيفاً لم تعرف سببه ولم يحدث لها من قبل. وحاولت أن تتمالك مشاعرها وهي تحول نظراتها عنه.

نظرت إلى ساعة يدها. فأخذت تمعن فيها النظر وكأنها ترى شيئاً في غاية الأهمية، وعندما لمحت الوقت، تلاشى حالاً شعورها بالخجل لتهتف مذهولة: «لقد قاربت الساعة منتصف الليل.» إنها لم تعرف من قبل، مساء أمرّ عليها بمثل

www.liilas.com

هذه السرعة، وحالاً انتصبت على قدميها وهي تحاول الاعتذار بقولها: «لم تكن لدي فكرة...»

وقف فين، هو أيضاً وهو يقول بلطف: «هذا يعني أنك استمتعت بهذه الأمسية.»

قالت بصدق: «إلى حد بالغ.» ثم سارت نحو الباب.

لم يحاول فين أن يؤخرها، كما أنها لم تتوقع منه أن يفعل ذلك، ولكنه تركها لحظة ليعطي تعليماته للسائق آيفو ليوصلها إلى الفندق، ثم رافقها إلى الباب الأمامي.

كانت فابيا جالسة في المقعد الخلفي بينما آيفو يهبط بها الوادي عندما تجمّدت ابتسامتها التي كانت ما تزال مرسومة على شفتيها، ذلك أنها الآن فقط تذكرت أنها لم تقم بإجراء تلك المقابلة.

شهقت عالياً مذعورة لهذه الحقيقة. لقد مرّ المساء كله، ولم تسأله أياً من الأسئلة التي زودتها كارا بها، ما عدا أنها عرفت أنه غير متزوج، ولا شيء غير هذا.

عندما أوقف آيفو السيارة أمام باب الفندق، كانت قد أدركت تماماً أن فين عرف عنها ذلك المساء أكثر مما عرفت هي عنه منذ معرفتها به.

الفصل الرابع

إنبلج صباح اليوم التالي غائماً كئيباً، وعندما فتحت فابيا عينيها، وتذكرت ما فشلت في إنجازه ليلة أمس، اصبح مزاجها يماثل ذلك الصباح غماً وكآبة.

بقي شعورها الكئيب ذاك معها في الحمام، وفي غرفة الطعام حيث تناولت طعام الافطار، ثم عادت إلى غرفتها لتفكر في كيفية تمضية ذلك النهار. وأخذت تفكر متأملة، بأن لا جدوى من وراء توجيه اللوم إلى عدم خبرتها. فقد بدا وكأنها ألقت بالفرصة التي سنحت لها ليلة أمس، عرض الحائط، ولو علمت كارا لامتلأت غيظاً منها، وخاصة إذا علمت كم كان ممتعاً موعد العشاء ذاك مع فين غاجدوسك. وشردت أفكار فابيا فترة بالذكرى الحلوة لذلك المساء، وبسحر مضيفها. لقد كان حقاً رجلاً جذاباً غير عادي وأخذت تفكر في عينيه الرائعتين وما لبثت أن انتبهت إلى نفسها وهي تتنهد... ان هذه التصورات لن توصلها إلى شيء.

كما أنها لن تذهب إلى أي مكان. وضغطت هذه الفكرة في نفسها... إنها لن تذهب إلى براغ، كلا ولا إلى كارلوفي فاري، ما دامت سيارتها ليست معها. ولكن، ما دام ليس في استطاعتها أن تفعل شيئاً بالنسبة إلى قطعة الغيار اللعينة تلك فلا أقل من أن تركز انتباهها على مهمتها التي تقلقها. ماذا عليها أن تفعل الآن بعد أن سبق وخسرت فرصتين سنحتا لها لذلك؟

www.liilas.com

صممت فابيا عندئذ، قبل أن تعود شقيقتها وتهيل على رأسها الجمر المحرق، على أن تقوي من عزيمتها وتذهب مرة أخرى لتقرع جرس منزل فين غاجدوسك.

لكن فطرتها ابتعدت بها عن هذه الفكرة. واقتنعت أخيراً أن هذه المهمة ليست بالسهولة التي صورتها كارا، ولم تستطع فابيا تصور نفسها وهي تقرع جرس باب فين مرة أخرى، ولكنها كانت مصممة على أن تقوم بعمل ما في هذا الشأن.

فكرت لحظة في أن تتصل بسكرتيره لابور، وتدعوه إلى العشاء معها في الفندق، ثم تطلب منه أن يتحدث إلى مخدومه باسمها بهذا الشأن، ولكنها نفت تلك الفكرة حالاً من ذهنها، اولاً، لأنها لم تشأ أن تشرك شخصاً آخر في مهمتها القذرة هذه، ثانياً، لأنها تذكرت كيف وضع لابور ذراعه حول كتفيها نهار أمس، هذا إلى تلك النظرة الحافلة بالرغبة التي رأتها في عينيه، كل ذلك جعلها تشعر أن من الخطأ أن تشجعه.

أرغمت فابيا نفسها على الخروج للمشي، ولكن قلقها كان من الشدة بحيث لم تجد في مدينة ماريانسكيه لازنيه أية جاذبية. فعادت إلى غرفتها وهي تشعر بالاحباط لدرجة طلبت مخابرة هاتفية إلى منزلها في الوطن، في وقت تعرف أن والدتها موجودة فيه، وذلك لتعلم ما إذا كانت كارا قد اتصلت بوالديها، هتفت بأمها قائلة: «مرحباً يا أمي. انني فابيا هنا.»

ردت عليها والدتها: «يا حبيبتي يا فابيا. ما أجمل أن اسمع صوتك، هل أنت وكارا بخير؟»

أجابت فابيا وقد علمت من سؤال أمها كل ما أرادت أن تعلمه عن كارا وزوجها قائلة: «إننا بخير تماماً. لقد خطر لي الآن فقط الاتصال بكم.»

أجابت والدتها: «ما أحلى هذا منك، هكذا أنت دوماً.» وشعرت فابيا بالخجل لهذه الخديعة الأخرى لوالدتها. وتابعت الوالدة: «هل كارا بقربك؟»

أجابت فابيا: «كلا. انها ليست معي الآن.»

قالت الوالدة: «ابلغيها حبي إذن. هل تستمتعان بوقتكما؟»

أجابت فابيا: «كثيراً.»

قالت الوالدة: «انني جداً مسرورة لهذا. أين أنت الآن.»

أجابت: «في مدينة ماريانسكيه لازنيه.» وتحدثت عدة دقائق مع والدتها خرجت بعدها بهمّ جديد عندما قالت والدتها: «سنراكما إذاً، بعد أسبوع من الآن. إننا في الانتظار.»

قاطعتها فابيا بعد أن انتبهت إلى أن وصولها إلى الوطن يوم الأربعاء يعني انها يجب أن تشرع في السير يوم الثلاثاء على الأقل، وهي غير متأكدة من أن سيارتها ستكون جاهزة ذلك الحين، فقاطعت والدتها قائلة: «في الحقيقة يا أمي ان هذا المكان ساحر الجمال وقد فكرت في أن ابقى هنا عدة ايام أخرى.» وأسرعت تقول قبل أن يتملك أمها القلق، «هذا إذا استغنيتما عني في العمل أنت وأبي.»

أجابت: «طبعاً يمكننا ذلك يا حبيبتي. ولكن، هل تريد كارا ذلك أيضاً؟»

تباً لهذا الموقف، ها ان عليها أن تستمر في الكذب،

ولكن، بما أنها بدأت بذلك، فعليها أن تستمر في طريقها.

قالت: «إن ذلك يعتمد على... حسناً، على مقدار انشغال بارني. فإذا لم يستطع أن يحصل على إجازته حسب المقرر، لكي تلتحق كارا به، فإنها ستمكث معي، وإلا فستستقل الطائرة إلى اميركا من تشيكوسلوفاكيا.»

سألتها والدتها بقلق: «هل ستكونين آمنة إن عدت إلينا وحدك بالسيارة؟»

أجابت فابيا بملء الثقة: «طبعاً. إنما قد لا يضطرنا الأمر لذلك. لقد فكرت فقط في ما إذا كنت استطيع التأخر عدة ايام.»

ألقت فابيا بالسماعة بعد أن وعدت والدتها بأن تتصل بها ثانية إذا كانت ستتأخر عن يوم الأربعاء. وشعرت بالحيرة وهي تشعر بعدم الرغبة في السفر يوم الثلاثاء القادم وترك مدينة ماريانسكيه لازنيه.

عندما أوت فابيا إلى فراشها تلك الليلة، كانت تشعر بنفس الاكتئاب الذي شعرت به عندما فتحت عينيها في الصباح. وكانت النقطة المضيئة التي اشعرتها بشيء من العزاء هي أن بارني في طريقه إلى التحسن، وعدا عن هذا فإن كل شيء بقي على ما هو عليه. والآن، بعد أن اتصلت بمنزلها هاتفياً، فقد أصبح أمامها خياران يسببان لها القلق، وذلك بعد عودتها إلى المنزل. الأول هو أن تعترف لوالديها بكل ما فعلت وان يكن الاعتذار، مهما بلغ من الحرارة، لن يكفي ليغفرا لها خداعها لهما، حتى ولو كانت نيتها حسنة بأن تجنبهما القلق عليها وعلى بارني، وإما أن تتابعا الكذب، هي وكارا، كلما سألاهما عن تفاصيل

رحلتهما، فتختلقا الحوادث وما فعلاه معاً في تشيكوسلوفاكيا.

هذا وما زالت لم تعرف بعد كيف تتصرف بالنسبة لإجراء المقابلة التي عهدت كارا بها إليها واتمنتها على القيام بها. وأخيراً، جذبت فابيا الغطاء فوق رأسها وحاولت أن تستسلم إلى النوم.

مضى نهار الخميس مشابهاً، في كآبته، لليوم السابق، ونزلت فابيا من السرير لتستحم وترتدي ثيابها ثم لتنزل إلى قاعة الافطار، كالعادة كل صباح، وذلك دون حماس أو شهية.

بعد صعودها إلى غرفتها بقليل، سمعت رنين الهاتف، ولما رفعت السماعة، أشرقت الحياة أمامها عندما سمعت ذلك الصوت القوي الهادىء الذي لا يمكن أن تخطئه اذناها، يقول: «هنا فين غاجدوسك. أخشى أن لا أكون قد أزعجتك؟»

أجابت وقد عاد إليها فجأة حماسها الضائع وبعثت الحياة في نفسها: «كلا، أبداً. انني استيقظ باكراً في العادة. لقد استيقظت منذ مدة طويلة.»

قال جاعلاً قلبها يقفز سروراً: «هذا حسن. إن عندي رحلة إلى مدينة كارلوفي فاري هذا الصباح، وانني أتساءل، حيث أن هذه كانت امنيتك كما سبق واخبرتني، إن كنت تحبين مرافقتي.»

حاولت أن لا تبدي لهفتها عليه، فانتظرت قليلاً قبل أن ترد قائلة: «انني أحب ذلك كثيراً.»

بعد انتهاء المخابرة بدقيقة واحدة، اكتشفت فابيا أن ثمة

www.liilas.com

ابتسامة عريضة تكسو وجهها... ولكن ذلك، كما حدثت نفسها، أمر طبيعي، إذ أن بإمكانها الآن أن تطلب منه، بحزم أن يقرر موعداً محدداً لإجراء تلك المقابلة التي لم تعد بغيضة إلى نفسها.

كانت بالانتظار وعلى أتم الاستعداد، عندما رن جرس الهاتف لتعلم أن السيد غاجدوسك في الانتظار. وهرعت فابيا تهبط السلالم إلى الردهة بعدما لم تستطع انتظار المصعد، وهي ترتدي تنورة واسعة من الصوف وقميصاً، وقد وضعت سترة على ذراعها.

جعل نزولها السلالم على الأقدام عذراً لتسارع انفاسها عندما رأته. وابتسمت له قائلة: «مرحباً.» دون أن تدري لماذا شعرت بالخجل.

تمتم مظهراً استحسانه باندفاعها هذا قائلاً: «ان التي تجعل الرجل ينتظرها، ليست سيدة مهذبة.»

مشت بجانبه نحو سيارته. وعندما كان يدير المحرك انتبهت إلى انها ليست خجولة... ربما تشعر فقط بشيء من العصبية، أو التوتر، أو الانفعال. وفكرت في أن تبقى متمالكة اعصابها إذا شاءت أن لا ينتهي هذا اللقاء بالفشل كما انتهت اللقاءات التي سبقت. كما أنها ليست في حاجة إلى استحسانه لأي شيء فيها.

بعد دقيقة من تركهما ماريانسكيه لازنيه خلفهما، عجبت فابيا لهذا الانفعال الذي اشتعل في نفسها. مما يحمل أي انسان على الظن بأن ثمة ما يهددها، ربما كارثة!

ولأنها لا تشعر بأي تهديد من ناحية فين، أو أي شخص آخر، فقد بدأت تدرك أنها إذا كان عليها أن تصر على أي

شيء، فإنما على جواب أو جوابين من فين. أو، بدقة أكثر، ليكن خمسين من مئة سؤال سجلتها لها شقيقتها.

افتتحت الحديث قائلة بصدق: «أشكرك على تذكرك أنني اتمنى رؤية مدينة كارلوفي فاري.»

أجاب مشيراً إلى الغيوم التي تتجمع في السماء: «من المؤسف أن يهطل المطر.»

قالت بسرور: «ولكن، لا بد أن تمطر السماء أحياناً.» وزاد سرورها حين ضحك لفلسفتها هذه.

بدا فمه اكثر جمالاً عندما ضحك. وأدارت رأسها بسرعة إلى ناحية أخرى، فهي لا تذكر أنها سبق ونظرت إلى فم رجل بهذه الدقة. والأفضل لها أن تنظر إلى شيء آخر.

سألته: «هل لك أخوة او أخوات؟»

صدر عنها هذا السؤال بشكل عفوي دهشت هي له كما لا بد أنه دهش هو أيضاً.

عندما ادارت رأسها تنظر إليه، رأت أن لا أثر للدهشة على ملامحه. وساورها شعور مخيف وهو أنه لن يجيب عن سؤالها، لأنه لم يقل شيئاً لفترة طويلة وقال بعدها وكأنه لم ير سبباً لعدم الجواب: «إن لي أخاً يسكن في براغ.»

تواترت عليها الأسئلة... هل هو أكبر؟ أم أصغر؟ متزوج؟ عازب؟ ولكنها وجدت، في النهاية، أن ليس من الذوق أن تمطر فين بالاسئلة في الوقت الذي يتوقع منها أن تبقى صامتة ليستطيع هو التركيز على القيادة.

عندما وصلا إلى كارلوفي فاري بعد ساعة تقريباً كانت الأرصفة مبللة بالمطر، ولكن المطر كان قد توقف. وتوقف فين برهة أمام أحد المتاجر لينزل من السيارة طرداً سلمه

www.liilas.com

للمتجر ذاك، وكان واضحاً أن هذا كان الغرض من رحلته هذه، ثم سألها: «هل نتناول القهوة أولاً، قبل أن نبدأ بالطواف في المدينة؟» وشعرت فابيا حالاً بالسرور، إذ ادركت أن هذه الرحلة لم تكن مجرد مجيء وذهاب لا غير.

قالت: «إنها فكرة جميلة.» ونظرت بإعجاب إلى شوارع كارلوفي فاري المشجرة ومناظرها الجميلة.

تناولا القهوة في فندق جميل. وبدأت تنظر إلى هذا التشيكوسلوفاكي، المسترخي إلى جانبها. ولكنها، حين فاجأها تنظر إليه، أشاحت بأنظارها بعيداً متصورة أن شعورها بالذنب قد اثر عليها نفسياً لأنها، منذ عرفته، بدأت تراودها أفكاراً غريبة.

أخيراً، صممت على أن الوقت قد حان لكي تتذكر سبب وجودها هنا، وحاولت أن تنفي من ذهنها أية تصورات خرقاء تجعل قلبها يخفق كلما رأته يداوم النظر اليها.

قالت مفتتحة الحديث: «أظن أن لابور قد عاد إلى عمله في المكتب؟» وحالاً تمنت لو لم تتفوه بكلمة لأن ملامح فين تجهمت حالاً، وعندما رفع حاجبه بكبرياء، علمت أن كل سحره قد تلاشى.

قال لها بازدراء: «هل تهتمين بسكرتيري بشكل خاص؟»

هتفت: «كلا.» وغاظها ازدراؤه، فتابعت قولها، «لا يمكن أبداً أن أفكر بالتدخل في عمله نحوك.»

أجاب باقتضاب: «هذا حسن. وعلى كل حال، مادام هو غائباً لعدة أيام، فليس في إمكانك أن تفعلي ذلك.»

اشتعلت نفسها غضباً، واطلقت في داخلها شتيمة وهي تحول نظراتها عنه وعن وجهه الارستقراطي المتغطرس،

وشعرت بانها تفضل أن تراه في الجحيم على أن تتحدث إليه مرة أخرى. هل كان ذنبها أنها أرادت أن تقوم بمحادثة مهذبة؟ ذلك أنها لا تهتم مثقال ذرة بلابور وعودته إلى العمل. مع أن الحقيقة هي أن لابور يأخذ فعلاً إجازات كثيرة، حيث أنه كان في إجازة عند وصولها في الاسبوع الماضي.

صممت على أن لا تنظر، بعد الآن، إلى هذا الانسان القاسي الجالس امامها كما انها لن تطلب منه شيئاً بعد حتى ولا اعادتها إلى ماريانسكيه لازنيه، فهي ستعود بسيارة أجرة. وفجأة توقفت عن التفكير. تباً لذلك، فهي لن تكلمه أبداً بعد الآن بالنسبة إليها شخصياً، ولكن، ماذا بالنسبة إلى كارا؟

التفتت تلقي عليه نظرة متمردة بينما كان هو يتفحصها بصمت، تباً له. وشعرت بالغضب وقد شب في داخلها صراع بين كرامتها وحبها لشقيقتها.

انتصر، أخيراً، حبها لشقيقتها، وكانت تعرف النتيجة في اعماقها. ولكن، مع هذا، فإن كبرياءها لم يكن يسمح لها بالخضوع لأحد. ولهذا فتحت فاها وهي تقول ببرود وقد تجمدت ملامحها: «هل تريد أن تعطيني المقابلة أم لا؟»

يا إلهي، إنها لم تره بمثل هذا المظهر المتغطرس من قبل، كما أنه لم يحدث لها من قبل أن نظر إليها شخص من عليائه كما نظر هذا اليها، وتوقعت، في أية لحظة الآن، أن تسمع منه كلمة «كلا.»

لكن، فجأة، حتى ولو كانت تتمنى أن يطلب لها الفندق سيارة أجرة، فقد رأت، وإنها لتقسم على هذا، رأت فمه يختلج. ولم تستطع أن تصدق ما رأت، ولكن هذا ماحدث. لقد

www.liilas.com

كان يتسلى إذاً! إنها متأكدة من ذلك ولو أنكره هو... هل من المعقول أن فيه روحاً فكاهية؟

لكن الابتسامة التي توقعتها منه، لم تظهر، ولا كلمة الرفض تلك، ولكنه أمال رأسه ناحيتها مقداراً ضئيلاً، وقال بجفاء وقد تجمدت ملامحه: «انك، يا فابيا، تعرفين حتماً كيف تسحرين الرجل.»

اختلجت شفتاها بدورها، ولكن، إذا كان هو قد استطاع أن يكبح ابتسامته، فإنها لم تستطع، بل انفجرت ضاحكة وهي تقول معتذرة: «انني آسفة.» وشعرت بالارتياح عندما لم يستطع ان يقاوم الابتسام. ذلك انه هناك طرقاً متعددة للطلب، وقد علمت الآن أن طريقتها هذه كانت خالية من السحر تماماً.

قال فين: «لقد سامحتك.»

قالت بلطف قبل أن يبرد الموقف: «وماذا عن المقابلة؟»

تمتم: «هممم...» ولكن سرها أن ملامحه بقيت على إشراقها وهو يفكر في طلبها لعدة ثوان، قال بعدها: «بعد سنتين تقريباً. دون عطلة أو راحة، انجزت في الأسبوع الماضي ما اعتقد أنه أحد افضل انتاجي.» وبينما عيناها قد اتسعتا لما سمعته من خبر سيهز عالم الأدب، تابع قائلاً: «وقد اخذته بنفسي إلى دار النشر في براغ بدلاً من إرساله بالتتابع، وهذا يخولني أخذ شهر كامل، وربما اكثر، عطلة ارتاح فيها من كل ما يمت بصلة إلى عملي. والآن.» وبدت المودة في نظراته وهو يتابع، «تأتين أنت، يا آنسة كينغسدال، بغطرستك، تريدين أن تحاصرينني بأسئلة لا تنتهي، تريدين أن أفسد خطتي تلك؟»

غطرستها؟ هل تبدو له متغطرسة؟ وسمرت عينيها عليه وهي تتمنى لو تتركه بسلام وترحل بعد كل هذا التعب الذي اضناه، ولكن ضميرها، وحبها لشقيقتها، ولأسرتها، كل ذلك لم يكن بهذه السهولة.

سألته: «هل تريد القول انك لن تسمح لي بإجراء المقابلة؟»

أجاب بلهجة تجلى فيها من الاخلاص ما جعل قلبها يثب في مكانه: «فلنقل، إننا سننظر في الأمر إكراماً لك ولعينيك الخضراوين الجميلتين.»

ردت عليه فوراً: «انك تعرف حتماً، كيف تسحر الفتاة.» وكسا الابتسام ملامحه بينما أخذ قلبها يرقص فرحاً. وكان عليها ان تنقل بهذا الفوز.

لقد قال انه سينظر في الأمر، وهذا منحها أملاً جعلها تقبل متحمسة باقتراحه أن يجولا في أنحاء مدينة كالوفي فاري، ملقية بكل ما يقلقها جانباً.

كان المطر قد توقف، لحسن الحظ، ولكن السير مع فين، الذي كان يعرف المنطقة جيداً، بدا دون نهاية. وتساءلت فابيا عما إذا كانت ستتضايق إلى هذا الحد لو كان المطر مازال ينهمر.

سألته وهي تقف فوق جسر، تحدق في ما تراءى لها دخاناً بينما لم تشاهد أي نار ظاهرة: «هل هذا دخان؟» وأجابها هو انه ليس دخاناً وإنما بخاراً متصاعداً من الجدول الساخن الذي يخترق المدينة.

أخبرها فين أن اسم كارلوفي فاري هو اسم الملك تشارلز الرابع الذي اطلق على المدينة اثر اكتشافه ينابيع المياه الحارة، في أثناء رحلة صيد، وذلك في القرن الرابع عشر.

www.liilas.com

سألته: «هل هي ساخنة لهذه الدرجة؟» فأخبرها أن حرارة هذه المياه تصل إلى سبعين درجة مئوية.

احتفظت في ذاكرتها بهذه المعلومات وهي تشعر بالسرور لمعاونة فين لها في اخذها إلى حوانيت اشترت منها علبة بسكويت من النوع الذي تشتهر به هذه المدينة، وكذلك بعض زجاجات من الشراب المحلي لوالدها.

لم يطل الوقت، بعد ذلك، إذ هطل المطر مرة أخرى، واستشف فين باحتمال أن يدوم ذلك بقية النهار وتابع قائلاً: «الأفضل أن نعود إلى السيارة.» ثم أمسك بمرفقها عائداً بها إلى سيارته.

كانت تحب لو أمكنها إطالة تجوالها ذاك، ولكنها ادركت أن ذلك سيبدو طمعاً منها، كما أن المطر سيبللها، وأن الحق مع فين في ضرورة العودة إلى السيارة، إذ لم يكن من المنطق أن يتابعا تجوالهما تحت المطر. ولكن المشكلة هي أنها لم تشعر بالرغبة في أن تكون منطقية... ما الذي جرى لها؟

عندما ابتعد فين بالسيارة عن مدينة كارلوفي فاري، حاولت فابيا أن تتمالك شتات نفسها، وتركز افكارها في كل ما شاهدته، الينابيع الحارة... الشوارع المشجرة، أشجار الياسمين. عندما قفز سؤال إلى ذهنها فجأة من حيث لا تعلم. هذا السؤال هو، هل هي منجذبة، في الحقيقة، إلى فين؟

لدى هذه الفكرة، ثبتت ناظريها أمامها دون أن ترى شيئاً. إنها لا تنكر بالطبع، أنه جذاب، ولكنها عرفت كثيراً من الرجال الجذابين قبله... حسناً، ربما شهدت بذلك لواحد أو اثنين.

ـ لحظة أو اكثر قليلاً، عادت فابيا إلى نفسها وهي ... ل عما جعلها تفكر بهذه الأشياء، وبأنها تأسف لعدم مشاهدتها براغ في الوقت الذي اقترب فيه موعد رجوعها إلى انكلترا.

ما زالت هناك سيارتها، كما أنها لم تنس تلك المقابلة، ولكن... وشعرت بالارتباك، إذ بدأت معدتها تحدث صوتاً جائعاً. لقد اعتادت من قبل ان تغفل وجبة من الطعام دون أن تسمع مثل هذا الاحتجاج من معدتها، فما الذي حدث الآن؟

فتحت فاها لتعتذر، عندما سبقها فين بالقول: «آسف، لقد نسيت الوقت.» وحين نظرت إلى ساعتها، وجدت، غير مصدقة، أن الساعة قد اقتربت من الثالثة بعد الظهر. وأدركت أن فين لا ينتبه إلى موعد الطعام عندما يعمل. ومن الواضح الآن، بعد أن استغرق بالعمل حوالي السنتين، أنه لم يعد يعد إلى طبيعته في تناول طعام الغداء بانتظام.

عادت تقول: «أرجو المعذرة.» ولكنها سرعان ما نسيت هذا الحرج البسيط عندما وجدت انهما قد اجتازا نصف الطريق إلى ماريانسكيه لازنيه وشعرت فجأة، بالسعادة، وقالت له: «لقد امضيت صباحاً جميلاً، ووقتاً سعيداً.» ولم تذكر الثلاث ساعات التي امضتها بعد الظهر، والجميلة هي ايضاً، وتابعت: «أشكرك...»

نظر إليها قائلاً: «انني احب كلمة، جميل، تلك، فهي تناسبك.» وخفق قلبها. هل يعني، بذلك، أنه يراها جميلة؟ وبعد ثوان، كان يستدير بسيارته حول منعطف ليظهر في الناحية الأخرى من الطريق حيث برزت امامها أرض صخرية اوقف بجانبها سيارته. ثم استدار نحوها بجانبيته

www.liilas.com

الطاغية تلك، قائلاً: «لا يمكنني اعادتك إلى فندقك بينما معدتك تتوسل طالبة الطعام.»

قالت تعترض: «أوه، ولكن...» ولكن كلماتها ذهبت مع الريح إذ أنه كان قد خرج من السيارة واستدار نحوها يفتح لها الباب لتخرج. ووقفت هي خارج السيارة تجول بناظريها بين البنايات المتفرقة عبر الطريق لترى بينها فندقاً صغيراً ومطعماً.

أجفلت حين التفتت إليه لتراه شبه ملاصق لها وعندما رفعت نظرها إلى وجهه، تملكها الفزع وهي ترى عينيها تغوصان في اعماق عينيه القاتمتين الغامضتين النفاذتين. وعندما اخذت عيناه تتنقلان بين ملامح وجهها، شعرت بانها يجب أن تقول شيئاً... أي شيء، لكي تخمد خفقان قلبها المتعالي.

سألته: «أين نحن الآن؟»

مرة أخرى، تساءلت عما حدث لها، بينما لم يبد على فين شيء من مشاعره وهو يتحرك ممسكاً بذراعها ببساطة ليقودها عبر الطريق، وهو يقول باختصار: «بيكوف.»

كان المطعم بسيطاً يشبه جو البيت. واحبت فابيا هذا المكان على الفور، وسألته بعد أن انتظمت دقات قلبها: «هل تكثر من التردد على هذا المكان؟» وأخذت تحدق في قائمة الطعام التي كانت مكتوبة باللغة التشيكية.

أجابها: «إنها استراحة جميلة.» ولم تستطع فابيا مقاومة نفسها، فانفجرت ضاحكة.

سألها وهو ينظر إلى فمها الضاحك معجباً: «هل قلت شيئاً مسلياً جعلك تضحكين؟»

أجابت: «يوماً ما، ستعطيني جواباً مباشراً لسؤال مباشر، وعند ذلك، يسقط السقف على الأرض.»

أجبت ابتسامته وهو يسألها: «ماذا تحبين أن تأكلي... أتريدين شيئاً مشابهاً للطعام الانكليزي؟»

أجابت متذمرة: «كلا طبعاً. أريد طعاماً تشيكياً أصيلاً من فضلك.»

سألها: «اتريدين أن تذوقي نوعاً من طعامنا اسمه «نيدليكي؟»

أجابت على الفور: «طبعاً.» ولكنها عادت تسأله بفضول: «وما هو النيدليكي هذا؟»

رأت عينيه تشعان بالضحك وهو يقول: «انتظري وسترين.» عندما وصلت النيدليكي، وجدتها عبارة عن قطع من العجين مطبوخة مع اللحم والخضر، ولم تعجب فابيا واكتفت باللحم المحمر ونوعين آخرين طلبهما فين ووجدتهما فابيا لذيذين. وعندما بدأ الطعام وانغمس فين، متفكهاً، في النيدليكي، شعرت فابيا بأن هذه أحسن وجبة تناولتها على الاطلاق.

سألها بعد أن رآها قد نظفت طبقها تماماً: «ماذا تريدين أن احضر لك أيضاً؟»

أجابت: «لا أريد شيئاً آخر.»

عاد يسألها: «إذا كنت متأكدة...»

أجابت وهي تراه يلتفت إلى النادل يطلب الحساب: «يمكنك أن تكمل طعامك.» وحالاً ندمت على قولها ذاك لأنه ما كان بالرجل الذي يتمنع عن الطعام لو أراد أن يزيد منه، أو يتمنع عن إحضار الحلوى لأنها لم تشأ ذلك.

www.liilas.com

قال: «لقد أكلت ما يكفي.» وبعد ذلك بوقت قصير، مضيا معاً إلى المرسيدس.

في حوالى الثلث ساعة التي استغرقاها ليصلا إلى ضواحي ماريانسكيه لازنيه، استمتعت فابيا بالذكريات العذبة لهذا الصباح. صحيح أنه مرت عليها لحظات غير سعيدة أثناء تناولهما القهوة في ذلك الفندق، في كارلوفي فاري، عندما تبادلا، كلمات السخط، ولكن رغم ندرة ابتساماته، كان ذا روح فكاهية.

عندما توقف فين أمام فندقها، أدركت فابيا مبلغ دماثته إذ سمح لها من وقتها [illegible] القد [illegible] ذ [illegible] ط إلى كارلوفي فاري ليوصر [illegible] تلك [illegible] طر، و [illegible] كنه [illegible] لأجله [illegible] إلى الساعة الرابعة.

استدارت لتشكره، ولكنه كان قد نزل من السيارة واستدار ليفتح لها الباب. وعندما خرجت من السيارة وأرادت أن تشكره، كان يرافقها داخلاً معها الفندق ثم يقف معها بانتظار أن تأخذ مفتاح غرفتها من مكتب الاستقبال. ومن ثم، سار معها إلى حيث وقفت تنتظر المصعد.

التفتت إليه تقول بصدق: «اشكرك كثيراً للوقت الرائع الذي استمتعت به.» وشعرت بقلبها يخفق بعنف عندما بدأت عيناه القاتمتان اللتان تتدفقان بالرجولة، تحدقان في عينيها.

وصل المصعد، وبينما كان باب المصعد يفتح، قال لها بصوت عميق: «لقد استمتعت بذلك أنا أيضاً.» وفجأة، شعرت فابيا أنها كالمنومة مغناطيسياً، بينما أخذ رأسه ينحني إليها، وأخذت تتنفس بصعوبة عندما وضع قبلة رقيقة على وجنتها. وتمتم بالتحية بلغته، ثم تراجع إلى الخلف.

دخلت المصعد كمن يمشي أثناء نومه، وهي ترد التحية بصوت اجش. وعندما توقف بها المصعد، لم تكن تعي شيئاً.

عندما دخلت غرفتها، كانت لا تزال تشعر بشبه دوار. وعندما عاد إليها الوعي، تذكرت أنها لم تقل له شيئاً بالنسبة لتلك المقابلة. وارتسمت على شفتيها ابتسامة وهي ترفس حذاءها لتستلقي في سريرها. لقد قال فين انه سيفكر في الأمر، وهذا يعني أنه سيعود إلى الاتصال بها!

liilas.com
هدهودة

الفصل الخامس

استيقظت فابيا صباح يوم الجمعة ووجهها يشرق بالفرح، وبقيت مستلقية فترة وهي تفكر في فين. وبقيت تفكر فيه اثناء اغتسالها وارتدائها ملابسها. ثم نزلت تتناول طعام الافطار الذي كان عبارة عن لبن رائب وجبن وخبز وقهوة.

كانت ترشف قهوتها عندما خطر ببالها، فجأة، كيف ان فين قد احتل أفكارها منذ استيقظت من النوم، والرغبة الشديدة التي تشعر بها لرؤيته مرة أخرى.

ووضعت فنجانها على الصحن وهي تهتف في داخلها، يا إلهي. لقد كانت تحاول أن تكتشف السبب الذي جعلها تشعر بكل تلك الرغبة لرؤيته ثانية. ولكنها لم تعرف، إلا ان رغبتها تلك ليس لها علاقة بتلك المقابلة البغيضة.

عادت فابيا إلى غرفتها لتعترف لنفسها بما لم تشأ الاعتراف به أمس، تعترف بأنها منجذبة إليه فعلاً، وأنه، فعلاً قد سحرها بشخصيته.

عندما كانت تغلق باب غرفتها، كان بعض من نفسها يمانع في هذا الانجذاب إليه، بينما البعض الآخر يعارضه. لماذا عليها أن لا تسمح لنفسها بأن تقع تحت تأثير جاذبيته؟ هل من الغرابة أن تجده أكثر من كل من عرفت من الرجال، جاذبية ومدعاة للاهتمام؟

مضت عليها عشرون دقيقة دون أن تعي، لتنتبه فجأة،

وتزيح فين من افكارها ثم تتساءل عما ستفعله بقية النهار. وبدا النهار غائماً في الخارج، ولكن لم يكن في استطاعتها البقاء في غرفتها دون ان تفعل شيئاً. ولو كانت لديها سيارتها...

انتقلت انظارها إلى الهاتف... أليس من الأفضل ان تتصل به تسأله عن سيارتها، ولكنه سبق وأخبرها بوضوح، يوم الثلاثاء الماضي، أن العثور على قطعة غيار لسيارتها سيستغرق أسبوعاً أو أكثر. فما الداعي، إلى الاتصال به؟

هنا، اهتز جسد فابيا بعد اذ أدركت ان كل ما كانت تقصده هو أن تجد عذراً للاتصال بفين. وثارت كرامتها، عندذاك، فادارت ظهرها إلى الهاتف وكانت على أهبة الخروج عندما صدمتها فكرة هي، أن السبب الذي يدعوها إلى عدم الاستجابة إلى انجذابها هذا نحو فين، هو أنه هو نفسه غير منجذب إليها، وأن هذه المشاعر هي من ناحية واحدة.

لم تشأ أن تخدع نفسها بالتفكير في ان تلك القبلة الخفيفة على وجنتها وهو يودعها أمس، كانت تعني شيئاً. ثم تناولت حقيبتها تعلقها في كتفها، ومشت نحو الباب. عند ذلك، تصاعد رنين الهاتف، لتتجمد في موضعها، قرابة الثانيتين، وبعد ذلك بثانية واحدة، كانت تندفع لتمسك بسماعة الهاتف وقلبها يخفق بعنف. وكانت خيبة املها بالغة عندما علمت ان المخابرة ولو انها كانت خارجية وليست بواسطة الاستعلامات فهي لم تكن من فين بل من سكرتيره.

أجابت تحيته ببشاشة قائلة: مرحبا، يالابور.»

قال لها: «عندما رفضت العشاء معي مساء الثلاثاء

www.liilas.com

الماضي، ذهبت إلى منزل اسرتي في بلزين. ولكن، لو كنت أعلم انك ستسرين بسماع صوتي، لكنت عدت من هناك قبل ليلة امس.»

حسناً، انه لم يضيع الوقت للاستفادة من بشاشتها تلك، والآن، لقد أدركت فابيا بسرعة أن عليها أن تتراجع.

قالت له متجاهلة ما يقصد: «كيف حالك؟»

أجاب: «مشغول جداً.» وبينما كانت تريد ان تقول له ان هذا يحفظه من العبث، تابع قائلاً ما جعلها تصاب بخيبة أمل: «لقد رحل السيد غاجدوسك بعيداً وترك لي الكثير من الأعمال.» بينما شعرت في اعماقها بالغم، استطرد قائلاً: «ويبدو كأنني سأعمل طوال عطلة الأسبوع.»

قالت: «حسناً، لا بد أن السيد غاجدوسك سيمنحك عطلة تعوض عليك ذلك.» وقفز إلى ذهنها خاطر هو: إلى أين تراه ذهب وكم سيتغيب؟

أجاب لابور: «طبعاً سيفعل ذلك، فهو منصف جداً في كل معاملاته.»

قالت متمتمة: «هذا حسن.» وتجاوزت عن كرامتها لتسأله: «قلت إن السيد غاجدوسك قد رحل بعيداً؟»

أجاب بلطف: «لقد سافر إلى براغ هذا الصباح. وقد أخبرني بشكل خاص أن أي شيء تريدينه أو أية مشكلة تعترضك يمكنك أن تلجئي إليّ لأكون بخدمتك.»

قالت وهي تشعر بالسرور لتفكير فين في راحتها قبل ان يسافر: «ما ألطف هذا.»

سألها بلهفة: «هل عندك اية مشكلة؟»

كان عندها مشكلة السيارة، ولكن ما دام فين بنفسه لم

يستطع ان يجعلهم ينتهوا منها قبل يوم الثلاثاء، فهل سيستطيع لابور ذلك؟ وهكذا أجابت: «كلا، أبداً.» ولكن لا يمكنها إلا أن تسأله: «كم يوماً سيغيب السيد غاجدوسك؟»

أجاب: «من يعلم؟ ربما اسبوع او اكثر من ذلك.» وبينما كان القلق يعتمل في نفس فابيا وهي تفكر في كيفية ارجاع سيارتها، لتسافر إلى الوطن، في غياب فين، ولا بأس بالنسبة إلى المقابلة تلك، ثم عدم رؤيتها لفين بعد الآن، كان لابور قد غير الموضوع فسألها: «هل لك بتناول العشاء معي هذا المساء، يا فابيا؟»

كانت تعرف جيداً رغبة لابور في ان يحيل الدعوة إلى علاقة غرامية، ولكن، بما أنه لن يستطيع شيئاً على مائدة العشاء، فانها لم تر ضرراً من القبول. وفتحت فمها لتقترح أن تدعوه هي إلى العشاء في فندقها... لكي تتجنب اية فرصة قد يغتنمها ليضع ذراعه حولها في سيارته... ولكنها وجدت نفسها تسأله: «هل طلب منك السيد غاجدوسك أن تدعوني للخروج معك؟» وحالاً شعرت بالذعر إذ أدركت أن سؤالها هذا يعني أن فين لايبرح تفكيرها.

أجاب لابور وكان سؤالها شيئاً عادياً يحدث كل يوم: «كلا.. ولكن، في الحقيقة، لقد شدد بالدقة على أن يكون حديثي معك في مجال غير شخصي.» وبينما شهقت فابيا للمعنى الذي يتضمنه ذلك، تابع لابور قوله: «انني أنا أطلب منك ذلك لنفسي. أما بالنسبة إلى السيد غاجدوسك، فانا أظنه يعني أنني يجب ان أكون حيادياً في أي عون أقدمه إليك في مشكلاتك؟ فإن الشخص لا يمكنه أن يؤدي عملاً ما بنفس الاجادة التي يؤديها إذا كان حيادياً. أليس كذلك؟»

www.liilas.com

قالت موافقة: «نعم.» ولكن ما كان أشد وضوحاً بالنسبة إليها، هو أن فين شدد بالدقة أن يكون حديث لابور معها غير شخصي... هل معنى ذلك أنه لا يثق بأنها لن تسأل لابور أسئلة شخصية عنه هو؟ وشعرت بالألم لظنه ذاك بأنها يمكنها أن تجري تلك المقابلة عنه من خلال لابور.

قال لابور يذكرها بعد إذ نسيت سؤاله: «إنك لم تجيبي عن سؤالي بعد. سآخذك إلى كوليبا، وستسرين بذلك كثيراً.»

فتحت فابيا لتدعوه إلى العشاء معها في فندقها، قائلة: «إنني...» ولكن خاطراً مفاجئاً طرأ على ذهنها وهو أنه ربما فين سيطوف الأماكن الراقية هذه الليلة متأبطاً ذراع سيدة تشيكية جميلة، ما جعلها ترد على لابور دون أدنى فكرة عما تكون كوليبا هذه، قائلة: «سيسرني جداً الذهاب معك. متى تريدني ان أكون جاهزة؟»

كانت فابيا جاهزة تنتظر عندما جاء لابور لاصطحابها الساعة السابعة إلا ربع في ذلك المساء.

ابتسم لها يحييها قائلاً: «تبدين رائعة الجمال.» رفع هذا من معنوياتها المنخفضة رغم علمها انه لاشك يقول هذا الكلام لكل فتاة يخرج معها.

قالت له متقبلة مجاملته: «شكراً يا لابور.»

قال لها وهو يرافقها إلى خارج الفندق: «إن لدي سيارة أجرة تنتظرني.»

ظهر أن كوليبا عبارة عن مطعم واسع على شكل شاليه مبني من الخشب وقائم بين أشجار الصنوبر الباسقة. وصعدت فابيا الدرجات مع لابور إلى مبنى خشبي محاط

بنوافذ تغطيها ستائر حمراء وبيضاء تشيكية الطراز، حيث اقتيدا إلى احدى الموائد.

كانت ماتزال تنظر حولها باعجاب عندما قال لابور بحرارة: «إنني سعيد جداً لقبولك تناول العشاء معي هذا المساء.»

هنا علمت فابيا أن المبارزة قد ابتدأت. فقالت له: «لم يسبق لي ان جئت إلى كوليبا من قبل.»

قال: «هل أعجبك المكان؟»

أجابت وهي تسحب يدها من يده بعد ان أمسك بها: «أعجبني جداً.»

ابتسم وقال: «لديك يدان رائعتان.»

قالت وهي تضحك: «أوه، يا لابور.» ولم يكن في امكانها إلا أن تضحك، فقد كان رجلاً ظريفاً، وكانت تميل إليه. ولكن، في الوقت الذي كانت فيه جاذبية فين طبيعية أصيلة، كان لابور يستجلبها بالتصنع والتظرف، وكانت النتيجة هي انه إذا كان قد ظن انها ستقع في غرامه، فقد رأته هي، بدلاً من ذلك، مضحكاً.

تجاوز عن هزلها معه، ليحدق في قائمة الطعام، لمدة دقيقة، ثم سأل فابيا: «ماذا تريدين أن تأكلي؟»

الحقيقة انها قد فقدت شهيتها على ما يبدو، ولكن، بما أنها ضيفته وعليها أن تأكل شيئاً، نظرت إلى القائمة التي لم تكن تفهم منها شيئاً، ثم قالت له: «ربما في امكانك ان تطلب لي شيئاً.»

طلب لها طبقاً من اللحم والخضر والبطاطا المقلية، واستمتعت بطعامها بشكل أفضل مما توقعت نظراً لانعدام

www.liilas.com

شهيتها. ولكن الوقت مر عليهما إما في محاولاتها التخلص من مغازلاته وإما في إشغال ذهنها في التفكير في أسئلة توجهها إليه، أسئلة تتركز على مخدومه.

كان ثمة الكثير تريد أن تعرفه عن فين، كما اكتشفت. وهنا، ابتدأ في نفسها صراع، وهو ان كل ما كانت تريد أن تعرفه، لم يكن للنشر لكي تسلمه لأختها... بل أشياء شخصية لنفسها فقط.

لم تستطع أن تسأل لابور أي شيء عن ذلك الرجل الذي اجتذبها إلى هذا الحد. ولكن هذا لا يعني ان لابور سيجيبها عن اسئلتها على كل حال، ذلك انها كونت عنه فكرة ثابتة وهي انه، قد يكون شاباً عابثاً يحب الغزل، ولكنه رغم كل شيء، شديد الولاء لمخدومه.

ولما كانت تعلم انه من غير المناسب ان تسأله أية أسئلة عن فين، فقد كانت حذرة أيضاً من أن توجه إليه أسئلة عن نفسه هو، أعمق من الأسئلة العادية المهذبة. ولكنه لم يكن بحاجة إلى أي تشجيع كما اكتشفت عندما تناولت طعام الغداء معه نهار الثلاثاء الماضي.

سألته: «هل عشت في هذه المنطقة مدة طويلة؟»

أجاب مستفهماً: «أتعنين في ماريانكيه؟» واستنتجت أن ماريانكيه هذه هي مختصر اسم ماريانسكيه لازنيه. فأومأت برأسها بالايجاب. فقال: «فقط منذ استلمت عملي مع السيد غاجدوسك.» وسكت ولكنه لم يقاوم الرغبة في ان يتابع قائلاً: «يبدو انه كان مكتوباً علي أن أحضر إلى هنا فقط لكي ألتقي بك.»

فكرت في أنه من القسوة أن تضحك عليه، ولكنها خوفاً

من تشجيعه إذا أخذت الأمر على مأخذ الجد، فتحيرت قليلاً بالجواب، لتقول أخيراً: «لقد كان هذا مساء جميلاً.» وسرّت في نفسها بعد ان فهم هو الاشارة.

سألها: «هل تريدين أن نعود إلى فندقك؟»

لقد كان الوقت مازال مبكراً، ولكن، بما أنها قد استمتعت بهذه الأمسية بما فيه الكفاية إذ وجدت شخصاً تستطيع ان تتكلم معه بلغتها، فقد أجابت: «هل عندك مانع في ذلك؟»

قال يطمئنها: «هذا من دواعي سروري.» ثم ذهب حالاً يطلب سيارة اجرة.

وصلا إلى فندقها، على كل حال، قبل أن تدرك فابيا انهما كانا متناقضي الهدف في الرغبة في العودة باكراً. إذ أنه، عدا عن رغبته في الامساك بيدها في السيارة، فقد كان مهذباً جداً. وقد قبلت منه هذا كأمر عادي. وكذلك عندما وقف معها في انتظار ان تستلم مفاتيحها من مكتب الاستقبال، فقد فعل فين نفس الشيء امس.

مشى معها أيضاً لينتظر المصعد بجانبها. وعندما التفتت لتلقي عليه تحية المساء، لم يفعل كما فعل فين امس، بل، وبسرعة ودهاء كما لو انه اعتاد على مثل هذا العمل من قبل، وفي لمحة خاطفة، أخذها بين ذراعيه. وعندما حاولت ان تدفعه عنها، كان قد جذبها إلى داخل المصعد وضغط فيه الزر الذي يقود إلى الطابق الموجودة فيه غرفتها. وعندما اغلق باب المصعد جذبها نحوه محاولاً تقبيلها.

عندما وقف المصعد عند الطابق المقصود، كانت فابيا قد تركته متأكداً من أنها لم تبتهج بتصرفه ذاك، إذ قالت له

www.liilas.com

يعنف كلمة «كلا» بلغتها، وبلغته، وباللغتين الفرنسية والروسية أيضاً. وعندما وقف المصعد، وخوفاً من أن لا يكون قد اقتنع تماماً، وجهت إليه دفعة قوية وهي في منتهى الثورة، وعندها، تركها متراجعاً إلى الخلف، وهي تنفجر فيه قائلة: «إياك أن تجرؤ على ان تفعل معي هذا مرة أخرى.» وبينما كان مايزال واقفاً يفكر في الأمر، كانت قد اندفعت إلى غرفتها كالعاصفة مغلقة الباب خلفها.

بقيت فابيا في غرفتها حوالى النصف ساعة قبل ان تهدأ أعصابها بما يكفي لكي تدرك ان ردة فعلها نحو لابور لأنه ضمها بين ذراعيه، كان فيها بعض العنف الزائد عن اللزوم. ولكن فين قد سار معها هو أيضاً، نحو المصعد حيث وضع قبلته الرقيقة على وجنتها... وكان تصرف لابور ذاك بمثابة الاهانة لهذه الذكرى الجميلة في خيالها. وعلى كل حال، فهي لم تشأ أن يقبلها لابور. وفي الحقيقة هي لا تريد أي رجل أن يقبلها ما عدا... أوه، تباً لذلك... وما لبثت أن ذهبت إلى فراشها.

عند الساعة الثامنة، كانت فابيا قد استيقظت من نومها واغتسلت ونزلت إلى غرفة الطعام. وكانت تعبر الغرفة عائدة إلى غرفتها عندما تقدم موظف الاستقبال ووقف امامها وهو يقول باسماً: «ثمة مخابرة هاتفية لك يا آنسة كينغسدال ويمكنك ان تستعملي المكتب هنا، إذا شئت.»

شكرته شاعرة بسرور خفي وهي تتقدم نحو المكتب وقد ارتفعت خفقات قلبها وتناولت السماعة لتسمع صوت لابور وهو يقدم اعتذاره الذي بان الندم في كل نبرة منه.

أجابته بلطف: «آه، صباح الخير يا لابور.» شعرت

بالخجل وهي تتذكر دهشته ازاء ثورتها العنيفة الفائقة الحد إزاء مبادرته تلك، الليلة الماضية.

سألها بحرارة: «هل يمكن ان تسامحيني؟»

شعرت فابيا بشيء من الحرج في ان تقول له، أمام الناس، أن لا يعود إلى هذه الحماقة.

قالت له: «طبعاً.» وحالاً، تساءلت عما إذا كانت قالت ما هو صواب إذ أن لابور لم يضع الوقت فسألها: «وما الذي ستفعلينه هذا النهار؟» وفي الحقيقة أن فابيا كانت تتساءل عن نفس الشيء. ولكن، بينما كانت لاتزال تشعر بالمودة نحو لابور، لم تكن متأكدة، بعد ما حدث الليلة الماضية، من أنها تود الخروج معه مرة أخرى، إذا كان هذا ما يفكر فيه. أجابت بأفضل ما يمكنها قوله بالنسبة إلى وجود الموظف: «وما هي خطتك لهذا النهار؟»

أجاب: «أنا علىّ ان أقوم بعملي.»

قالت: «آه، نعم، لقد ذكرت ذلك من قبل. هل أخذ السيد غاجدوسك الكلب آزور معه؟»

دهش هو لهذا السؤال، وفكر لحظة قبل أن يقرر أن ليس ثمة ضرر من أن يجيبها بقوله: «إن آزور غير معتاد على حياة المدن، ولهذا بقي هنا في المنزل.»

سألته: «هل ستذهب إلى المنزل هذا النهار؟»

أجاب: «طبعاً، فإن مكتبي هناك.»

قالت: «هل تظن ان في امكاني ان آخذ الكلب للنزهة؟»

سألها بدهشة: «أتريدين أن تأخذي ذلك الوحش إلى النزهة؟» وكان من الواضح أنه يظنها مجنونة.

قالت محتجة: «إنه كلب رائع.»

www.liilas.com

قال: «كم اتمنى لو كنت انا ذلك الكلب.» وتنهد فلم تتمالك فابيا نفسها من الضحك. وقالت باصرار: «أتظن أنه يمكنني ذلك؟»

سألها: «أتعرفين الكلاب جيداً؟»

أجابت: «ان عندنا الكثير منها في منزلنا.»

قال: «سأرى إذن السائق آيفو وأساله في هذا الأمر. فهو الذي يأخذ، عادة، آزور إلى النزهة في غياب سيده.»

أنهت فابيا المخابرة وهي تتطلع إلى الوقت الذي تمرن فيه ساقيها في نزهة مع آزور. وكان يوماً غائماً آخر. ارتدت ملابس مناسبة، ثم استقلت سيارة اجرة إلى المنزل.

أجابت على قرع جرس الباب، المرأة التي كانت قد شاهدتها في زيارتها الأولى. والتي تتكلم قليلاً من الانكليزية وكانت خادمة تدعى دغمار. وابتسمت لفابيا قائلة: «ها قد أتيت.» استنتجت هذه انهم كانوا يتوقعون حضورها، ودخلت لترى لابور قادماً من غرفة في اقصى القاعة.

قال للخادمة: «شكراً يا دغمار.» وابتسم لفابيا مصطحباً إياها إلى حيث آيفو وآزور.

شعرت فابيا بالارتياح عندما تذكر آيفو ان فابيا قد اخذت الكلب إلى النزهة، بصحبة سيده يوم الاثنين الماضي، وقد لاحظ عند ذاك، كما الآن، كيف انها أخذت تحك وراء اذنه مما علم معه أنها تألف الحيوانات.

عندما سلمها آيفو آزور، وذهب في سبيله، قال لها لابور وهو يسير معها إلى الباب: «ليس عندي عمل هذه الليلة.»

قالت تعتذر: «آسفة، فان لدي العديد من الرسائل علي أن اكتبها.»

سألها قائلاً: «هل جعلتك تكرهينني؟» وبدا عليه الاكتئاب لهذه الفكرة إلى درجة فكرت هي في أن من واجبها تطمينه، فأسرعت تقول: «لا تكن سخيفاً، يا لابور. إلى اللقاء.» واستدارت إلى حيث كان الكلب ينتظرها، فقكت رسنه ثم خرجت به.

كان آزور كلباً حسن التدريب، حتى ولو لم تكن هي تعرف كلمة واحدة من كلمات التفاهم معه باللغة التشيكية، فقد كان يفهم ما تريد من لهجتها وطريقة نطقها. وهكذا، أظهر سروره البالغ بهذه النزهة بينما هي كانت تشعر بافتقادها لشيء ما. لقد كان فين هنا في المرة الماضية، طبعاً. شعرت بضيق للحظات. ثم حاولت، في الساعتين التاليتين، أن تركز افكارها على آزور.

لا بد أن لابور قد رآها عائدة من نافذة مكتبه، إذ انه كان هناك عندما وصلت هي إلى الباب. وسألها وهو يفكر في ان الانسان يجب ان لا يدع فرصة تفوته: «ماذا بالنسبة إلى الغد؟»

ابتسمت وهي تناوله رسن آزور: «اتصل بي هاتفياً غداً.» وأضافت تشير إلى الكلب: «إنه بحاجة إلى ان يشرب.» ثم قالت لآزور: «وداعاً، يا عزيزي.»

كان الطريق إلى الفندق منحدراً مما جعل السير سهلاً على فابيا، ولكنها، عندما صعدت إلى غرفتها، كانت تشعر بالحرارة، فدخلت الحمام حيث اغتسلت واستبدلت ثيابها، ولما كان وقت الغداء قد حان، فكرت في ان تنزل إلى غرفة الطعام وتتناول وجبة خفيفة.

كانت تأكل العجة بالجبن، مع السلطة، مع انها لم تكن

لتحب هذا النوع من الطعام بشكل خاص، عندما ساورها شعور بعدم الارتياح. مع ان هذا لم يكن غريباً بالنسبة إلى مشكلاتها. وتمنت لو أن سيارتها عندها، ولكن، هل كان في هذا ما يحل مشكلة ذلك الكابوس الذي هو المقابلة؟

عندما تذكرت فابيا المقابلة، تذكرت أيضاً توصية فين للابور بأن لا يعطيها أجوبة عن اسئلة تتعلق به شخصياً. وعند هذه الذكرى التي آلمتها، فقدت شهيتها تماماً.

تركت وجبتها دون أن تنهيها، لتعود إلى غرفتها حيث أمضت بعض الوقت في محاولة ابعاد فين عن تفكيرها. ولكن، ليعود اليها التفكير به متسللاً مما جعلها تشعر بالضجر لذلك، فخرجت من الفندق لتتمشى في انحاء المدينة.

حاولت أن تنفي من ذهنها أن التفكير بفين هو الذي أفسد شهيتها للغداء، وعند العشاء، نزلت تتناول الطعام بشهية كبيرة، ولكن لتعود إلى غرفتها لتكافح مرة أخرى، التفكير في ذلك الرجل.

كانت فابيا على وشك النجاح، عندما رن جرس الهاتف. لابد انه لابور. وشعرت بشيء من الشعور بالذنب لأن قلمها لم يمس الورق هذا المساء.

لماذا يتصل بها يا ترى؟ ولكن، لما عاد الهاتف إلى الرنين، لم تجد بداً من رفع السماعة لتقول بحذر: «نعم.» وكانت السماعة تسقط من يدها لأنه لم يكن لابور... لقد كان فين!

قال ببطء: «لم أكن متأكداً من انني سأجدك.» وفجأة، شعرت فابيا بأنها لا تحب لهجته هذه، كما انها لم تحب تلميحه الخفي بأنه لم يكن متأكداً من وجودها. وقبل كل

شيء، لم تحب قط تصرفه في اعطاء لابور تلك التعليمات عنها.

بدا هذا في لهجتها وهي تجيبه ببرود: «هل اتصلت هاتفياً مساء أمس؟ ما كان لك أن تفعل ذلك.»

قال: «يبدو من كلامك هذا ان ثمة من دعاك إلى العشاء.» وكان صوته وهو يقول ذلك أشد بروداً من صوتها بمراحل. وقبل ان تجد الرد المناسب، عاد يقول: «كم من الرجال تعرفين في ماريانسكيه لازنيه؟»

قالت: «أعرف اثنين. وآخر ما سمعت ان واحداً منهما كان في براغ.»

قال: «ومازال هناك.» وقبل ان تجيب عاد يقول: «هل شاهدت سكرتيري هذا النهار؟»

مرة أخرى، شعرت بالألم. كل شيء كان في منتهى الوضوح. ذلك ان فين لا يريدها ان تقوم بأي محادثة مع سكرتيره. وأجابت بجمود: «لقد كان في المنزل عندما ذهبت لآخذ الكلب إلى النزهة.»

سألها: «إذاً، فقد أخذت آزور إلى النزهة؟»

أجابت: «لقد مشينا أميالاً. هل تمانع في هذا؟» أخبرتها الجلبة التي أحدثها وضعه لسماعة الهاتف بعنف، أنه يمانع حقاً في ذلك. وعندما مدت فابيا يدها تعيد سماعتها إلى مكانها، أدركت فابيا انها كانت ترتجف. لماذا كل هذا؟ وعندما أوت إلى سريرها، لم تستطع تمالك نفسها قبل مضي فترة طويلة.

عادت، مرة بعد أخرى، إلى التفكير في محادثتها تلك مع فين. وتساءلت عما تراه حدث لها؟ ولماذا شعرت نحوه

www.liilas.com

بمثل هذا الضعف والانفعال إلى حد جعلها توشك ان تقول له وداعاً، لولا تلك المقابلة البغيضة؟

لم تعرف ما الذي جعله يتصل بها هاتفياً، وفكرت في احتمال ان يكون قد أراد أن يغير شيئاً بالنسبة إلى تلك المقابلة بعد أن اضطر إلى السفر. وربما كان سيوافق على أن يجيبها عن تلك الأسئلة هاتفياً.

أدركت فابيا أنها مهما يكن، فقد هدمت كل تلك الفرص الآن. كما أدركت أيضاً، بعد فترة تفكير، انها ستكون محظوظة لو ان كارا ستقبل بأن تتحدث اليها مرة أخرى. ذلك أن كارا بذلت كل اعصابها ووقتها في سبيل ان تظفر بهذه المقابلة، وها قد جاءت فابيا لتنسف كل ذلك الآن...

ولكنها، بعد ذلك، أخذت تتساءل عما اذا كانت كارا لتصيب حظاً من النجاح اكثر منها، لو كانت في مكانها، مع ان المفروض ان كارا، حيث انها متمرسة في مهنتها، وهي حتماً كذلك، ما كانت لتثير غضبه بأخذ كلبه في نزهة.

تهيأت فابيا للنوم وقد انهارت معنوياتها إلى الصفر. وعاد فين يحتل افكارها مرة أخرى بينما كانت تستلقي في سريرها تحاول الرقاد.

حوالي الساعة الثانية صباحاً، كانت شبه نائمة، تصاعد رنين جرس الهاتف فجأة. وانتبهت فابيا وقد تسارعت خفقات قلبها، ثم اشعلت النور.

عندما تناولت السماعة، كانت افكارها منصرفة إلى فين، لتنتابها فوراً، حالة فرح عندما سمعت صوت شقيقتها يقول: «ظننتك سافرت إلى براغ، أم انك سافرت وعدت مرة أخرى؟»

انتعشت فابيا: «كارا، ما أشد سروري بسماع صوتك. أين أنت الآن؟»

أجابت: «انني مازلت في اميركا. اعتقد ان الوقت هو منتصف الليل. هل ايقظتك من النوم؟»

قالت فابيا: «أوه، كم أنا مسرورة لذلك.»

بعد عدة دقائق من الحديث عن حالة بارني، سألتها: «وكيف حالك أنت؟»

أجابت كارا: «بأحسن حال، انما متعبة قليلاً. وكيف حالك أنت؟ هل أنت بخير هناك؟»

أجابت فابيا: «طبعاً، وبالمناسبة، لقد اتصلت بالمنزل هاتفياً؟»

قالت كارا بسرعة: «لا أظنك أخبرتهما أنني لست معك، أليس كذلك؟ والا أصررا عليك بالعودة حالاً.»

بدأت فابيا تخبر شقيقتها مشكلة السيارة، ولأنها لا تستطيع العودة يوم الأربعاء، فقد أخبرت امها أنها ستمدد إقامتها وذلك لجمال المدينة... وأن الأم استنتجت أن كارا ستسافر، إذن إلى اميركا من تشيكوسلوفاكيا.

قالت كارا: «هذا هو السبب إذاً في أنك ما زلت في ماريانسكيه لازنيه، وليس في براغ. حسناً، أظن من الأفضل أن تدوني عندك رقم هاتفي إذ قد تحتاجين لشيء ما.» ثم اعطتها الرقم، وانتظرت برهة ريثما دونته فابيا عندها. ثم قالت أخيراً: «حسناً؟»

قالت: «ماذا حسناً، بالنسبة لماذا؟»

قالت كارا: «لا تكوني غبية. كيف رأيته؟»

قالت فابيا: «تعنين فندلين غاجدوسك؟»

www.liilas.com

أجابت كارا: «ومن غيره؟ كيف سارت المقابلة؟ هل...»

انفجرت فابيا قائلة بسرعة: «كارا...»

أجابت كارا بحدة: «ماذا؟» وترددت فابيا قليلاً إذ لم تعرف ماذا تقول. وتابعت: «لا أظنك فقدت قائمة الاسئلة تلك؟»

قالت فابيا: «كلا. طبعاً لا.»

قالت كارا بعد أن تنهدت بارتياح: «هل سألته كل الأسئلة المذكورة على القائمة؟»

أجابت مترددة: «حسناً...»

قالت كارا بشراسة: «ألم تفعلي؟ تباً لك.»

كانت فابيا تعلم في اعماقها، انها ضيعت كل الفرص مع فين، ولكنها لم تشأ أن تزيد من هموم المسكينة كارا وهي التي تمضي وقتاً عصيباً مع زوجها المريض. فقالت لها: «ليس الأمر كما ظننت.»

سألتها أختها باختصار: «ماذا إذن؟» وفكرت لحظة ثم تابعت: «لا أظنك فقدت ملاحظاتك التي دونتها؟»

قالت فابيا إذ لم يكن عندها ملاحظات لتفقدها: «كلا.»

أجابت كارا: «إذاً، فقد أخطأت في القاء الأسئلة. أليس كذلك؟ تباً لك يا فابيا. كان في امكانك ان تقومي بهذا لأجلي، على الأقل.»

قالت فابيا: «انني لم أخطىء في شيء.» وكانت تريد ان تخبرها بأن المقابلة لم تتم بعد، ولكن شقيقتها قاطعتها قائلة: «إنني آسفة. فأنا متأكدة من انك اجريت المقابلة كأحسن ما يكون لأجلي. انني لا أفكر بشكل جيد. إنني آسفة. فأنا لا أنام جيداً واعصابي متعبة جداً.»

قالت فابيا وقلبها يقطر ألماً لأجل شقيقتها: «هل تريدينني أن أحضر إليك؟»

أجابت كارا: «كلا، فأنا بخير، انما فقط اشعر بانزعاج لأجل تلك المقابلة التي تعني لي الكثير. أريد ان أعرف ما جرى فيها، كي أستطيع ان اركز كل طاقاتي على بارني بعد ذلك.»

قالت فابيا: «لقد فهمت.» وساورها الشعور بالذنب. لقد ادركت انها لا تستطيع الاعتراف لشقيقتها بما حدث الا بعد ان تتحسن حالة بارني ويجتاز مرحلة الخطر.

قالت كارا منهية المحادثة: «الأفضل أن أذهب الآن. إنني آسفة لأنه فاتك ان تري براغ ولكنك، عدا عن هذا، مستمتعة بوقتك. أليس كذلك؟»

قالت فابيا بحماس: «أجل، هذا عظيم.» ثم حيتها، ووضعت السماعة جانباً، وهي تحدق امامها بجمود دون ان ترى شيئاً.

هذا عظيم. وهل ثمة أعظم من ذلك؟ إن سيارتها معطلة، وكذلك كذبت على والدتها، كما أنها أساءت إلى الرجل الذي تشعر شقيقتها ببالغ الحرص على عدم الاساءة اليه... وها هي الآن تفهم كارا ان تلك المقابلة اللعينة قد اصبحت في الحقيبة بينما ليس ثمة بصيص من الأمل من اجرائها.

هذا عظيم... إنها لن تستطيع الانتظار إلى الغد لكي ترى اية تعاسة يحملها اليها ذلك الغد.

www.liilas.com

الفصل السادس

بعد عدة ساعات من النوم المضطرب، استيقظت فابيا على ضوء النهار وهي تفكر في أنها لأجل كارا، لن تقبل بالهزيمة بالنسبة لتلك المقابلة، وأنها يجب أن تحاول مرة أخرى.

لكن، ما الذي يمكنها عمله حين تكون هي في ماريانسكيه لازنيه، بينما فين في براغ؟ ولم تستطع أن تجيب عن هذا السؤال وهي تنزل إلى غرفة الطعام لتتناول طعام الإفطار. ولكنها ما لبثت أن أدركت أنها لن تستطيع احتمال كل ذلك القلق الذي لازمها ساعات الليل، وما زال ملازماً لها.

حسناً، لا بأس، لقد أغضبت فين عاجدوسك منها بكل سهولة كما يبدو، ولكنه أكد لها أنه سيفكر في مسألة السماح لها بتلك المقابلة. إذن، سواء كان في إجازة أم لا، وسواء كان غاضباً منها أم لا، فإن المقابلة ما زالت مفتوحة.

مع إطلالة الصباح، لم تسمح لنفسها بأن تعتقد بعد مخابرته لها تلك، بأنها خسرت كل فرصة لتلك المقابلة. وأخذت فابيا ترشف قهوتها وهي تتساءل عن كيفية إنجاز تلك المقابلة، بينما هو هناك وهي هنا؟ ومن أين تبدأ، وكيف؟

بعد حوالي العشر دقائق من التفكير وتمحيص الأمور، استطاعت فابيا أن ترى بوضوح أن هناك مكاناً واحداً لتبدأ منه وهو أن تتصل بلابور هاتفياً لتسأله إن كان فين قد اتصل

به الليلة الماضية، إذ ربما قد أعطاه فكرة عن الوقت الذي سيعود فيه من براغ وإن كانت لا تضمن بطبيعة الحال، أن يخبرها لابور بما يعلم. ولكن، حسب مفهومها ومعرفتها بمقدار ولاء لابور لمخدومه، فإنه حتماً، لن يعتبر أن إعطاءها إشارة عن موعد رجوعه، هو شيء يمس ذلك الولاء.

عادت فابيا إلى غرفتها، ولكن أملها الضعيف ذاك ازداد ضعفاً. ماذا تفعل لو أن لابور أخبرها أن فين سيمكث أسبوعاً آخر؟ ولكنها، في اللحظة التالية عادت ترد على نفسها، حسناً، وماذا لو انتظرت أسبوعاً آخر؟ إن عليها أن تنتظر، على كل حال، ما دامت سيارتها ليست معها. وعندئذ أدركت أنها يجب أن تقدم على خطوة أكثر ايجابية.

بعد خمس دقائق من التفكير الايجابي، قررت أنه ما دام عليها أن تنتظر في ماريانسكيه لازنيه، عودة فين، وما دام عندهم في تشيكوسلوفاكيا قطارات، فإن بإمكانها هي أيضاً أن تذهب إلى براغ. إن احتمال أن تصادف فين هناك ليس بالضئيل، فهي تعلم هذا وهذا أفضل كثيراً. على كل حال، إذا كانت تريد أن تملأ وقتها إلى حين عودته، فهل هناك أفضل من السفر إلى العاصمة، وتمضية عدة أيام في الطواف في أنحائها؟

ارتاحت نفسها إلى هذا القرار، إذ ربما حين عودتها، ستجد سيارتها جاهزة بانتظارها، ثم أنه عليها أن تتصل بوالديها، بطبيعة الحال، لتخبرهم بتمديدها لعطلتها. إنما بالنسبة إلى الآن... وأخذت الرسالة التي تحوي عنوان فين ورقم هاتفه من حقيبتها.

انتظرت إلى ما بعد العاشرة، لكي تطلب اتصالاً هاتفياً من

www.liilas.com

مكتب الاستقبال، آملة أن يكون لابور في العمل نهار الأحد هذا.

عندما جاءت مخابرتها، والتقطت السماعة لتجيب، أدركت أنها ليست بحاجة إلى سؤال لابور عن موعد حضور فين، ذلك أن فين أجابها بنفسه.

شهقت بدهشة وقد أسرعت خفقات قلبها، وتوقف ذهنها عن التفكير ولم تعرف ماذا تقول إلى أن قال فين ببطء: «أنت طلبتني.»

انتبهت بسرعة وقالت: «أوه، نعم... ولكن، في الحقيقة، كنت أتصل لأتكلم مع لابور.»

سألها ببرود وقد بدا في صوته فجأة نوع من العداء: «أتريدين التحدث إلى سكرتيري؟»

مرة أخرى، تذكرت كيف أن هذا الرجل يظن أنها تريد أن تتحدث عنه من دون علمه، لتأخذ عنه معلومات من سكرتيره. وشعرت بالغضب، ولكن ليس بامكانها ان تغضب، أو أن تجعله يشعر بالاستياء مرة أخرى، فتنفست، تستجمع بذلك مشاعرها، لتقول بهدوء: «في الحقيقة أردت الاتصال بلابور لأسأله عن موعد رجوعك من براغ.»

كان جوابه الصمت، ولكن، حين بدأ قلقها يشتد، سألها فين: «هل أردت رؤيتي؟»

أجابت: «طبعاً.» ثم اندفعت تضيف: «حسناً، لقد قلت إنك...» وضعف صوتها، ولكن كلا، يجب أن لا تخسر هذه الفرصة، وتابعت: «بالنسبة إلى المقابلة...»

أجابها بعنف: «وهل أصبح هذا أمراً مستعجلاً فجأة؟» تمنت فابيا، من كل قلبها، لو تضربه.

شعرت بأنه يتعمد مضايقتها. وجاهدت مرة أخرى لكي تتمالك نفسها وأجابت: «المسألة هي أنني فكرت في الذهاب إلى براغ.» وسكتت لحظة لتتمالك هدوءها ثم تابعت: «ولكن، إن كان في إمكانك أن تمنحني عدة دقائق من وقتك، فإنه يسرني أن أرجىء سفري.» وأضافت بينها وبين نفسها، أنها قد لا تذهب إلى براغ أبداً.

ساد الصمت مرة أخرى وانتظرت آملة أن يكون جوابه بالإيجاب.

عندما تكلم، مع أنه لم يكن ضد فكرة المقابلة أبداً، سألها بقطرسة: «وكيف ستذهبين إلى براغ؟ هل أعادوا إليك سيارتك؟»

أجابت: «كلا.» وأدركت من سؤاله أنه كان قد أبلغ المرآب اسمها واسم الفندق الذي تقيم فيه. وتابعت: «لكن في استطاعتي الذهاب بالقطار. إن علي فقط أن...»

رد عليها بلطف جعل قلبها يخفق مرة أخرى: «أظن أنه يمكننا القيام بما هو أفضل، لذلك أنني عدت إلى البيت لآخذ بعض الأوراق، وسأعود إلى براغ بعد الظهر.»

قالت: «أوه...» هل كان يعرض عليها أن يوصلها معه؟ وخفق قلبها بعنف.

سألها قبل أن تلقي إليه بأي جواب: «هل حجزت غرفة في مكان ما؟»

أجابت متلعثمة: «ك... كلا... ولكن...»

قال: «إن من الصعب أن تقومي بذلك في مثل هذه المدة القصيرة.» وخفق قلبها، فلنفرض أنه عرض أن يوصلها معه إلى براغ، فما الفائدة إذا لم يكن في استطاعتها أن تجد

www.liilas.com

مكاناً تبيت فيه؟ وتملكتها الدهشة اذ وجدته يتابع قائلاً: «يوجد غرفة خالية في الجناح الذي استأجرته لهذا الشهر، يمكنك المبيت فيها إذا شئت.»

شهقت قائلة: «أيمكنني ذلك؟ هذا كثير.» وكاد ذهنها يكف عن العمل، ولكنها تمالكت نفسها لكي تستطيع التفكير في الأمور الهامة. وشعرت بأن هذا الوقت غير مناسب للإصرار على إجراء المقابلة رسمياً، وأيضاً شعرت بأنه ليس الوقت الذي تدفع بعيداً هذا الحظ المؤاتي. وهكذا قالت بسرعة: «شكراً، ان هذا لطف بالغ منك.»

قال: «كوني جاهزة إذن، الساعة الثانية.» ثم أنهى المخابرة.

جلست بعد ذلك مصعوقة لا تكاد تصدق أنها ذاهبة إلى براغ مع فنلين غاجدوسك... وأنه قد سمح لها باستعمال غرفة في جناحه في الفندق هناك.

كانت لا تزال تشعر بعد مضي ساعة برعشة في جسدها... لقد كانت ذاهبة إلى براغ... ومع فين... عندما أدركت فجأة أنها لم تكد تتحرك منذ تلك المخابرة الهاتفية، من الأفضل إذن، أن تقوم بعملها كي لا تجعل فين ينتظر طويلاً.

حزمت فابيا أمتعتها، ثم نزلت إلى المكتب لتدفع حسابها. وعندما أخبرت الموظف انها ستعود قريباً ولكنها لا تعرف بالضبط متى، اقترح عليها أن تترك بعض أمتعتها في مخزن الفندق. قبلت شاكرة هذه الفكرة التي وجدتها ممتازة، ثم عادت إلى غرفتها تعيد تنظيم أمتعتها لتأخذ معها إلى براغ ما تحتاجه هناك.

في الساعة الثانية إلا عشر دقائق، كانت قد سلمت الموظف أكبر إحدى حقيبتيها، وتناولت شطيرة جبنة وفنجاناً من القهوة، ثم جلست في قاعة الانتظار. ولتقتل الوقت، أخذت تفكر في تلك المقابلة عند ذلك، أخذت تتساءل عما إذا كان في إمكانها استغلال فرصة تلك الرحلة التي تقدر بمئة كيلومتر، وذلك لإلقاء بعض أسئلة كارا!

تذكرت أنها، أثناء رحلتهما إلى كارلوفي فاري، لم تشأ أن تشغله بأسئلتها عن تركيز ذهنه على القيادة. وهكذا شعرت فابيا بالنفور من هذه الفكرة، ذلك أنه ليس من الانصاف أن ترميه بالسؤال تلو السؤال منذ اللحظة التي يدخل فيها إلى سيارته في ماريانسكيه لازنيه إلى أن يخرج منها في براغ، خصوصاً عندما يشتد زحام السير في اتجاه المدينة، ولكن الاستعجال في إلقاء تلك الأسئلة عليه حال وصولهما، كان ضرورياً. وبدا الأمر لفابيا في غاية السهولة إذ قالت: «كل ما أريده هو أن تعود إليّ أجوبة مترابطة الأحداث...» ولكن، مجرد محاولة تقديم بعض هذه الأسئلة إلى هذا الرجل تجعل من هذه المقابلة سيئة الحظ، شبحاً مفزعاً يحتل معظم تفكيرها.

لكن، فجأة، شعرت فابيا أنها نالت ما يكفي، ولكن ليس معنى هذا أنها ستتخلى عن كارا، فهي لن تفعل ذلك مطلقاً، ولكنها لن تفكر بعد الآن في تلك المقابلة اللعينة إلا بعد أن تصل إلى براغ. ولم يكن عندها فكرة طبعاً كم ستجمعها الصدف بفين أثناء وجودها في جناحه في الفندق، ولكنها صممت تماماً الآن أن تحاول إيجاد فرصة تستطيع فيها بحث هذا الموضوع معه.

www.liilas.com

كانت تراقب الباب، في تمام الساعة الثانية عندما دخل رجل تشيكي فارع القامة إلى الفندق. وما ان بدأ قلبها السيب غير معروف يخفق بشكل سخيف، حتى رآها فاتجه نحوها.

قال ببساطة وهو ينحني ليتناول حقيبتها التي كانت قد مدّت يدها لتحملها: «هل هذه الحقيبة فقط؟»

أجابت: «لقد تركت الحقيبة الأخرى هنا.»

قال: «فلنذهب إذن.» ووضع يده على ذراعها يقودها نحو سيارته.

عندما أصبحت مدينة ماريانسكيه لازنيه خلفهما، بدأت تحدثه قائلة: «كم ساعة يستغرق الطريق للوصول إلى براغ؟»

أجاب: «ساعتين على الأكثر، هل سبق وأمضيت عطلة في براغ، من قبل؟»

أجابت: «كلا. أبداً.»

قال: «حتى ولا رحلة عمل إلى هذه المدينة؟» كان سؤالاً معقولاً بالنسبة إلى ظنه بأنها صحفية، كانت تدرك ذلك ومع هذا تملكها الشعور بالذنب. لقد أدركت فابيا الآن مبلغ العفوية التي سادت علاقتها مع فين، وكيف نسيت أنه من المفروض أن تكون هي كارا كينفسدال، الصحفية المحترفة.

أجابت بهدوء: «كلا.» ومنعها ذلك الشعور بالذنب من أن تنظر إلى وجهه فحولت وجهها نحو النافذة تنظر إلى الخارج.

بقي هذا الشعور بالذنب يثقل نفسها طيلة الطريق إلى براغ. وعند ذلك فقط، أدركت فابيا أنه ما كان لها أن تقبل دعوته قط. لم يكن ذلك صواباً بل كان خداعاً له. لقد كان

يظنها شخصاً آخر، وستثور ثائرته لو علم الحقيقة. ولم يكن من اللائق أن تدافع عن نفسها بأنها كانت تقصد أن تنتحل شخصية أختها لساعة واحدة فقط، ولكن الأحداث لم تسر كما توقعت. فالخداع سيبقى هو نفسه، ولو كان لدقيقة واحدة لقد قبلت دعوته مدعية شخصية أخرى، وكان هذا خداعاً... وكانت تعلم بالغريزة أن فين رجل يمقت الخداع، وسينفصل عنها إذا هو عرف الحقيقة وليس أمامها الآن إلا أن ترجو أن لا يعرف الحقيقة أبداً.

قال فجأة: «ها هي براغ، لقد دخلناها الآن.» وأخذت تجيل النظر حولها. وقالت: «كل شيء هنا يبدو أكثر تمدّناً.»

قال: «والحرارة أشد أيضاً.» وبعد ذلك بفترة قصيرة كان يقف أمام الفندق.

بعد ذلك بمدة قصيرة، كانا يصعدان إلى حيث يقوم جناح فين، وسارا في الممر حتى وصلا إلى الباب الذي دخلا منه إلى ردهة واسعة على يمينها حمام مترف، بينما إلى اليسار قام صف من الخزائن مبنية في الجدار. وفي وسط الردهة كان هناك باب آخر دخلا منه لتقف فابيا وسط قاعة جلوس ذات أثاث مريح.

تبعهما حمال بأمتعتهما. ولاحظت أن ثمة باب يؤدي إلى الشرفة يقوم بين بابين آخرين.

حمل فين حقيبتها متوجهاً نحو الباب الذي إلى اليسار وهو يقول: «هذه غرفتك.» وعندما تبعته إلى غرفة النوم الجميلة تلك، قال لها: «أرجو لك حظاً سعيداً هنا. وأثناء تنظيمك لأمتعتك سيحضر إلينا النادل الشاي.»

سألته بذهن شارد: «الشاي؟»

www.Hilas.com

قال: «أريد أن أثبت بذلك أنني لا أنسى دوماً مواعيد المناسبات المنعشة.» كان يتكلم ببطء، ولكن في عينيه ثمة هزل جذاب فتنها. وابتسمت عيناها له وكذلك فمها. ورأت نظراته تنحدر نحو فمها، ولكنه استدار فجأة خارجاً وما زالت نبرات صوته في أذنيها تدخل إلى نفسها السرور، وهو يقول لها أثناء خروجه من غرفتها: «سنتناول الشاي في غرفة الجلوس.»

وجدت نفسها بعد خروجه تبتسم دون سبب وأشرق وجهها وهي ترى أنه لم يوصلها بسيارته فقط، بل ويمنحها غرفة في جناحه ليتركها بعد ذلك دون اهتمام لينسى كل شيء عنها.

كانت وهي تخرج امتعتها من الحقيبة، أنها لن تستغل كرم فين إذ هو دعاها أحياناً إلى فنجان شاي. ولكن عندما عادت إلى غرفتها، شعرت نحوه بالشكر إذ، بدلاً من أن يتوجه إلى غرفته للراحة، دعاها لمشاركته الشاي حيث أبقاها معه نصف ساعة.

كانت تضع حاجياتها في الأدراج، عندما سمعت أصواتاً في غرفة الجلوس، ثم سمعت الباب الخارجي يغلق لتستنتج أن النادل قد أحضر الشاي.

شعرت فابيا بالإثارة تغمر نفسها وهي تسرح شعرها الذهبي الطويل، كما رأت نفسها تبتسم دون وعي منها. عند ذلك، تركت المشط من يدها وأدارت ظهرها إلى مرآة طاولة الزينة، لتنفي من ذهنها أن ثمة شعوراً بالإثارة في نفسها، انها لا تمانع في تناول فنجان شاي معه، وكانت ظمأى حقاً، ولكن متى كان فنجان الشاي يسبب مثل هذه الإثارة؟

هكذا نفت من ذهنها هذه الفكرة، وتركت غرفتها لتجد أن فين قد سبقها إلى غرفة الجلوس، وعادت إليها ابتسامتها مرة أخرى. ولِمَ لا؟ إنها في براغ، ويجب أن تكون سعيدة.

مدت يدها تجذب كرسياً لتجلس عليه أمام صينية الشاي. قالت له: «هل أكون أنا الأم؟»

أجاب: «عفواً؟»

قالت تعتذر: «أرجو المعذرة، إنه تعبير انكليزي يعني، هل أسكب الشاي؟»

قال: «إنك تريحينني بذلك.» وكان المزاح يبدو في لهجته، ولكن التسلية كانت تبدو في عينيه مما أشعرها بالسرور، وسحب كرسياً بدوره ليجلس أمامها قائلاً: «افعلي من فضلك.»

سكبت فابيا فنجاني شاي ناولته أحدهما، وسألته: «حلوى؟» ونظرت إليه جالساً بكل راحة وقد سوّى ساقيه أمامه. هز رأسه نفياً، ولكنها لم تستطع مقاومة الإغراء، فأخذت قطعة ثم ذاقت واحدة من كل نوع من الأنواع المتعددة التي كانت على الصينية. وعندما رفعت أنظارها إليه فجأة، رأته يراقبها باسماً، فقالت: «انني شرهة، أليس كذلك؟»

قال: «أحسست بالعجب. إذ بينما معارفي من النساء ينكمشن فزعاً من منظر هذه الحلوى، أراك تتناولينها بكل لذة دون أن يؤثر ذلك على جمال جسدك ورشاقته.»

سرّت فابيا إذ ترى فين معجباً بجمال جسدها، وإن كانت لم تتأكد من شعورها نحو معارفه من النساء، ولكنها ابتسمت وأجابته ببراءة: «انني أمشي أحياناً عدة أميال وربما هذا هو السبب في ذلك.»

www.liilas.com

قال: «هل تذهبين إلى مكتبك في لندن مشياً على الأقدام لتوفري سيارتك حين لا يكون عندك مقابلات؟»

انحدرت نظرات فابيا إلى الأرض وقد عاودها الشعور بالذنب. عليها أن تكون الآن أكثر حذراً لئلا أنها في مثل هذه المحادثة البريئة كاد لسانها أن يزل بسهولة.

رفعت رأسها باسمة وهي تقول: «على ذكر المقابلات، انني أعرف أنك في إجازة أو ما شابه، انني لا أريد في الحقيقة، أن أكون متطفلة ولكنك قلت...»

قاطعها: «لقد قلت انني سأفكر بالأمر.» ولكنها سرّت إذ وجدت أنه ما زال مسترخياً هادئاً دون أن يظهر تضجراً لإعادتها ذكر هذا الموضوع. وتابع قائلاً: «وكما ذكّرتني، فإنني في إجازة. وكذلك أنت.» ولاحت على فمه شبه ابتسامة وهو يتابع: «قبل أن يمضي وقت طويل، سأتحدث معك بشأن المقابلة. أما الآن...» واتسعت ابتسامته وهو يستطرد: «انني مصر على أن ننسى، نحن الاثنين العمل، لنستمتع براحتنا هذه.»

تمتمت هي: «آه...» لقد كانت تريد في الواقع أن تحصل على موعد محدد. ولكن فين الذي يبدو أن العمل قد أنهكه، قال انه سيتحدث في هذا الأمر قريباً، وأدركت أن ليس بوسعها أن تحصل على عرض أفضل مما قدمه لها الآن، وبالنسبة إلى الإجازة، حسناً، من وجهة نظرها هي، يمكنها أن تريح نفسها من التفكير في تلك المقابلة والقلق بشأنها لعدة أيام تقضيها في براغ مستمتعة. وشعرت لذلك بالخفة والارتياح.

قال لها فين وكأنه قرأ أفكارها: «هل وافقت؟»

ولما كانت تعلم أن ليس أمامها خيار آخر، أجابت: «نعم، طبعاً.» ليكافئها، عند ذاك بابتسامة وهو يقول باختصار: «هذا حسن.»

دهشت وهو يضيف قائلاً: «إنني أقترح أن نتناول العشاء في الساعة الثامنة، وهذا...»

قاطعته هاتفة: «نتناول؟»

سألها: «هل عندك مانع من ذلك؟»

قالت: «كلا، ولكن...»

قال: «حسناً، سأرتبط مع سيارة أجرة للساعة السابعة والنصف، ثم...»

قاطعته مرة أخرى: «ولكن...» ثم سكتت، وعندما لاحظت نظرته الحادة الغاضبة إليها، عادت تقول: «ولكنها إجازتك وأنت غير ملزم بأن تمضي وقتك معي وتأخذني إلى العشاء.»

حالاً، تلاشت ملامح الحدة والغضب من ملامحه وحل محلها نظرة تسلية في عينيه القاتمتين وهو يقول ببطء: «إنني أعلم ذلك، يا فابيا. صدقيني انني ما كنت لاصطحبك إلى أي مكان لو لم تكن هذه رغبتي.»

فكرت هي، ما أروعه... ثم أجابت بهدوء: «شكراً.» ثم أضافت وهي تفكر في أنها ستغسل شعرها، رغم أنها سبق وغسلته أمس: «أسألك المعذرة، إذ هناك عمل أريد أن أقوم به.»

كانت جاهزة تماماً عند الساعة السابعة والنصف ذلك المساء، وقد عاد إلى نفسها ذلك الشعور بالإثارة الذي انتابها من قبل. ونظرت إلى نفسها في المرآة تطمئن على مظهرها، إن فين غاجدوسك رجل يحب المظاهر فهل تراه سيعجبه ثوبها الأسود الأنيق والطريقة التي رفعت بها

www.liilas.com

شعرها من الخلف مثبتة إياه بعقدة تقليدية فوق رأسها.

فكرت بسرعة، ان هذا لا يعني أنها تتأنق خصيصاً لأجله. فقد اعتادت أن ترفع شعرها بهذا الطراز في المناسبات. كما أنها عندما اشترت ذلك الثوب الأسود، لم تكن تحلم بأنها يوماً ما ستجتمع بفين... إذن، فليس هناك شخص يمكنه القول انها اشترت هذا الثوب لكي ترتديه لأجل فين غاجدوسك.

تساءلت، لماذا تقدم لنفسها كل هذه الأعذار على كل حال؟ ونظرت إلى ساعتها الأنثوية الصغيرة لترى أنها يجب أن تكون الآن في الردهة تنتظر حضور سيارة الأجرة، وعادت تفكر في أنها ليست بحاجة إلى اختلاق الأعذار، ذلك أنها ضيفة فين ومن المنتظر منها أن تبدو إلى جانبه، في أحسن حالاتها.

بعد ذلك بدقيقة واحدة، تيقنت مما إذا كانت تبدو في أحسن حالاتها حقاً، ومما إذا كان منظرها يعجبه. دخلت غرفة الجلوس، وكان قد سبقها إليها لتراه رائع المظهر لا تشوب أناقته شائبة.

تمتمت: «مرحباً.» وقد شعرت للحظة بخجل غير متوقع.

تمتم فين وهو يتقدم نحوها: «مرحباً أنت أيضاً يا فابيا كنفسدال.» ووقف ينظر بصمت إليها في ثوبها الأسود، وطراز شعرها هذا، وفي بشرتها الخالية من كل عيب، وقوامها الرائع، ثم قال: «كنت دوماً أراك رائعة الجمال بالقدر الذي أراك فيه الآن.» وحدق في عينيها الخضراوين الواسعتين وهو يضيف بهدوء: «إن كلمة رائعة الجمال لا تفيك حقك.»

فتحت فابيا فمها لترد بجواب مناسب، ولكن خفقان قلبها كان يتسارع، ذلك لأنه لم يمدحها أحد بهذا الشكل من قبل، كما ان هذا المديح بدا صادقاً مخلصاً ليس فيه أي تزلف مما جعلها لا تعرف ما الذي ينبغي أن تقوله سوى أن تجيب بصوت أجش: «شكراً يا فين.» وبقيت نظراته متشابكة بنظراتها لحظة، ثم وكأنه يقدم التقدير لجمالها، مدّ يده ليمسك يدها بكل كياسة ورقة، ثم يرفعها إلى شفتيه، وهو يقول: «هل نذهب؟»

عندما أنزلتهما سيارة الأجرة أمام المطعم، كانت فابيا تشعر بالهدوء والرزانة، ومع ذلك عندما مشى فين معها إلى حيث حجزت لهما مائدة، شعرت بتأثير ثيابه وقوته البالغة عليها.

كانت قاعة الطعام عالية السقف تتألق بالثريات البلورية ويسود جوها التحفظ وهكذا، مرّ الوقت بهما بهدوء. كانت الخدمة جيدة والطعام لابأس به. أما مرافقها... فقد كان رجلاً حسن المعشر إلى حد بالغ، إذ كان في استطاعته أن يتحدث في أي موضوع بتفهم وطلاقة فيجعل السامع يطلب المزيد، ويشعره بالسرور لصحبته.

بدأت وجبتها باللحمة والكافيار الذي كان من نوع جيد. ثم حساء القطر، هذا إلى نوع جديد عليها من الطعام لم تستطع أن تحفظ اسمه التشيكي الذي يتألف من خمس كلمات، والذي كان عبارة عن لحم عجل مسلوق وصلصة الجبن وصفار البيض، وبجانبه الأرز. وبالكاد استطاعت أن تترك في معدتها فسحة صغيرة للآيس كريم في نهاية الطعام. وأثناء تناول القهوة، كانت فابيا تشعر بالشبع

www.liilas.com

التام. وكانت طوال الوقت تضحك من وقت إلى آخر لكلمات كان يتفوه بها فين، وضحكت مرة طويلاً لكلمة تفوهت هي بها... وهكذا مرّ بهما الوقت وكأنهما يطيران فوق السحاب.

ختاماً لكل تلك البهجة قال لها فين وهو ينتظر قائمة الحساب: «لقد كنت مرافقة ساحرة.»

هي مرافقة ساحرة؟ وأرادت أن تهتف بأنه هو الذي كان كذلك بسحره الطبيعي غير المتكلف. ولكنها قالت بدلاً من ذلك: «إنني أمضيت وقتاً رائعاً.» وعندما أوصلتهما سيارة الأجرة بعد ذلك بدقائق، إلى فندقهما، شعرت بأنها مرت بحلم جميل.

عندما دخلا جناحه في الفندق، سألها إن كانت تحب أن تشرب شيئاً قبل النوم.

كان الإغراء كبيراً، ولكن، حيث أنها كانت تريد أن تستعيد حلم هذه الليلة الرائعة، وذلك باستعادة كلماته التي ملأت خيالها. (ما كنت لاصطحبك إلى أي مكان لو لم تكن هذه رغبتي.) وأيضاً قوله. (لقد كنت مرافقة ساحرة.) فقد كان هذا كافياً لكي تبعد عنها إغراءه ذاك، إذ يكفي ما قدمه إليها حتى الآن ومن غير المستحسن أن تستغل كرمه ذاك. وهكذا أجابته: «أشكرك، أظن من الأفضل أن أتهيأ للنوم الآن.» كان رفضها مهذباً ولكنها أضافت: «وشكراً لهذه الليلة الجميلة.»

قال: «كان في هذا سروراً لي، ليلة سعيدة يا فابيا.»

ردت عليه التحية وهي تدخل غرفتها، لتمضي دقائق مستندة إلى الباب وعلى شفتيها ابتسامة حالمة.

بعد ذلك بدقائق سمعت صوت باب يغلق، وتكهنت بأن فين

ذهب إلى فراشه دون أن يتكلف عناء تناول شراب قبل النوم، ثم ابتعدت عن الباب وخلعت ثيابها، وارتدت قميص النوم واضعة على كتفيها شالاً رقيقاً، ثم تركت غرفتها حاملة ثوبها الأسود لتجتاز غرفة الجلوس إلى الردهة لتعلق ثوبها في الخزانة. ثم دخلت الحمام حيث أخذت حماماً سريعاً.

كانت وهي تغتسل وتعيد ارتداء قميص نومها لا تزال تحلم بذلك المساء الجميل حتى وهي تخرج من الحمام لتدخل غرفة الجلوس. ولكن ها هي ذي تقف مصعوقة. كان فين حاملاً كتاباً في يد، وفنجان قهوة في اليد الأخرى، يفتح باب غرفته خارجاً إلى غرفة الجلوس في اللحظة ذاتها التي كانت تدخل هي فيها، إليها.

فجأة، انتبهت فابيا إلى قميص نومها القطني الرقيق وإلى شعرها المتناثر حول وجهها وعنقها مما جعلها تستعجل في الاندفاع داخلة إلى غرفتها دون تأخير.

يتقدم فين إلى الأمام، لم يكن ثمة مناص من أن يتقابلا في وسط الغرفة. وتوقفت هي مترددة، ورمقته بنظرة أدركت بها، من الدهشة التي ظهرت على وجهه، انه أساء تأويل السبب الذي جعلها تهرول إلى غرفتها لدى رؤيته. ولم يكن فين بالرجل الذي يحتفظ بأفكاره في ذهنه، إذ وضع كتابه وفنجان القهوة، فوراً على منضدة قريبة وهو يقول لها متسائلاً وقد بدا الجد على ملامحه: «هل أنت خائفة مني، يا فابيا؟»

شهقت وقد تملكها الفزع لتفكيره هذا، وقالت: «خائفة منك؟ كلا طبعاً.» ولأن إنكارها هذا لا يعطي تعليلاً مقنعاً لهرولتها هذه نحو غرفتها لدى رؤيته، فقد وقفت تواجهه

www.liilas.com

قائلة بتلعثم توضح له الأمر: «انني... أظن... ربما كان هذا خجلاً مني...»

سألها، إذ كانت تتثر، طيلة المساء دون أي بادرة خجل: «ولماذا تخجلين؟»

عادت تجيب بنفس اللعثمة: «أظن.. لا بد أن يكون هذا خجلاً... أو...» وتوقفت فجأة عن الكلام ونظرت إليه عاجزة عن الايضاح، لترى في التعبير الذي بدا على ملامحه، أنه عدا عن سروره إذ علم انها لا تخاف منه، فهو يحاول أن يفهم السبب في ذلك.

قالت وقد بدا عليها الضيق: «انني أعرف أن هذا شيء مضحك، ولكنني غير معتادة على الظهور بقميص النوم، أمام...»

لم تكن في حاجة إلى الاستمرار في الإيضاح، إذ أكمل هو حديثها رافعاً حاجبه: «أمام رجل غريب؟»

قالت تتصنع المزاح لكي تلطف من الجوّ: «حسناً... إنك لست غريباً، ولكن... طبعاً عندك فكرة عامة عن مثل هذه المشاعر...»

قال ببطء: «آه، فهمت.» وفجأة، أجفل لفكرة طرأت في ذهنه، ليهتف بكلمة بلغته ملأت الجو، ثم قال لها: «هل أفهم من ذلك أن ليس ثمة رجل، سواء كان من معارفك أم تعرفت به حديثاً قد رآك، قط، تتهيأين للذهاب إلى الفراش؟»

فهمت فابيا معنى سؤاله هذا الذي وضعه في هذا الشكل المهذب، ولكنها قالت متملصة من الجواب الذي خجلت من أن تقوله: «حسناً، أبي فقط.» ولكنها إزاء النظرة الجادة التي بدت في عينيه، لم تملك إلا أن قالت بصدق: «نعم.»

قال: «أنت، إذن بتول؟»

غمغمت محرجة: «حسناً، ليس من عادتي أن أدور لأخبر الناس بذلك، ولكن... نعم، انني كذلك.»

تمتم برقة، وقد امتلأت عيناه بالإدراك: «أوه، يا فابيا، يا حلوتي... لا ترتبكي هكذا.» ثم انحنى يقبل جبينها بتقدير.

همست وقد أثارها شيء في قبلته تلك: «أوه.» وشعرت بان قبلته تلك ما زالت مطبوعة على جبينها.

طلب منها الذهاب قائلاً بلطف: «ليلة سعيدة، يا صغيرتي.» وشعرت فابيا فجأة، وكأنها عادت إلى عالم الأحلام، عالم الأحلام الذي كان الآن هو أن تريه أنها لا تخاف منه أبداً. لقد أعطتها قبلته على جبينها الفرصة لأن تظهر له إلى أي حد لا تخاف منه.

قالت له للمرة الثانية: «ليلة سعيدة يا فين.» ولكنها هذه المرة وقفت على أطراف أصابعها ومست وجنته بشفتيها.

فجأة، رغم محاولتها الابتعاد بدا عليها أنها عاجزة عن الحراك. لقد شعرت ببساطة، أنها تريد أن تبقى بقربه. ورفع ذراعه يريد أن يرفعها عنه بلطف نحو غرفتها، ولكنه بدلاً من ذلك، وضعها حول كتفيها.

لكنها لم تبتعد لأنه لم يدفعها عنه، وإنما اشتدت ذراعه تلك حولها، فجأة ليجذبها نحوه وتطيعه هي دون مقاومة. وفي اللحظة التالية، كانت بين أحضانه.

فجأة، أطلقت صرخة ذعر: «كلا.» وتراجعت خطوة مبتعدة عنه.

في الحال، وكأنها كانت جمرة من نار، أطلقها فين من بين ذراعيه مبتعداً عنها هو الآخر، وهو يقول بسرعة

www.liilas.com

مطمئناً: «لا بأس. إنني لن أؤذيك.» وانحنى يتناول شالها الذي كان قد سقط منها ثم سلمه إليها وهو يبتعد عنها أكثر فأكثر. وبينما كانت تلتف بالشال، قال لها: «بالرغم مما حدث يا فابيا، فأنا لم أحضرك معي إلى براغ لكي أغويك.»

أجابت بسرعة وثقة: «أعلم ذلك.» ذلك أنها رغم اضطراب ذهنها وتشوشه، فقد كانت واعية تماماً لما حدث.

بدا عليه السرور لجوابها وكانت على وجهه شبه ابتسامة عندما قال: «أظن من الأفضل، يا عزيزتي أن تحتفظي بمسافة بيني وبينك قدر الاستطاعة.»

سرها هذا، وتمنت له [illegible] الرابعة [illegible] دخلت إلى غرفتها وقد شعرت [illegible] السرور [illegible] لأنه إذ أطلقها من بين ذراعيه دون احتجاج [illegible] من [illegible]ها، أخذت تفكر الآن بأنه ربما لا يرغب فيها بنفس القوة التي ترغب هي فيه.

لكن، هذا غير صحيح لأن قوله لها انها يجب أن تحتفظ بمسافة بينهما لكي لا تحدث الغواية، فهذا يعني أنه يرغب فيها حقاً.

الفصل السابع

أي شعور بالخجل قد تكون فابيا أحست أنه سيتملكها عندما ترى فين في الصباح التالي، بيد أن الخجل سرعان ما تلاشى عندما رأته حقيقة. كان يرتدي معطف حمام قصير، ومازال شعره مبللاً، وكان واضحاً أنه كان خارجاً لتوه من الحمام، عندما كانت في طريقها إلى الحمام هي [illegible] غرفة الجلوس.

[illegible] الافطار بعد نصف ساعة.»

[illegible] بالـ[illegible] كما تعلمتها من قاموس تعليم الجمل والتي تقال لمن يستيقظ مبكراً.

لم يرد عليها، ولكنها تكاد تقسم أنها، قبل أن يغلق باب غرفته [illegible] ضحكة صغيرة تصدر عنه وكأنما [illegible] أن فكرت قليلاً، قد بعثت التسلية في نفسه.

ابتسمت فابيا، لتجد نفسها تدمدم، وهي تحت الدوش، بمقاطع قصيرة من موسيقى دفوراك هاموريسك التشيكي.

لم تتأكد مما إذا كانا سيتناولان طعام الافطار في جناحه، أو حتى ما إذا كانت ستشاركه الافطار. ولكن، عندما عادت إلى غرفتها، ارتدت سروالاً وقميصاً، كما أولت شعرها الطويل عناية كافية، لتكتشف، بعد ذلك، أن الافطار قد وضع على مائدة كانت إلى جانب جدار في الغرفة، حيث فرش عليها غطاء ببياض الثلج.

lilas.com

قال فين وهو يسحب كرسياً لتجلس عليه بجانب المائدة: «هل أنت جائعة؟»

أجابت: «نعم، ولا أدري كيف أجرؤ على الاعتراف بذلك بعد تلك الوجبة الدسمة ليلة أمس.»

جلست وهي تفكر في أن منظره بالسروال البسيط والقميص والكنزة، كفيل بأن يسرع بخفقان قلبها.

قال لها وهما يتناولان الطعام: «ما الذي ستفعلينه هذا النهار؟»

ضحكت وهي تسكب فنجانين من القهوة، وأجابت: «قدر ما استطيع.»

سألها: «متفرجين؟»

أومأت برأسها قائلة: «ما هو أفضل مكان ابتدىء منه.»

ولم تكد تصدق جوابه حين قال: «سأتي معك إذا شئت.»

هتفت: «أستأتي معي؟ أوه، ولكنك لا تريد أن...» وتلاشى صوتها حين رفع حاجبه وكأنما ليس ثمة شخص يمكنه أن يخبره عما يجب أن يفعل أو لا يفعل. وحالاً قالت تعتذر: «انني آسفة.» ولكن، لأنها لم تستطع أن تصدق أنه سيجوب شوارع براغ معها، قالت له بلهفة: «أصحيح ما تقول؟»

كان في ابتسامته الجواب، وعندما قفز قلبها من موضعه، تذكرت ما سبق وقاله لها، (صدقيني، لم أكن لاصطحبك إلى أي مكان إن لم تكن تلك رغبتي.) وهذه على كل حال مشيئته هو في ما لو أراد الذهاب معها أم لا. وتأكدت من ذلك حين سمعته يتمتم: «اظنني سأجد ذلك ممتعاً.»

بعد الافطار، ارتدت فابيا كنزة خفيفة وسترة ووضعت

حقيبتها على كتفها، بينما احضر فين معه سترته. وبعد عشر دقائق، كانا يتركان الفندق سائرين معاً.

كانت براغ مدينة قديمة جداً بنيت على سبع تلال، وكان فيها أشياء كثيرة تستحق الرؤية. وكان أول ما أخذها لرؤيته هي ساحة واسعة مازالت محتفظة بشكلها من القرون الوسطى. وكان وقع اقدام السواح تتجاوب اصداؤها فوق الأرض المبلطة بالأحجار الملساء، وفي الساعات التالية، استغرقت فابيا في التفرج خاصة على القصر والمتحف الوطني للفنون الذي كان يضم الآثار الأوروبية الفنية، وكان أجمل ما رأته هي كاتدرائية «سانت فيتاس» من القرن الرابع عشر والقائمة في ساحة قصر براغ. ولكثرة ما كان يستحق الرؤية في المدينة، والذي استغرق منهما الساعات الطوال، نسيت فابيا تماماً حاجتها إلى تناول الطعام، إلى أن ذكر فين ذلك متفكهاً بقوله: «حيث أنني لم أشأ أن اقطع سرورك، بشرب فنجان قهوة، فهل تسمحين لي، والساعة الآن الواحدة وعشر دقائق، أن نأخذ فرصة نتناول فيها الغداء؟»

هتفت وهي ترى الابتسامة على وجهه: «لا يمكن أن يكون هذا هو الوقت الآن.» وعندها خفق قلبها، إذ فهمت أنه يشير بكلامه هذا إلى أنه سيرافقها في تجوالها بعد الظهر ايضاً. أضافت تعتذر: «لا بد أنك ظمآن الآن.»

قال بطريقته الجذابة: «ان ذلك كله لسبب وجيه.» ورفع ذراعه يوقف سيارة أجرة.

أوصلتهما السيارة إلى مطعم صغير بدا مزدحماً، ولكن النادل قادهما إلى مائدة بدا أن فين سبق وحجزها.

www.liilas.com

قال بعد أن جلسا: «حسناً.»

ظنت أنه يعني بذلك سؤالها عما تريد أن تأكل.

قالت: «هل تعني ماذا أريد أن آكل؟»

لكنه هز رأسه نفياً وهو يقول: «ما رأيك في براغ؟»

أجابت بكلمة واحدة: «خلابة.» وأرادت أن تستمر في الثرثرة عما رأته، لو لم يأت النادل بقائمة الطعام يسلمها لها. وتذكرت هي كلمة شكراً باللغة التشيكية فقالتها له وهي تبتسم، وعند ذلك انتبهت إلى عيني فين تحدقان فيها، فساورها لهذا، شعور غريب قررت بعده أن تحاول قراءة القائمة.

بعد عدة دقائق، قال باختصار: «ألم تقرري بعد؟»

تنفست بعمق ثم قالت: «إذا لم يكن هذا النوع ودينياً جداً فسآخذه.» وتكرت إسماً طويلاً مكوناً من أربع كلمات باللغة التشيكية دون أن يكون لديها أية فكرة عن ماهيته.

قال فين ببطء: «هذا غريب فقد كنت سأطلبه لنفسي.» ودون أن يعطيها فكرة عنه، طلبه من النادل.

سرت فابيا إذ وجدت الطعام لذيذاً جداً ومؤلفاً من لحم الغزال، والفطر.

بعد ثانية واحدة، كان اهتمام فابيا قد توجه إلى صحنها وهي تحدث نفسها أنها إذا بقيت طيلة الوقت، تحدق فيه باسمة فلا بد أن يظن أنه يتغدى مع امرأة مخبولة. ولكنها لم تتكر انها كانت تشعر هذا النهار بسعادة بالغة.

على كل حال، فقد حاولت تركيز أفكارها على مسائل أخرى، وإذ تذكرت أن فين كان قد عاد إلى ماريانسكيه لازنيه فقط ليحضر بعض الأوراق. فكرت في أن هذه الأوراق

مادامت بمثل هذه الأهمية بحيث تستحق أن يسافر أربع ساعات ذهاباً وإياباً لاحضارها، فلا بد أنه أراد تسليمها لشخص آخر. وأوشكت أن تسأله عن ذلك، لكنها أمسكت في آخر لحظة عن هذا السؤال. ذلك أن آخر ما كانت تريده هو أن يظنها تحشر أنفها في ما لا يعنيها. ولكن حيث أنها لم تره يسلم أي مغلف لأي كان، فلا بد أنه ارسل هذه الأوراق مع شخص آخر حين كانت إما في غرفتها وإما في الحمام.

سألها فين وقد اوشكا على الانتهاء من طعامهما: «ما الذي تريدين أن تشاهديه الآن؟»

فكرت في أنه من غير المناسب أن تدعه يضيع وقته بعد الظهر، في الطواف معها، كما ضيعه عند الصباح، فسألته: «أليس لديك مانع؟»

أجاب: «بل يسرني جداً.» وكان جوابه من الكياسة بحيث لم تتأكد هي مما إذا كان يقول الحقيقة.

قالت: «هناك ساعة فلكية كنت قد...» ولم تكن بحاجة إلى إكمال كلامها إذ أنه قاطعها قائلاً: «يجب علينا إذن أن نذهب إلى ستاري ميستو.»

قالت مستفهمة: «ستاري ميستو؟»

أجاب: «معنى هذه الكلمة، المدينة القديمة، وهي اقدم منطقة في براغ ويعود تاريخها إلى القرن الثالث عشر.»

كانت الساعة تقترب من الثالثة عندما انزلتهما سيارة الأجرة في المدينة القديمة، وقادها فين إلى وسط المدينة القديمة حيث، بالكاد، بقيت دقيقة واحدة لكي يمكنهما قراءة الساعة الفلكية. كانت فابيا واقفة ساهمة، غير منتبهة إلى فين الذي كان واقفاً يراقب وجهها الفاتن وليس المنظر

www.liilas.com

الذي أخذها لرؤيته، القسم الأسفل من الساعة، الميناء المستدير تظهر عليه كتابة تصف حياة القرية، ثم صور الابراج. وفوق هذا، كان قياس الوقت بالنسبة للكواكب وكذلك يظهر الكرة الأرضية والقمر والشمس بين صور الابراج. وفوقها جميعاً، كان ثمة نافذتان تفتح كل ساعة ليخرج موكب الرسل في كل نافذة. وكانت فابيا تراقب المنظر بافتتان تام عندما ظهر ديك صغير من نافذة فوق هاتين النافذتين، ليكمل الركض وهو يهز تاجه وجناحيه.

استدارت نحوه وهي تهتف: «أليس هذا رائعاً؟» وسرعان ما شعرت بقلبها يخفق بسرعة وهي ترى الرقة البالغة تكسو ملامحه وبقي لحظة يحدق فيها دون أن يتكلم. وبعد لحظة او اثنتين، ظنت نفسها مخطئة إذ أن السخرية احتلت ملامحه وهو يردد كلمة سبق وقالتها، وهي «خلابة».

هدأت خفقات قلبها، وشعرت بالسرور لمحاولته اغاظتها، فابتسمت قائلة: «شكراً لك على كل حال. لقد كان هذا رائعاً.» وظنت أنهما سيعودان الآن إلى فندقهما، ولأنها استمتعت بكل شيء إلى درجة قصوى، اضافت قائلة بصدق: «وشكراً لأخذي إلى كل هذه الأماكن.»

ولكن، كان أمامها متع اخرى حيث أنهما لم يكونا عائدين إلى الفندق، ذلك أن فين قال: «لا يمكنك أن تزوري براغ دون أن تذهبي إلى جسر تشارلز.»

قالت: «أليس هذا...؟»

لكنه هز رأسه نفياً، مثيراً رغبتها بقوله: «إنه قريب منا تماماً ونستطيع الذهاب إليه مشياً في خلال عشر دقائق.»

سألته بلهفة: «وهل سنذهب إليه؟»

نظر إلى وجهها المتشوق وهو يقول هازلاً: «طبعاً.»

شعرت فابيا بأن ذكرى عبورها هذا الجسر إلى منطقة المدينة الصغرى، مالا سترانا، مع فين، ستبقى محفورة في ذاكرتها إلى الأبد. كانت براغ مقسومة إلى نصفين. ولكن جسر تشارلز بأرضه المرصوفة بالقرميد، والذي يعلو مداخل بوابات غوتيك كان هو الأقدم بين كل ما شاهدت. ولكن ليس البرج فقط هو الذي ترك هذا التأثير في نفس فابيا، ولكن أشياء اخرى طارئة مثل الأوز في النهر، أو شعورها بيد فين على مرفقها تقودها، أو وقوفه بجانبها عند وقوفها لتراقب الرسامين وهم يعملون أو رجلاً يعزف على الكمان، أو بائع حلي رخيصة يعرض بضاعته.

عندما تركا الجسر، قال لها فين وهو ينظر في عينيها: «لا أظن ثمة حاجة لكي اسألك عن مقدار استمتاعك بكل ذلك؟»

أجابت وعيناها تتألقان بهجة: «إن كلمة خلابة لا تكفي لوصف كل تلك الأشياء.»

ابتدأت مشاعرها تتغير، وعندما وصلا إلى الفندق بعد أقل من ساعة، ووقفت في وسط غرفة الجلوس في جناحه، لكي تشكره من اعماقها، نظر إليها، محدقاً في عينيها وسألها: «هل أنت متعبة؟»

كان سؤالاً معقولاً تماماً، كما فكرت، بالنسبة إلى أنهما سارا أميالاً في ذلك النهار، ولكنها، مع هذا، لم تشعر بأي تعب. فهزت رأسها نفياً. ورفعت عينيها إليه قائلة بصراحة وبراءة: «لقد كان يوماً رائعاً.» ولكنها فجأة، عندما تسمرت عيناه في عينيها، لم تستطع أن تحول نظراتها عنه. واكثر من هذا، فقد شعرت بأنه يشعر بنفس شعورها.

www.liilas.com

لكنها، ماليثت أن اكتشفت أن كل هذه المشاعر كانت خاطئة كلياً، عندما ابتعد فين عنها فجأة، وقال لها ببرود: «إن عندي موعداً هذا المساء، هل عندك مانع من أن تتعشي بمفردك؟»

ساورتها، عندذاك، مشاعر متضاربة، ولم تعرف كيف وجدت صوتها يقول بنفس البرود الذي كان في صوته: «ليس عندي مانع طبعاً.» وتصنعت نبرة ابتهاج وهي تضيف، «لقد أكلت كثيراً في وجبة الغداء، وربما اكتفي بطلب شيء خفيف.» ثم توجهت نحو غرفتها قبل أن تخونها مشاعرها وهي تضيف: «شكراً يا فين، فقد كنت بالغ اللطف معي.»

عندما اصبحت في غرفتها، كانت ثائرة النفس.

لم تدخل غرفة الجلوس، بعد ذلك، إلا بعد أن تأكدت من خروجه، حسناً، فليمتع نفسه. إنها لن تهتم مثقال ذرة بموعده ذاك، ولا مع من قد يكون ذلك الموعد، فهي لا تغار ابداً، ولكن... من المحتمل جداً أن يكون قد ذهب إلى منزل أخيه المقيم في براغ.

وما زاد في ضيقها، أنها كان يجب أن تدرك ان الشعور المقزع الذي انتابها لحظة اخبرها بانه على موعد كان عبارة عن الغيرة... آه، انها طبعاً، لا تهتم لذلك. إنما الذي زاد في ثورتها، هو أنه، عندما سألها بلباقة عما إذا كانت متعبة، كان متوقعاً منها أن تقول بأدب، نعم. وعند ذلك، يقترح عليها الرقاد باكراً. حسناً، فليذهب إلى الجحيم. وليتجراً غداً على أن يطلب الخروج معها للتجوال في المدينة. لقد انتهى كل شيء بينهما الآن.

لم تنم فابيا جيداً، تلك الليلة. ومع أن عاد في

الساعات الأولى من صباح اليوم التالي، الثلاثاء، فقد كانت مستيقظة، وسمعت وقع خطواته عائداً.

لم تشأ أن تتناول الافطار معه. وبقيت في غرفتها طويلاً قدر ما أمكنها. ولكنها كانت قد استيقظت باكراً ووجدت البقاء في غرفتها دون أي شيء تعمله، باعثاً على تصاعد شعورها بالضيق.

تمتمت باستياء، ما اسخف هذا، واندفعت ثائرة، تتناول كيس الحمام، ثم أخذت تتنصت على الباب، وعندما لم تسمع صوتاً، خرجت إلى الحمام مجتازة غرفة الجلوس بسرعة.

بطبيعة الحال، لا بد أنه مازال يغط في نومه، بالرغم من استيقاظه مبكراً، في العادة، وذلك لكونه عاد ليلة أمس متأخراً. وكان هذا تفسيرها لعدم رؤيتها له. ولا شك في أنه كذلك، غارق في الأحلام الممتعة عن رفيقة عشائه تلك.

تباً لكل ذلك، ما لأفكارها توصلها إلى هذا الحد من الغضب؟ وفتحت صنبور الماء وقد تملكتها الثورة على نفسها، لتغرق افكارها في المياه المتدفقة.

بعد ذلك بنصف ساعة، خرجت من الحمام تلف جسدها بمعطف الحمام القطني الخفيف وعلى كتفيها منشفة وشعرها المتسدل مبلل بالماء.

شاء الحظ أن يفتح الباب المقابل ويخرج منه فين في الوقت الذي كانت تشعر فيه بأن مظهرها، بشعرها المبلل ذاك ووجهها الخالي من الزينة، هو أسوأ ما يكون.

أجفلت لحظة وهي لا تدري ما تقول. وبينما ادركت من الصحيفة التي كانت في يده، أنه لم يكن نائماً، بل كان يطالع صحيفته، أخذ هو بمنظرها المبلل هذا ونظرتها المجفلة،

www.liilas.com

ويدت عليه الدهشة هو ايضاً ليقول: «أي عروس بحر هذه، ماذا كان في امكانها أن تفعل سوى أن تضحك؟ وقالت له: «صباح الخير.» لتشعر، فجأة، بالإنتعاش يغمر نفسها، وهي التي كانت منذ لحظات تنفجر غضباً، واسرعت إلى غرفتها، وسرعان ما تناولت مجفف الشعر.

بالرغم من تصميمها السابق على عدم مشاركته طعام الافطار، فقد شعرت وهي تراه واقفاً أمام المائدة بإنتظارها، بأن تفكيرها ذاك كان مجرد تفكير طفولي، خاصة أنه قد سحب كرسياً لها لتجلس عليه.

جلست وهي تقول بأدب: «شكراً.»

سألها وهو يتناول من يدها فنجان القهوة: «ماذا بالنسبة لهذا النهار؟»

تذكرت ما كانت قد صممت عليه البارحة من عدم قبولها بما افقته لها في جولتها هذا النهار، وما صممت عليه من أن تقول له ان يذهب إلى الجحيم. وقالت متلعثمة: «انني... لن أذهب للتفرج...» لقد طغى الجانب الحازم من نفسها على كل شيء الآن.

أجاب بسرعة: «هذا حسن. انني افكر في الذهاب للنزهة بين أحضان الطبيعة الخضراء. ما قولك في العجيء معي؟»

حسناً، إن التنزه بين أحضان الطبيعة، لا يعني طبعاً الطواف والتفرج في المدينة. ليس ثمة من يقول ذلك. وأجابته على الفور: «إنها فكرة جميلة.»

اكتشفت بعد ذلك، وهي تترك الفندق، أنها لم تخطىء بهذا التصميم. ذلك أنها كانت تشعر بمنتهى الخفة والانتعاش لدرجة نسيت معها كل ما كانت مصممة عليه بالأمس من

الخروج وحدها. ولكنها قررت بالنسبة إلى الغد، رغم أنه من غير المحتمل أن يخرج معها فين للمرة الثالثة على التوالي، أن تصر على الخروج بمفردها. إنها لم تر ساحة وينسيسلاس بعد، وهذه الساحة التي أطلق عليها اسم القديس حامي مملكة بوهيميا، هي شيء لا ينبغي أن يغفله سائح زائر إلى براغ.

إذ قررت ذلك، ارتاحت نفسها، وفتحت قلبها للاستمتاع بصحبة فين في تلك النزهة.

أخذها إلى تل بيترين ومنطقة الحدائق الخضراء حيث كان هناك تلفريك صعدا فيه إلى قمة التل لترى أجمل منظر أتاه عيناها، وهتفت وهما يسيران في الدروب فوق القمة وبين اشجار البتولا الفضية، قائلة: «ما اروع ما يوحي إليه هذا المكان من الهدوء والأمن.»

قال: «لقد فكرت في أنه ربما يعجبك.» ونظرت قابيا إلى زهور الصفصاف والليلك التي كانت تبرز من براعمها. وتسارعت دقات قلبها وهي تفكر في أن فين قد أراد عمداً احضارها إلى هذا المكان، رغم انه القى اقتراحه عليها بالعجيء، بشكل عفوي.

فجأة، أخذت انظارها تتابع سنجاباً أحمر برز ليقفز إلى شجرة قريبة. وهمست مجفلة: «أوه، أنظر.» والتفتت تنظر إلى فين لتراه ينظر إليها.

قال يمازحها: «عاشقة الطبيعة أنت.» ولكنها شعرت بأنه يحمل لها تقديراً كبيراً.

بعد ذلك، ازدحم المكان بالمناظر والأصوات. حتى انها شعرت بالجو مشبعاً بعبير الأزهار، إذ كانت هناك

www.liilas.com

حديقة مغروسة بالورود، مع أن البراعم لم تكن قد تكونت بعد، ولكن منظر الأجام نفسه كان رائع الجمال. لقد كانت الخضرة في كل مكان، في المروج والأشجار، وفي الشجيرات والأدغال، بينما كان تغريد الطيور يملأ الأجواء.

كما حدث من قبل، مر الوقت دون أن تشعر حتى لم تكد تصدق عندما اخبرها فين أن عليهما أن ينزلا بالتلفريك إلى حيث يمكنهما أن يتناولا الغداء.

بدا أن نيبوزيك كان هو الموقف الوحيد للتلفريك في طريقه إلى سفح التل. فهبطا في نيبوزيك هذه، مع أنه كان عليهما، قبل أن يصلا إلى المطعم، أن يهبطا عدة درجات.

لم تكد فابيا تتذكر ما الذي تناولته في وجبة الغداء تلك. لقد غمرها، فجأة، شعور طاغ بوجود فين بقربها جعل من نوع الطعام الذي تتناوله، امراً ثانوياً.

عندما تركا المطعم، وقفا عدة دقائق يمليان النظر من مدينة براغ، في أبراج معابدها الكثيرة، وسقوف ابنيتها الحمراء، وقبابها الخضراء هنا، ونهر فلتافا بجسوره هناك وخصوصاً جسر تشارلز. ثم سألها فين: «هل ننزل بقية المسافة على اقدامنا؟»

أجابت: «نعم، من فضلك.» وسرت إذ لم يستعجلها، بل منحها الفرصة لكي تملي ناظريها من المناظر حولها قبل أن يستقرا على السفح حيث الأشجار تحيط بالمسالك، والحدائق الخضراء.

كانت فابيا تشعر بوجود فين في كل خطوة، ولكنها كانت تجاهد في أن تركز افكارها على أشياء اخرى.

ونجحت إلى حد ما، عندما وقعت انظارها على شجرة ماغنوليا قد تفتحت ازهارها بشكل يأخذ بالألباب. وفي اللحظة التالية، رأت تمثالاً لرجل يدعى كارل هانيك ماشا على قاعدة اسفل الشجرة، ولكن ما جذب انتباهها اكثر من أي شيء آخر، الأزهار المتفرقة الملقاة على قاعدة التمثال.

وقفت تسأله: «من هو هذا؟»

أجاب: «إنه شاعر، شاعر عاطفي.» ولما رأى اهتمامها، أخذ يحدثها عن أجمل قصائد هذا الشاعر وتدعى «أيار...» وسألته: «تعني شهر أيار - مايو؟»

أجاب: «هو نفسه. ذلك أن الشاعر ماشا كان يعشق جمال الطبيعة في هذا الشهر. مع أن اشعاره تتحدث عن جلال الهدوء في عشق الطبيعة، والعاطفة المحمومة في عشق الإنسان.»

بدأ شيء في اعماق فابيا، يستيقظ عند ذاك، وهي تنظر إلى فين وقد توقفت أنفاسها. ولكنها جاهدت لتقول: «ثم... هل هذا الشاعر محبوب جداً في تشيكوسلوفاكيا؟»

قال: «نعم، وعلى الأخص عند اولئك الغارقين في سحر الحب.»

شعرت فابيا بالرغبة في أن تكتشف ما إذا كان فين نفسه يعرف، أو عرف قط ما هو سحر الحب.

لكنها لم تستطع أن تسأله، وارسلت انظارها بعيداً عنه إلى حيث تلك الأزهار الملقاة على قاعدة تمثال الشاعر، ثم، وكأنما خطر لها أن تلك الأزهار ربما ألقاها بعض العشاق. حولت انظارها، مرة أخرى، إلى حيث التقتا ثانية، بالعينين الداكنتين لذلك الرجل التشيكي الغارع

www.ibtesama.com

القامة، لتدرك على الفور، لماذا توقفت أنفاسها منذ لحظات، ولماذا تشعر بتوقف أنفاسها الآن. ذلك لأنها عرفت الآن بكل وضوح ما الذي كان يعتمل في نفسها حقيقة، إنها لم تكن تشعر نحوه بالمودة، ولا الاحترام والتقدير، ولكنها كانت تحبه... بل كانت غارقة في حبه بشكل مدمر. ولكنها لم تكن تشعر بأي سحر لذلك الحب، إذ أنها لم تستطع أن تتصور بأي شكل كان، بأنه من الممكن أن يبادلها حبها هذا يوماً ما.

الفصل الثامن

مرت ساعة وساعتان وثلاث وأربع ساعات منذ اعترفت قلبيا لنفسها بحبها لفين. وكان قد دعاها إلى تناول العشاء معه تلك المساء، وقبلت هي الدعوة. ولكنها الآن، ولم يبق من الوقت سوى القليل لكي تلتحق به في غرفة الجلوس، [illegible] في غرفتها تفكر في حكمة قبولها دعوته [illegible]

[illegible] أن تتعشى معه... ولكن، تلك كانت هي المشكلة، حيث أنها كانت ستودعه نهائياً قبل نهاية الشهر، ما كان لها أن تمضي معه كل هذه الأوقات كما تفعل الآن.

لكن معرفتها بحقيقة شعورها نحوه، كانت ما تزال [illegible] ومع رغبتها في أن تكون بقربه، فقد كانت تشعر بالتوتر والرعب من أن تفضحها عيناها لدى أقل نظرة أو ابتسامة منه، ويعلم أنها لا تريد أن ترحل عنه كي لا يتحطم قلبها.

قبل حوالي دقيقة من خروجها، كانت قد صممت على أن يكون ما بينهما مجرد صداقة لا أكثر فتضع ابتسامة عادية على فمها ثم تترك الغرفة. ولكن ضميرها الذي بقي هادئاً طوال تلك المدة حيث لم يكن ثمة ما يشغله، قد بدأ الآن يتحرك فجأة لخداعها الرجل الذي تحب.

اندفعت من غرفتها والاضطراب يتملك نفسها، وكان فين يخرج من غرفته في نفس الوقت. وقالت بمودة: «مرحباً».

liilas.com
هدهودة

ثم سارت بجانبه إلى حيث المصعد، دون أن يفارقها وخز الضمير.

كيف يمكن لها أن تستمر في خداعه بينما تشعر نحوه بكل ذلك الحب؟ وكيف لا تخدعه وهناك كارا؟

سألها: «هل أنت بخير؟» لتدرك هي أن آهة يأس قد أفلتت منها.

قالت وهي تسبقه نحو المصعد: «إنني بخير تماماً.» إنها لا يمكن أن تعترف له أبداً مهما كان مقدار إلحاح الضمير والحب عليها لذلك، ستثور ثائرته بالطبع، ومعه الحق في ذلك، حتى ولو امتلكت الجرأة على الاعتراف بخداعها هذا، فإنها لن تستطيع إذ ان كارا تعتمد عليها.

كانت فابيا تجلس بجانب فين في السيارة عندما أدركت أن الهياج هو أقل ما سيصيبه إن علم يوماً أنها لم تخدعه فقط وإنما قبلت ضيافته بناء على أنها شخص آخر وهذا ما يضيف إلى الأمر إهانة شخصية له.

أفسدت هذه الأفكار شهيتها للطعام، ورغم أن المطعم كان جميلاً والطعام جيداً للغاية، فإن فابيا لم تأكل سوى القليل، كما ان حديثها كان أقل، وقد بدا عليها أنها تجاهد لكي تبدو طبيعية أمامه. ولحسن الحظ أن فين بدا لها هو أيضاً على شيء من انشغال البال.

سألها برقة بعد أن لاحظ أنها لم تكد تأكل شيئاً: «هل اللحم لم يعجبك؟»

أجابته: «بل هو ممتاز.» وشعرت أنها بحاجة إلى أن تعتذر فقالت: «لقد تناولت غداء دسماً.»

شعرت ببعض الارتياح عندما انتهى الطعام وأخذت شيئاً

من الآيس كريم اتبعته بفنجان قهوة، ليشير فين، بعد ذلك إلى النادل طالباً قائمة الحساب. كانت لا تزال تجاهد في التكيف مع هذا الحب، هذا الذي هو أكبر حدث في حياتها، ولكنها كذلك كانت تريد أن تصلح من وضعها هذا الذي انقلب رأساً على عقب والذي جعلها، في الوقت الذي كانت تريد فيه أن تمضي كل دقيقة من وقتها مع فين، إذا بها الآن تفضل أن تكون وحدها. وفعلاً، نالت مطلبها الأخير بأسرع مما توقعت، إذ ما أن أنزلهما سائق سيارة الأجرة أمام الفندق، وأوصلها فين إلى داخله حتى قال لها: «أرجو المعذرة، يا فابيا، فإن عندي موعداً مع أحد الأشخاص.» ليبتابها فجأة، شعور مؤلم لأسباب عدة.

قالت له باسمة: «بالطبع.» ولم ترض بأن يصعد معها إلى جناحه أو حتى ينتظر معها المصعد.

في الواقع بعد أن وصل المصعد ودخلت إليه بمفردها، شعرت بالإهمال تماماً منه، حسناً لا بأس فهي لم تكن رفيقة سارة على العشاء هذه الليلة. ولكنها لم تطلب منه أن يدعوها للخروج معه، بل هو الذي طلب منها ذلك.

دخلت فابيا غرفتها في جناح فين، ثم جلست على حافة سريرها، وهي تشعر بالهزيمة. وأدركت بسرعة أن الغرام هو جحيم والوقوع في الغرام هو جحيم أيضاً. لقد ثارت كرامتها وهي تفكر في أن ذلك الشخص الذي ذهب لمقابلته، لو لم يكن مشغولاً، لذهب فين ببساطة وتعشى معه. وماذا يبقى لفابيا سوى التنزه في الحدائق، والشعور بالغيرة؟

حسناً، حظاً سعيداً له... واندفعت من سريرها تأخذ روب الحمام وثياب النوم ثم تخرج ثائرة قاصدة الحمام، وكان

www.liilas.com

الليل ما يزال في أوله. مهما كانت تلك المرأة التي تتأخر في العمل إلى هذا الوقت، ومهما كان السبب الذي جعله لا يستطيع رؤيتها في وقت مبكر، وإلى الآن كانت فابيا تعتبر أن ذلك الشخص الذي ذهب فين لمقابلته هو امرأة، فقد تمنت له من كل قلبها، وقتاً طيباً...

على كل حال، بعد حوالى ربع الساعة، أمحى غضب فابيا جارياً مع ماء الدوش، لتشعر بدلاً منه بالتعاسة كما لم تشعر في حياتها. وعادت إلى غرفتها ثم أطفأت النور تاركة المصباح الخافت بجانب سريرها، ثم أوت إلى فراشها.

لم تكن تهدف إلى الرقاد، بل بقيت وقتاً طويلاً تحاول استرجاع غضبها، كانت بحاجة إلى ذلك الغضب فهو يساعدها على مواجهة الأمور، وبدونه سيغمرها الشعور بالهجران.

لم تعرف فابيا كم مضى عليها من الوقت مستلقية على سريرها وقد تملكها الشعور بالهزيمة. ولكن، ما أن أطفأت المصباح الخافت النور، وأغمضت عينيها حتى غمر اليأس نفسها، إذ عاد ضميرها يوخزها مرة أخرى، يا للتعاسة، كلا. وأخذت تتألم بصمت. وما ان ازداد وخز ضميرها حتى أصبحت في حالة يرثى لها من الاضطراب وتشوش الذهن، دفعتها نفسيتها المحطمة إلى أن تقرر الاعتراف لفين بكل شيء في أول مرة تراه فيها ولكن، هل يمكنها ذلك؟ وتأوهت وقد برّح بها الألم. ذلك أنه من المؤكد أنها هي وكارا، ستودعان تلك المقابلة مع فين إلى الأبد إذا هي تفوهت بكلمة له عن الحقيقة.

في تلك اللحظة، بدأت في الخارج عاصفة من الرعد، وأخذ المطر يضرب زجاج نوافذها، بينما تناوب الرعد

والبرق، مما جعل فابيا تجذب أغطية السرير إلى ما فوق رأسها، وبعد ذلك بوقت قصير، وكانت العاصفة لا تزال تزمجر في الخارج، وما زال ضميرها مثقلاً بحمله، راحت فابيا في سبات مقلق مضطرب.

لم يكن من المدهش أن تضطرب أحلامها، وأن يدخل فين ذلك الرجل الذي امتلأ قلبها بحبه، أحلامها المضطربة. تقلبت بقلق وهياج وهي تحلم بفين يحدق به الخطر، يجب أن تساعده. عليها أن تذهب إليه. وتحركت في نومها هائجة... ثم ابتدأت تصحو من نومها في الوقت الذي انفجر فيه فجأة صوت انزلاق عجلات سيارة على اسفلت الشارع بعد أن توقف الكابح بعنف. وفي نفس اللحظة، تصاعد صوت اصطدام معدن بمعدن، وفي اللحظة التالية كانت فابيا تقفز من سريرها قاصدة الباب. فين... يجب عليها أن تخرج لتساعد فين.

في لحظات، كانت تركض كالمجنونة نحو غرفة الجلوس، ليصفع النور وجهها فجأة فتتوقف. وطرفت بعينها لتدرك في تلك اللحظة فقط، أن فين لم يكن في خطر بتاتاً.

سألها بسرعة وهو يترك الشرفة حيث لا بد أنه كان ينظر إلى شيء في الخارج، ليتقدم نحوها: «ماذا جرى يا فابيا؟»

أخذت تتلعثم لا تدري ماذا تقول، وهي تجاهد في تمالك نفسها. لم يكن فين في خطر كما أنه لم يكن في فراشه. ولكنه كان في كامل ثيابه ولا بد أنه كان يقرأ في غرفة الجلوس، وربما قد وصل من الخارج في هذه اللحظة، عندما سمع هو أيضاً صوت اصطدام السيارة. وتمتمت: «أظنني كنت أحلم.»

هل تراه شعر بحماقتها؟ ورفعت ناظريها إليه تريد أن تعتذر

www.liilas.com

أو تقول شيئاً، وفي نفس الوقت أرادت أن تعود إلى غرفتها إذ ما زالت تملك شعوراً بالكرامة.

ما أن تقابلت عيناها المثقلتان بالنعاس، بعينيه القاتمتين، أدركت أن ليس ثمة فيهما أية إشارة إلى أن فين قد أدرك حماقتها، ولكن كان في عينيه رقة وهو يتمتم بعطف: «يا للصغيرة المسكينة.» بينما كانت يده ترتفع إلى حمالة قميص نومها التي كانت قد انزلقت عن كتفها، لتعيدها إلى موضعها.

علمت فابيا أن عليها، حفظاً لكرامتها أن تعود إلى غرفتها الآن. ولكن مجرد لمسه لذراعها بعث الإثارة في جسدها، ولكنها مع هذا أحبت فيه رقته وعطفه.

وهكذا، بينما جعلها جانب العقل فيها، تستدير بغية الرجوع إلى غرفتها، جعلها الجانب الآخر الذي شعر بالإثارة مع حبها له، تتباطأ... وإنما لحظة واحدة فقط، لتسأله بلطف: «هل كان ثمة اصطدام سيارة، أم انني حلمت بذلك؟»

أجاب: «إنه لم يكن حلماً.» وكما لو كان يساعدها على العودة إلى غرفتها، وضع ذراعه حولها، ما عدا كتفيها العاريتين، ثم توجه معها نحو غرفتها.

عادت تسأله وجسدها يرتجف للمسة يده: «أتظن أنه أصيب أحد في ذلك؟»

أجاب: «لا أظن ذلك، إذ ان سائقي السيارتين خرجا من سيارتيهما يحاول كل منهما أن يمزق الآخر إرباً.» ثم وقف أمام باب غرفتها.

كانت فابيا تعلم أن عليها الآن أن تتمنى له ليلة سعيدة، وكانت على أتم استعداد لتفعل ذلك، ولكنها نظرت في عينيه

أولاً لترى مرة أخرى تلك الرقة، وفتحت فاها ولكنها لم تتكلم. ثم ودون أن تدرك تماماً طبيعة ما جرى، مع أنها شعرت تماماً بذراعه حولها تشتد، هتفت: «أوه، فين.» لتدرك بعد ذلك أن ذراعه اشتدت فعلاً حولها. وأكثر من ذلك أن ذراعه الأخرى ارتفعت هي أيضاً ليطوقها تماماً.

تلاشى الاضطراب من نفسها ونسيت أحلامها المزعجة.

همس وهي ترتمي بين أحضانه: «فابيا.»

همست: «فين.» وكانت واعية تماماً إلى أنهما دخلا إلى غرفتها المظلمة.

كان النور من غرفة الجلوس يدخل إلى غرفتها ليخفف من عتمتها عندما جلس فين معها على السرير.

تمتم: «ما أشد رقتك وحساسيتك.»

أرادت أن تصرخ، أوه، يا حبيبي... يا حبيبي... لقد أرادت أن تكون له. ولكنها ما لبثت أن أجفلت وقد شعرت بالذعر بشكل غير متوقع، فصرخت: «أوه، كلا.» ونزعت نفسها من بين أحضانه بعنف. ولكن تصرفها هذا كان مؤقتاً إذ عادت تهمس: «إنني آسفة.» ولكن ما حدث قد حدث، وتركها فين مبتعداً عنها.

عادت تقول: «إنني آسفة يا فين.»

أطلق كلمات عنيفة بلغته، ثم قال بخشونة: «انسي ذلك.»

قالت بألم وقد شعرت بغريزتها أن ثمة شيئاً هو غير ذلك الإجفال الخجول منها: «هل تراني أخطأت في شيء؟»

قال بخشونة وهو يقف عند الباب كسدّ منع النور من التسرب إلى الغرفة: «إنني لا أحب أبداً أن تلتصق بي المرأة بهذا الشكل.»

www.liilas.com

بقيت فابيا تحدق بغباء في الباب الذي أغلقه خلفه بهدوء، وكانت تحاول أن تفهم سبب ما جرى، عندما سمعت باب الجناح الخارجي يغلق لتعلم أنه قد خرج من الفندق.

ثارت ثائرة فابيا عند ذاك، لتنتهي وقد هزتها الصدمة، إلى أنه يستطيع أن يفعل ما فعل، ويقول ما قال، ثم يرحل هكذا، بكل هدوء، هذا الخنزير القذر. هذا الجرذ، كيف تجرأ على أن يتصرف معها بهذا الشكل؟

كانت لا تزال تشعر بالثورة بينما كانت تترقب عودة فين، ومرت ساعة دون أن تسمع له حساً. ربما قد ذهب ليحتضن من هي أقل التصاقاً به. والتهبت بالغيرة والإنفعال وهي تردد حسناً، إذهب إلى الجحيم يا حبيبي. وثارت كرامتها مرة أخرى، وهي تفكر أن هذه هي آخر مرة ترى فيها فين هذه الليلة. نهضت من فراشها، ودخلت إلى الحمام تغتسل، ثم ارتدت ثيابها.

تلتصق؟ حسناً، كارا أو غير كارا... لقد حصل لها ما حصل. وأخرجت حقيبة ثيابها، وبدأت تلقي أشياءها فيها دون ترتيب بينما ثورتها تزداد اشتعالاً. إنها ستستقل أول طائرة لتخرج من هنا.

كان نور الفجر على وشك البزوغ، على كل حال. ولكن، في الوقت الذي بدأ فيه النهار، وكانت هي وكرامتها قد قررتا تماماً أنهما تفضلان إرسال فندلين غاجدوسك إلى الجحيم قبل أن تتكلم معه مرة أخرى، في هذا الوقت بدأت مفاهيم أخرى عملية تدخل رأسها.

لقد كانت حقيبتها الأخرى في فندقها في ماريانسكيه لازنيه، ولكن، إذا كانت ستستغني عن هذه فماذا بالنسبة

إلى سيارتها؟ إنها هدية والديها لها في عيد ميلادها الثامن عشر. ولا بد أن يسألاها عنها.

شعرت بالألم، وأرادت أن تلعق جراحها على انفراد بعد إذ ثار في نفسها نوع آخر من الشعور بالكرامة فهي لا تريد أن يعلم أحد، حتى ولا والداها ما تعانيه في أعماقها من ألم. وكم ينزف قلبها.

انهارت على حافة سريرها وابتدأت تدرس وضعها لعدة دقائق. لا يهم مبلغ كراهيتها للعودة إلى ماريانسكيه لازنيه، ولكن الجواب كان هو نفسه، وهو أن ذلك كان الخيار الوحيد أمامها.

ساورها شعور بالراحة لأنها لن تكون بحاجة إلى أن ترى فين غاجدوسك مرة أخرى. ولكن القدر كان يضحك حين تذكرت فجأة أنه هو أيضاً، من الطريقة الخشنة التي تركها بها، كان يقصد عدم اللقاء بها بأي شكل.

على كل حال، إذا كان الحظ إلى جانبها، فإن المرآب ربما قد اتصل الآن بفندقها ليترك لها خبراً بأن سيارتها جاهزة، هذا إذا لم تجد أنهم سلموها للفندق.

أقفلت فابيا حقيبتها ونزلت إلى ردهة الفندق لتسأل عن مواعيد القطارات. وبشيء من الحظ، يمكنها أن تكون اليوم في ماريانسكيه لازنيه. حتى ولو اقتضى الأمر أن تذهب إلى ذلك المرآب قرب فرانتيسكوفي لازنيه، فستكون أول الليل، قد عبرت حدود تشيكوسلوفاكيا في طريقها إلى وطنها انكلترا.

قبل الساعة الثامنة ذلك الصباح، كانت فابيا قد تركت الفندق إلى محطة القطار. وفي الساعة الثامنة وسبع

www.liilas.com

وأربعين دقيقة، تحرك القطار بها إلى ماريانسكيه لازنيه. لقد أتمت المرحلة الأولى من رحلتها.

كان القطار مفروضاً أن يصل إلى حيث يقصد في منتصف النهار. وهذا، منح فابيا الفرصة لتعيد التفكير في كل ما حدث مرة بعد أخرى.

لقد كانت بين ذراعي فين، ملتصقة به، يجب أن تقرّ بهذا ولكنها تحبه... بينما هو لا يحبها بالطبع، وهي طبعاً لم تتوقع منه ذلك. ولكنه لم يكن جاهلاً بمسائل العواطف، فماذا كان يتوقع؟

في الساعة [illegible] شعرت [illegible] إذ أن [illegible] استطاع أن يبلغ [illegible] ثم [illegible] بعد ذلك فجأة، وبيأس، لأنه جعلها تبدو بتلك الحماقة التي جعلتها لا تعرف أي شيطان تملكها.

حاولت أن تصرف أفكارها نحو أشياء أخرى، ولكنها وجدت أنها تعود دوماً إلى نفس الموضوع. فكر[illegible] الأشياء الأخرى التي حدثت لها منذ وصلت إلى تشيكوسلوفاكيا، ثم ركزت أفكارها على لابور الذي لم يجدها ملتصقة به كما يجب. ولضيقها، عادت أفكارها إلى فين مرة أخرى، وأدركت الآن سبب ثورتها بذلك الشكل، عندما حاول لابور تقبيلها. لا بد أنها كانت ذلك الحين تحب فين دون أن تعلم. ولكنها في عقلها الباطن، كانت تدرك ذلك.

طبعاً، لم يكن عند فين غاجدوسك مثل هذا الشعور، لا في حالة الوعي أو اللاوعي. وهو لم يهتم بها مثقال ذرة، والدليل على ذلك أنه لا بد تركها وذهب إلى امرأة أخرى

لسبب ما يتعلق بالحظوظ، كما فكرت فابيا، فقد تأخر قطارها في الوصول إلى ماريانسكيه لازنيه، وكانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة والنصف عندما استقلت سيارة أجرة إلى الفندق الذي تركته منذ... ثلاثة أيام فقط.

لو أنها لم تشعر بأنها قد دمّرت تماماً عندما عادت إلى الفندق الذي تركته يوم الأحد الماضي، فقد كانت ستشعر به الآن وهي تتقدم باسمة من موظف الاستقبال لتسأله: «هل سيارتي...؟ هل ثمة خبر لي من أي مرآب؟» لقد غيرت جملت[illegible] الذي لم تكن تراه كثيراً من قبل والذي يبدو من [illegible] تتذكرها.

[illegible] أن ليس ثمة خبر لك، يا آنسة كينغسدال.» وبينما كان يسلمها لائحة الفندق لتملأها، لاكتشفت أنها تفعل ذلك بينما كانت غائبة الذهن في مكان آخر، وعندما أعادت إليه اللائحة بعد اكمالها سألها: «كم [illegible] معنا؟»

[illegible]: «أمضي ليلة واحدة.» كانت ترجو أن لا تمكث هذه الليلة، ولكنها أدركت فجأة أنه لا بد أن يكون لها مكان تستطيع أن تلجأ إليه تستجمع فيه أفكارها.

كان أول ما فعلته، عندما وصلت إلى غرفتها، هو أنها جلست إلى جانب الهاتف وأخذت تحاول أن تركز أفكارها على ما يجب أن تقوم به الآن. كان من الضروري أن تتصل بأهلها لتخبرهم أنها لن تحضر هذا النهار. ولكن عليها أولاً، أن تعلم متى تستطيع أن تأخذ سيارتها لكي تخبر أهلها بموعد وصولها إلى انكلترا.

قررت فابيا أن تطلب معونة موظف الاستقبال لمحاولة

liilas.com منتديات

الاتصال بالمرآب. ووضعت يدها على سماعة الهاتف، وقبل أن ترفعها تصاعد رنينه.

لم تندهش حين سمعت صوت موظف الاستقبال ربما يريد أن يخبرها بأنها لم تملأ اللائحة بطريقة صحيحة. ذلك لأن وعيها كان غائباً أثناء تدوينها لها. ولكن الموظف كان فقط يصلها بلابور أوندراس سكرتير فين.

هتف: «أوه، لقد وجدتك.»

لم يكن عند فابيا أية فكرة في أن لابور يعلم بأنها كانت قد سافرت إلى براغ مع مخدومه نهار الأحد الماضي. ولكن حيث أنها لم تشأ أن تجري معه محادثة عن ذلك، إذ أنه لا بد انه حاول الاتصال بها أثناء غيابها وأخبروه أنها لم تعد موجودة، فقد فضلت أن تستنتج أنه لم يكن يعلم.

سألته ببشاشة: «كيف حالك يا لابور؟»

قال دون أن يضيع فرصة غزل سنحت له: «اشتقت إليك طبعاً.»

قالت: «إنني متأكدة من أنك لم تتصل بي هاتفياً لتخبرني بهذا.» لم يكن مزاجها يسمح لها بتقبل الغزل.

أجاب: «معك حق، طبعاً. ولو أن الحديث معك يفعم قلبي سروراً على الدوام، إن لي غرضاً من الاتصال بك الآن.» وتمنت أن لا يكون في نيته أن يوجه إليها دعوة للخروج معه، وأخذت تفكر في ما تعتذر به له، عندما تابع قائلاً: «ان سيارتك قد أحضرت إلى هنا، وظننت أنك ربما...»

هتفت هي: «هل سيارتي عندك؟» وتمتمت شاكرة حظها الذي وفر عليها عبء البحث عن المرآب، والذهاب إلى حيث هو قرب فرانتيسكوفي لازنيه. ها قد تغير حظها الآن إلى الأفضل.

قالت: «سأكون عندك الآن حالاً.» ثم أنهت المخابرة دون أن تهتم في ما لو كان يريد هو انهاءها أم لا.

بعد ذلك بسبع دقائق، وحين استقلت فابيا سيارة الأجرة، كان حماسها الحالي قد تبخر. إنها حالاً، ستترك تشيكوسلوفاكيا. ولكنها لا تريد أن تذهب، وسارت سيارة الأجرة صاعدة التل، مارة حيث تنتصب الأعمدة، وحيث النافورة الموسيقية، وعندما عاد الألم يحتل قلبها من جديد، تمنت فابيا من كل قلبها، لو تبقى في هذه البلاد حتى شهر أيار - مايو، لكي ترى النافورة وهي ترقص وتغني.

لكنها لن تكون هنا. وبينما كانت السيارة تواصل طريقها، أخذت فابيا تتمالك نفسها لتظهر البشاشة أمام لابور.

لكنها لم تكن تشعر بأي انشراح، على أي حال، عندما نزلت من السيارة أمام منزل فين. وما أن دفعت أجرة السائق وذهب هذا في طريقه، حتى وقفت عدة لحظات تنظر إلى منزل فين ترسمه في ذهنها إذ كانت تعرف أنها لن تراه مرة أخرى أبداً.

فجأة، شعرت بصوت شخص قادم، فازاحت أحزانها جانباً لتدرك أن لابور ربما خرج ينتظرها بعد أن رآها من النافذة من مكان ما. وقبل أن تستدير حول المنزل لتقابله، إذا بها ترى الكلب آزور يأتي نحوها مهرولاً كما فعل مرة من قبل، وعجبت كيف يتركه لابور طليقاً هكذا.

غمغمت بحنان: «آزور.» وشعرت برغبة في أن تلمس هذا الكلب الذي يشارك فين جزءاً من حياته، وجثمت على ركبتيها تربت على رأسه وتلامسه وهي تخاطبه قائلة:

www.liilas.com

الفصل التاسع

حاولت فابيا جهدها التخفيف من ذعرها بينما كانت ضربات قلبها كطرقات المطرقة، أتراه يعلم أو يخمن الأمر؟ هل تراها ابلت بشيء سهواً؟ ولم يكن ثمة وقت الآن لمثل هذه التأملات إذ أن فين، وقد نفد صبره، تقدم خطوة إلى الأمام مهدداً، عند ذلك اسرعت فابيا تقول: «إن اسمي هو كينغسدال.»

صرخ قائلاً: «يبدو أنك متأكدة من هذا، أليس كذلك؟»

عادت تقول بسرعة: «طبعاً أنا متأكدة.»

قفز قلبها هلعاً عندما تابع هجومه العنيف قائلاً: «هل أنت متأكدة من أن اسمك ليس السيدة بارنابي ستيوارت؟» وحاولت أن تهدىء من ثورته، ولكنها كانت تعلم أنها تحاول عبثاً، إذ أنه لم يكن ثمة حد لتجهم ملامحه وهو يقول: «سننهي هذا الحديث في الداخل.» وتمنت فابيا لو يسلمها مفاتيح سيارتها لتذهب في سبيلها، وهي تشعر أن ثمة مسؤوليات في الحياة لا يمكن ان يتجاهلها الانسان، ومنها مسؤوليتها هذه التي لم تفكر في نتائجها.

وهكذا دخلت معه ومع آزور إلى المنزل. وفي القاعة وجه أمراً إلى آزور، اندفع بعده إلى مكان ما، ثم مشى فين نحو غرفة الجلوس.

أمرها باختصار: «تعالي إلى هنا.» ثم أمسك بالباب

مفتوحاً لتدخل. ولم يكن امامها سوى أن تدخل. وعاد يأمرها بخشونة. «خذي كرسياً واجلسي.»

لكنها لم تشأ أن تجلس فقد كانت تريد أن تنتهي من الأمر. وسألته بسرعة: «كيف عرفت بذلك؟»

رد عليها بعنف بالغ: «أنا الذي أوجه الأسئلة، وليس أنت. تباً لك لاستغفالك لي. كنت مصرة على تلك المقابلة إلى حد الرضى بأن ترتكبي الفحشاء في سبيل الحصول عليها.»

انفجرت قائلة: «الفحشاء؟! هل أنت متزوج؟»

أجابها بحدة: «ليس أنا، بل أنت.»

اندفعت قائلة: «أنا لست متزوجة.» وهنا، تجلت لها الحقيقة وسبب اتهامه هذا لها. لقد ظنها السيدة بارنابي ستيوارت شقيقتها. ووضح لها هذا الأمر عندما عاد إلى هجومه العدائي عليها سائلاً: «من أنت إذاً، بحق الجحيم؟»

كان هذا سؤالاً منطقياً، وأقرت فابيا، عندئذ، أن من حقه عليها أن تشرح له كل شيء الآن، وليس لأنه يقف أمامها بملامحه المتجهمة بالعداء.

تنفست بعمق قالت: «إن اسمي هو فابيا كينغسدال، وكارا كينغسدال هي شقيقتي السيدة بارنابي ستيوارت.»

هزّ رأسه وكأنه واقع تحت ضغط فكرة ما. ثم قال بصوت اجش: «لا أظن أنني استطيع أن اشك في براءتك هذه تماماً. إن خجلك العذري عندما كنت أضمك...»

ولكن فابيا لم تكن مستعدة لسماع هذا الحديث أبداً. قاطعته قائلة: «حسناً، انني لست هنا لمناقشة هذا... هذا... انني هنا لآخذ سيارتي فقط.»

www.liilas.com

قال: «سيارتك؟»

أجابت: «نعم. ألا تعلم؟ لقد اتصل بي لابور...»

قاطعها: «أنا الذي طلبت منه أن يتصل بك.»

تمتمت: «فهمت.» بينما هي لم تفهم شيئاً، ولكنها شعرت بالسرور، إذ خرجت به من ذلك الموضوع، كيف أن عذريتها تتنافى مع اعتقاده بأنها امرأة متزوجة. وتابعت قائلة: «سيارتي فقط لأتوجه بها إلى انكلترا رأساً، ثم...»

قاطعها: «ان بروود اعصابك لا حد له، أيتها الآنسة الانكليزية. وبما انك لن تذهبي الآن إلى أي مكان، ربما في استطاعتك إذن أن تجلسي.»

وابتعدت عنه قاصدة المقعد المستطيل الذي سبق وجلست عليه في آخر مرة زارت بها هذه الغرفة، ولكنها الآن لم تكن مرتاحة كالمرة الماضية، وعندما دفع كرسياً نحوها ليجلس مقابلاً لها، شعرت بأنه لن يدعها تخرج من هذه الغرفة قبل أن تطلعه على كل شيء.

بدأت قائلة: «انني آسفة. وأنا اعلم تماماً أن أسفي هذا لن يغفر لي الطريقة التي جئت بها إلى هنا مدعية انني كارا، ولكنني حاولت قدر امكاني أن التزم الحقيقة.»

سألها: «هل أنت في الثانية والعشرين؟»

أجابت: «نعم.»

سألها: «هل أنت صحفية؟»

أجابت تعتذر: «كلا. وأنا آسفة. انني اعمل مع والدي.»

سألها: «هل ذلك في غلوسستر شاير في مأوى مؤقت للكلاب؟»

ارتاحت للطف الذي شعرت به من وراء تذكره لكل هذا.

وأجابت: «هذا صحيح. انني مستخدم، اعني مستخدمة ف
ذلك المكان.» وأضافت إذ وجدت نفسها تسرع بكلا
مضطرب: «آسفة لكوني متوترة بعض الشيء.»

قال يطمئنها: «هل ذلك بسببي؟ ليس بك حاجة لذلك. انني
لن اتسبب لك بأي ضرر.»

قالت متلعثمة: «انني... انني... أنا لم أظن بأنك ستفعل
ذلك. ولكن، ألست غاضباً جداً مني؟»

قال: «لقد كنت كذلك، ولكن ذلك كان لشيء آخر...» وسكت
فجأة، وبدا لها أنه غير متأكد مما سيقول. وفي الواقع، لم
يتابع كلامه ليخبرها ما هو ذلك الشيء الآخر، ثم سألها
قائلاً: «هل لك أن تخبريني ما الذي حدث، مهما بلغ من
السوء، وجعلك تتنحلين شخصية اختك؟»

قالت متسائلة: «تقول، مهما بلغ من السوء؟ هل كنت أنا
سيئة إلى هذا الحد؟»

أجاب: «كنت فظيعة.» ورفّه عنها شبه ابتسامة ظهرت على
شفتيه، وقال متابعاً: «اسمحي لي أن اخبرك، يا آنسة كينغسدال،
أن طريقتك للحصول على تلك المقابلة، كانت رهيبة.»

قالت: «لكنني لم أبدأ بشيء منها.»

أجاب: «تماماً. ذلك انه، تبعاً لخبرتي بالصحفيين، ليس
ثمة سؤال، مهما كان حميماً وشخصياً، لا يسعون إلى أخذ
الجواب عليه. أو أي شخص له علاقة به، لا يقحمون انفسهم
عليه. انني متأكد تماماً من أن اختك ما كانت لتضيع كل تلك
الفرص كما فعلت أنت.»

قالت فابيا: «ولكنني بالكاد حصلت على جواب واحد لأي
من تلك الأسئلة التي على القائمة.»

www.liilas.com

سألها: «وهل عندك قائمة بالأسئلة؟»

أجابت بسرعة: «نعم، قائمة طويلة اعطتني إياها كارا. إن هذه المقابلة تعني لها الشيء الكثير. لقد كنا اتفقنا، نحن الاثنتين، على أن نأتي معاً إلى تشيكوسلوفاكيا لتراك هي، ثم لنمضي نحن معاً إجازة أثناء غياب زوجها في اميركا لقضاء بعض الأعمال. وكان على كارا، بعد ذلك، أن تلحق بزوجها إلى أميركا لقضاء إجازة معه. ولكنني عندما ذهبت بسيارتي إلى لندن لنسافر معاً كما اتفقنا، وجدت أنها قد تلقت، قبل ساعة من وصولي، خبراً من اميركا يقول ان بارني مريض. وهكذا، بطبيعة الحال...»

«بطبيعة الحال، سافرت إلى أميركا لتكون إلى جانبه.»

قالت: «كنت سأذهب معها لولا أنه، كما قلت، كانت المقابلة معك تعني شيئاً كثيراً بالنسبة إليها. وهكذا، لم تستطع إلغاءها، كما أنها لم تدع صحفياً آخر من زملائها يقوم بها لأجلها.»

قال بهدوء: «وهكذا، اختارتك أنت.»

قالت بسرعة: «صدقني أنني لم أشأ أن اكذب عليك، ولكن، بالنسبة إلى أن بارني مريض، وإلى أن كارا كانت في غاية الحزن، بدا أن من البشاعة أن لا أخصص ساعة واحدة من حياتي لأعمل معها مثل هذا المعروف.»

قال: «وهكذا، وافقت أنت حتى إلى حد اتخذت اسمها.»

قالت: «صدقني، إنني لم أشأ ذلك مطلقاً. أنا لم أشأ... ولكن...»

قال: «ولكن حبك لأختك جعلك تتخلين عن صفاتك الفضلى.»

سألته وعيناها الكبيرتان الخضراوتان تحدقان في عينيه: «هل يمكنك أن تتفهم شعوري ذاك؟»

أجاب: «نعم، إذ أن ما سمعته منك جعلني أفهمك اكثر مما لو رفضت الايضاح.»

لم تستطع أن تتأكد ما يعني بجوابه هذا. لم تكن تريده أن يعلم أي شيء عنها اكثر من ذلك. قالت: «انني أعلم ما قلته من أنك أنت الذي توجه الأسئلة. ومعك الحق، ولكن... متى عرفت أنني لست صحفية؟ وأن كارا هي السيدة بارنابي ستيوارت؟ ايمكنك أن تخبرني؟»

أجاب: «منذ البداية، إذا كنت صحفية حقاً، فأنت مختلفة عن بقية الصحفيين ذوي العناد.»

قالت: «انني كشفت نفسي إذاً؟»

أجاب: «لقد سمحت لي بأن اراوغ بالجواب عن اسئلتك بسهولة. فهل من الغريب أن أشعر نحوك بالاهتمام منذ أول لحظة، تقريباً، رأيتك فيها؟»

سألته: «و... ولكن، كيف عرفت أن كارا متزوجة؟»

هزّ كتفيه قائلاً: «كان ذلك بمنتهى البساطة لقد اتصلت هاتفياً بالمجلة.»

فتحت فاهها ذاهلة إذ لم تكن قد فكرت بهذا من قبل... وقالت تسأله: «هل اردت أن تتحقق من أن شخصيتي هي حقيقة كما ادعيت؟»

أجاب: «كلا. فقد جئت وعندك الأوراق الثبوتية اللازمة مثل بطاقات أختك العملية ورسالة من مكتبي متوجة باسمي.»

سألته: «لكن، متى؟ ولماذا؟» وسكتت لا تعرف كيف

www.liilas.com

تستجمع شتات ذهنها، ذلك أنه إذا كان لم يشك في شخصيتها، كما يقول، فلماذا إذن اتصل بمكتب المجلة للسؤال عنها؟

أخذ يكرر كلامها، ولكن، متى؟ ولماذا؟ ونظر إليها طويلاً، ثم قال يجيبها: «لماذا؟ لأنك هربت مني. هذا هو السبب. لأنني وجدت أنه من الأفضل أن أتصل لأحصل على عنوان منزلك في انكلترا.»

تمتمت هي: «آه، فهمت.» ولكن الذي فهمته هو أنها حصلت على جواب سؤال كان يراودها. وهو، هل عاد الليلة الماضية إلى ماريانسكيه لازنيه قبل أن تترك هي الفندق في براغ؟ هذا السؤال قد وجدت الجواب عليه. إذ من الواضح أن معرفته بفرارها من الفندق بعد تركه لها كان يعني أنه كان ذلك الصباح مايزال في براغ، وأنه لا بد قد رجع إلى جناحه ذاك في الفندق بعد أن رحلت هي، وهذا يعني أنه عاد بسيارته إلى ماريانسكيه لازنيه حالاً بعد ذلك، ولكن اشارته الواضحة إلى أنها هربت منه، وعدم رغبتها في الخوض في النتائج والأسباب، وبما انها قدمت اعتذارها لخداعها له، وقفت فانيا، عند ذاك، وهي تمد إليه يدها مودعة وهي تقول: «لقد كنت حقاً، في غاية اللطف معي، و...»

صرخ فيها متجاهلاً يدها الممدودة: «في غاية اللطف؟ إلى أين تظنين نفسك ذاهبة؟»

سقطت يدها إلى جانبها وهي تجاهد لكي تبدو هادئة: «لماذا؟ إنني ذاهبة إلى انكلترا طبعاً. لقد انتهت عطلتي الآن في الواقع. إن والديّ ينتظران عودتي هذا النهار.»

قال: «إجلسي. يمكنك أن تتصلي بهما هاتفياً في ما بعد.»

قالت: «نعم، ولكن... اسمع...»

قال بحدة: «لا أريد أن أسمع. إنني لم انته منك بعد، وما زال هناك الشيء الكثير.»

قالت متلعثمة: «ولكن... ولكنك قلت... لقد قلت إنك لم تعد غاضباً مني.»

أجاب: «نعم، لم أعد غاضباً لأنك ادعيت شخصية شقيقتك. ليس لأن...» وسكت برهة، ثم تابع مغيراً الموضوع، ليسألها: «هل أردت العودة إلى انكلترا من دون تلك المقابلة؟» وشعرت فانيا بالألم، ولكنها رأت من الأفضل أن تبقى على هدوئها، ولكنها عرفت أن فين غير مستعد لاطلاق سراحها وهو يقول لها متحدياً: «لماذا إذاً، وأنا أعرف نزاهتك، قبلت أن تسيري في طريق الخديعة إلى أن تنالي مطلبك، لماذا؟ وهو بهذه الأهمية لأختك التي تحبين...» وسكت لحظة وقد تقابلت انظارهما ليتابع بعد ذلك: «الأخت التي أنت على استعداد لفعل أي شيء لأجلها، كما ثبت من تركك انكلترا والقدوم إلى هنا. لماذا تتركين كل هذا الآن، لتعودي إلى وطنك، دون أي تردد؟»

هتفت في أعماقها بذعر، كلا... ان كل شيء في كلام فين يوحي باقترابه من حقيقة حبها له. ومرة أخرى، قررت أن تبقى على هدوئها، ومرة أخرى، يلاحقها هو بأسئلته دون رحمة: «ماذا حدث، يا فانيا؟ ما الذي حدث ووجدته أنت أعظم من حبك لشقيقتك مما جعلك تتجاوزين عن ثقتها فيك؟»

www.liilas.com

صرخت فابيا وهي تشعر بنفسها تتمزق: «كفى...»

ولكنه لم يسكت، وتابع قائلاً: «ما هو الشيء العظيم الذي جعلك تفضلين الرحيل مع انني وعدتك بأن نتحدث في هذا الشأن و...»

قاطعته بسرعة بلهجة ملتهبة: «ألا تعتقد أن في نعتي بانني امرأة ملتصقة سبباً وجيهاً لذلك؟»

هتف فين: «أوه... لقد أذيتك... إنني اعترف بانني تعمدت أن أؤذي كرامتك... ولكن، آه، يا عزيزتي فابيا.»

لقد تلاشى الآن كل أثر للتهجم والعنف في كلامه، واقترب منها يأخذها بين ذراعيه، لتستكين هي إليه، تتنشق الدفء من جسده. وعندما بدأ الاضطراب يتسلل إلى نفسها، أخذت تقاومه لتتخلص من عناقه ذاك.

تركها هو عند أول دفعة منها له مذعورة، وهي تقول: «لا أريد منك مداواة لجرحك كرامتي. شكراً لك. يمكنني أن...»

«لم أشأ أن أؤذي كرامتك، ولكن كان علي ان افعل هذا.»

قالت: «أشكرك مرة أخرى، ولكن كلامك بأن عليك ان تفعل ذلك، يبدو غامضاً لي. ولكن هذا لا يجعلني أرى...»

قاطعها: «ألا ترين... ألا تتذكرين كيف كان الأمر؟ لقد كنت متجاوبة معي حتى دفعك الحياء إلى الابتعاد عني. وفي تلك اللحظة، علمت أن علي ان أحميك من نفسي.»

سرعان ما تبخر غضبها وسألته دون أن تفهم شيئاً: «تحميني من نفسك؟ لا أظنني فهمت شيئاً.»

أجاب: «لا يدهشني هذا، إذ لا أظنني عرفت كيف أعبر عن الأمر جيداً ولكننا، على الأقل، في امكاننا ان نتكلم في الأمر الآن بشكل أسهل مما ظننته سيكون.»

وضع يده على ذراعها، وبدلاً من أن يأمرها بالجلوس، كما فعل أول مرة، قال لها برقة: «هل لك ان تتفضلي بالجلوس؟ اجلسي وامنحيني فرصة أشرح لك فيها كل شيء.»

عادت بطوعها، إلى المقعد المستطيل الذي كانت قد قفزت من فوقه واقفة، من قبل. عند ذلك، قرّب كرسيه منها لكي يتمكن من ملاحظة أي تعبير يطرأ على ملامحها.

ابتدأ قائلاً: «شكراً يا فابيا. سأوضح لك السبب في وحشيتي تلك، انني أنا نفسي لم أكد أفهم الأمر. كل ما عرفت، في حرارة تلك اللحظة، أن علي ان أحميك من نفسي... لم أستطع أن اتصور كيف اقترب منك، ثم أرحل بعيداً.»

قالت بكبرياء: «ولكنني ما كنت لأطالبك بشيء.»

قال: «ألا تعلمين أنني كنت أعرف ذلك؟»

قالت: «ما فكرت في ذلك قط...»

قال: «وهنا المشكلة. لم يفكر أحد منا في الأمر، حتى فاجأتك لحظة الخجل تلك. لقد كان كل شيء يسير بشكل طبيعي، رائعاً، خلاباً، انما دون تفكير في ما سيتمخض عنه كل ذلك.»

أرادت أن تصرخ، آه، يا فين... لقد كان لديه نفس احساسها هو أيضاً، وتابع قائلاً: «ثم ابتدأت أكافح لكي أضبط نفسي، بينما كنت انت تحاولين الاقتراب مني أكثر فأكثر. ماذا كنت أستطيع أن أفعل سوى هذا؟ ربما لأنني لم أكن أفكر في الأمر بوضوح، سوى الاعجاب بالكبرياء التي تبدو عليك.»

www.liilas.com

تمتمت: «لقد كنت...»

قال: «آه، يا فابيا الحلوة، ليس لديك فكرة عما سببه لي هذا. لأجلك تركت ذلك الجناح في الفندق ولم أعد قبل الصباح.»

سألته: «هل بقيت طيلة الليل بعيداً بسببي؟»

أجاب: «لقد شحذت سريراً في منزل اخي. فسحة قليلة، أو حتى سجادة لكي ابتعد عنك، بالنسبة لحالتي التي كنت فيها.»

كانت اعترافاته هذه تحمل الشفاء لجروح كرامتها. وتابع هو: «هل عندك فكرة، أيتها الآنسة عما احدثه بي اكتشافي لرحيلك، ساعة عدت إلى الفندق؟»

قالت توضح له الأمر: «لقد كان عليّ اللحاق بالقطار.»

قال: «اللحاق بالقطار؟ ألا أستحق منك قطعة ورق تتركينها لي؟»

«كيف يخطر لك انني سأفعل ذلك بعد الذي قلته لي؟»

سألها: «ألن تسامحيني قط على هذا؟» وكان في صوته من الحنان والجاذبية بحيث كادت تنهار لو لم تكن جالسة. وأجابته وهي تحاول تحويل افكارها إلى ناحية أخرى: «طبعاً، ولكن كان يمكن لموظفة الاستقبال أن تخبرك بأنني أخذت سيارة أجرة إلى محطة القطار.»

قال: «لقد فعلت. ولكن، بعد أن وجدت خزانة الثياب، في الردهة خالية من كل ملابسك، مر في ذهني الكثير من الاحتمالات قبل ان يخطر لي أن أتصل بموظفة الاستقبال.»

سألته ببطء وقد تملكتها الحيرة: «هل فعلت ذلك حقاً؟»

أجاب دون تردد: «طبعاً. لقد تساءلت عما إذا كنت قد

ذهبت إلى فندق آخر في براغ، ولكن الشك تملكني بالنسبة لذهابك إلى أي مكان. ثم فكرت في احتمال ذهابك إلى ماريانسكيه لازنيه، أو ربما المطار في براغ... وتذكرت، عند ذاك، أنك تركت بعض امتعتك في ماريانسكيه لازنيه، ثم كذلك سيارتك. إذ من التاكيد انك لن تعودي إلى انكلترا من دونها. لقد علمت انني جرحت كرامتك، ولكن ذلك كان ضرورياً إذ ان رغبتي فيك أخذت تهدد بأن تتجاوز كل الأسباب. ولكن، هل كان احساسك بجرح الكرامة هذا قوياً إلى حد ان تعودي إلى انكلترا دون اجراء تلك المقابلة؟ وفكرت في ان لغتك لن تساعدك في ما لو أخذت سيارة أجرة إلى المطار أو إلى ماريانسكيه لازنيه...»

قالت: «إذاً، فقد اتصلت بموظفة الاستقبال. انني آسفة لذلك.» كانت تعتذر الآن بعد أن أدركت ان في تركها المكان دون أن تترك له ورقة، هو عدم اعتراف منها بالجميل بعد ان علمت انه، في تصرفه ذاك، إنما كان يقصد به حمايتها من نفسه.

تابعت تقول متلعثمة: «لم... لم أفكر، حينذاك، في انك ستولي امر ذهابي كل تلك الاهمية...»

هتف: «أهمية؟» وكادت تسقط عندما تابع قائلاً: «ستعلمين، يوما ما، أيتها الآنسة أن اهتمامي بك قد ابتدأ، منذ ان اضطررت للتوقف فجأة خلف سيارتك، لتحدق عيناك الرائعتان هاتان بي وتخبرني ان سيارتك لا تتحرك.»

سألته بصوت خافت: «كنت تهتم بي؟ هل تعني الاهتمام بي لكوني صحفية؟»

نظر إليها لحظة، ثم أجابها: «ربما تتذكرين انني لم

www.elias.com

أعلم سوى في اليوم التالي، أن تلك المرأة ذات العينين الخضراوين الساحرتي الجمال، والشعر الذهبي الرائع هي صحفية.»

قالت متلعثمة وقلبها يخفق بعنف: «أوه... نعم... نعم...»

قالت: «لا أفهم ماذا تعني، ولكنك كنت بالغ العداء عندما رأيتني ذلك النهار؟ وكان هذا قبل ان تعلم انني صحفية؟»

قال يشرح لها الأمر: «لقد فزعت حين رأيت أزور يهاجمك مما جعل ردة الفعل قوية نحوك فشعرت بالغضب. ولكنني لم اكن اشعر بالعداء أبداً. وكيف يكون ذلك وقد كنت صممت ان اتصل بك في فندقك، حيث انني عرفته بعد اذ اوصلتك اليه، وذلك قبل ان تحضري بنفسك إلى منزلي؟»

سألته: «أحقاً كنت ستفعل ذلك؟»

أجاب: «بالتأكيد. أليس في امر سيارتك عذر حسن للاتصال بك؟»

تمتمت: «طبعاً.» وابتسمت له لتريه انها لم تصدم بجوابه هذا.

عاد يقول: «ولكن، عندما أصبحت في منزلي، لم أعد في حاجة إلى استخدام سيارتك كذريعة لرؤيتك. وحتى بعد أن علمت أنك من أولئك الصحفيين المتطفلين الذين كنت اتجنبهم على الدوام، رغم ذلك سألتك ان ترافقيني في نزهتي تلك.»

أدركت فابيا، حينئذ، أنه إذا استمر في طريقته تلك من رفع معنوياتها تارة، وخفضها تارة أخرى، وما يتبع ذلك من اضطراب خفقات قلبها صعوداً ونزولاً، فستصاب، دون شك،

بمرض في قلبها. رغم انها تذكرت كم كانت سعيدة في أثنا تلك النزهة معه. وتساءلت عما إذا كان هذا يعني انها كانت بداية حبها له.

قالت متلعثمة: «ان... انها كانت نزهة جميلة.»

هتف: «جميلة فقط؟ لقد ادركت، عندذاك، انها كانت البداية بالنسبة إليّ.»

قالت: «كيف...» ولم تستطع ان تكمل، كان ذهنها مشوشاً وقد أضرب عقلها عن العمل.

كرر كلماتها: «كيف؟» وبدا عليه التردد، ثم نظر في عينيها مباشرة ثم قال: «لقد وجدت نفسي بعد ان عرفتك، أقوم بأشياء لم أحلم بها من قبل، وبأنها ستصدر عني. أشياء كنت اعتبرها غير منطقية. ولكن، لا شيء كان سيمنعني من القيام بها.»

همست: «أحقاً؟» كان ثمة شيء في نظرته، في انحنائه نحوها ليمسك بيدها، جعل خفقات قلبها تتسارع.

أجاب: «آه، نعم، عندما قدمت سكرتيري اليك نهار الاثنين ذاك، إلى ان سألك إذا كنت تقبلين ان يوصلك إلى فندقك، لم أكن أنا قد فكرت في الطريقة التي ستعودين فيها إلى الفندق.»

قالت تذكره: «ولكن، كان عليك ان تخرج، فاوصلتني بطريقك.»

أجاب: «لم يكن عليّ ان أذهب إلى اي مكان، ولكنني اخترعت هذه الحجة لكي اوصلك، وكما ادركت في ما بعد، لكي امنع سكرتيري من ان يوصلك بنفسه.»

فتحت فابيا فمها بذهول. لقد بعث شعورها بيديه على

www.liilas.com

يديها، الاضطراب في تفكيرها. ولكن، هل كان يعني انه شعر بالغيرة من لابور؟ وهمست: «أوه.»

قال: «نعم، أوه... لا أدري ما الذي حدث لي، إذ وجدت نفسي ادعوك إلى العشاء في منزلي رغم أنني أكره تماماً وجود الصحفيين فيه.»

كانت فابيا في أشد الشوق إلى ان تعرف ما الذي حدث له فعلاً. ولكن قلبها كان يخفق، اذ خافت من ان تسأله عن ذلك لئلا يأتي الجواب الذي قد يسبب لها الاحباط. ولكنها لم تجد مانعاً من أن تقول: «حين مررت بسيارتك إلى جانب سيارة لابور، حين كنت معه في دعوته تلك لي للغداء، ظننت من مظهر الغضب على ملامحك، انك لابد ستلغي دعوة العشاء تلك.»

قال: «كنت غاضباً فقط؟ لقد كنت في أشد الثورة.»

سألته: «هل ذلك لأنك ظننت أنني سأستغله بسؤاله عن شؤونك الخاصة لأجل تلك المقابلة؟»

أجاب: «لقد سبق وأثبت انه سكرتير جدير بالثقة بالرغم من ضعفه تجاه النساء، مهما كان جمالهن. لكنني جعلتك تعتقدين ذلك أثناء حديثك الصفيق المتواصل ذاك عن غدائك معه، عندما كنت تتعشين معي...»

قاطعته بدهشة إذ كانت متأكدة من انها لم تكن فظة ابداً: «هل قلت ان حديثي كان متواصلاً وصفيقاً؟»

أجاب: «هكذا بدا لي عند ذاك. ولكنني عرفت الآن ان ذلك الشعور الذي لم اعرفه من قبل كان شعور الغيرة.»

شهقت قائلة وقد شعرت بقلبها يخفق: «الغيرة؟ هل كنت تغار؟ تغار من لابور؟» ولم تشعر به حين انتقل من كرسيه امامها إلى حيث جلس بجانبها على المقعد ليمسك بذراعيها

بينما قلبها ينتفض بعنف، ويديرها نحوه لتواجهه، ثم حدق في عينيها وهو يعترف بقوله: «نعم، كنت أغار من لابور اوندراس دون ان أدرك كنه ذلك الشعور الذي كان يمزق نفسي، الا منذ حين.»

كانت فابيا تحدق فيه مصعوقة، عندما ترك احدى ذراعيها، ليحيط كتفيها بذراعه، وهو يحدق في عينيها قائلاً بصوت اجش: «يا عزيزتي الغالية، الا يمكنك ان تشعري بما أحس به؟»

لم تعرف كيف خرج صوتها لتهمس قائلة: «إنني لست متأكدة.» وجاهدت في ان تتمالك نفسها من ان تتهاوى لاحساسها بأن ثمة شيئاً رائعاً، في غاية الجمال، على وشك ان يحدث لها.

همس: «أوه يا ميلاكو. أنت لست متأكدة، الا تعرفين؟ الا تشعرين بمبلغ عدم تأكدي أنا الآخر؟ أريد ان تمنحيني شيئاً من الامل. أرجوك، اذ، لأنني ميلوجي تي، فقد تملكني ما لم اعرفه في حياتي قط من مشاعر الخشية والتردد.»

حاولت الكلام. ولكن كان في حلقها غصة. وشعرت بنفسها ترتجف وهو يمسكها، ولكنها حين عرفت ان بعض هذه الرجفة انما هي منبعثة عن فين، عند ذلك فقط ادركت مبلغ التوتر النفسي الذي كان يعانيه. فتغلبت على مخاوفها، لتكسر حدة توتره ذاك، وتنحنحت قليلاً، ثم همست بصوت شبه مبحوح: «ما معنى كلمة ميلاكو؟»

أجاب دون تردد: «معناها عزيزتي.»

وبينما أخذت خفقات قلبها ترتفع، اندفعت تسأله مرة أخرى: «وما معنى كلمة ميولوجي تي؟»

www.liilas.com

كان جوابه ان امسك بوجهها بين راحتيه، ثم اجاب بهدوء، والصدق ينبعث مع كلماته: «سعناها، أحبك.»

هتفت والدموع تتدفق من عينيها: «أوه، يا فين.»

همس: «يا عزيزتي.» وبينما كان يحاول ان يصدق ما تخبره به دموعها، اشتدت ذراعه حولها وهو يهمس متوتراً: «هل هذه الدموع التي تحاولين صدها، هي دموع الفرح؟»

أجابت ببساطة: «اني احبك، أنا أيضاً.»

كانت هذه هي الكلمات التي أراد سماعها. وجذبها اليه وهو يتفوه بكلام اختلطت فيه اللغتين الانكليزية والتشيكية... كانت كلمات الحب الخالص. ونظرت هي في عينيه بخجل لترى ما لم تره من قبل قط، في ملامح رجل، من امارات السعادة والبهجة، وهو يهتف: «لا يمكنني ان أصدق ذلك.» واحتضنها بقوة شعرت هي، معها، انه اذا هو صدق ذلك حقاً، فانه لن يفلتها من بين ذراعيه أبداً. وفي الحقيقة، كان تصديق ذلك صعباً على فابيا هي أيضاً.

سألها: «منذ متى أدركت انك تحبينني؟»

أجابت معترفة: «منذ أمس. عند تمثال الشاعر.»

هتف: «يا حلوتي الصغيرة فابيا.»

هتفت هي بدورها: «أوه، يا فين. وماذا عنك أنت؟»

أجاب: «لقد تأكدت من ذلك اليوم فقط. ولكنه كان موجوداً ينمو يوماً بعد يوم، لكي اراه، ولكن لم يكن لدي عينان لأرى.»

سألته بخجل: «هل كنت ترفض الوقوع في الحب؟»

أجاب: «لقد رفضت إدراك ذلك لأنني لم أعرفه من قبل. ولكنه كان موجوداً عندما رق قلبي وأنا أرى دمائتك إزاء

مديرة منزلي وابتسامتك لها. ولم لكن اعرف لماذا دعوتك إلى العشاء، انما الذي اعرفه أن تلك الدعوة لم يكن لها علاقة بالمقابلة. وفي تلك الليلة نفسها، مع انني أؤكد لك انني كنت دوماً رجلاً صادقاً، فقد حيرني ان وجدت نفسي اكذب عليك.»

سألته وقد بان في لهجتها عدم الرضى: «هل كذبت علي؟»

قال يعتذر بطريقة حوت من السحر إلى درجة شعرت فيها بقلبها يكاد يهوي عند قدميه: «سامحيني يا عزيزتي. لقد سألتني، حينذاك، عن سيارتك، فاخبرتك ان العثور على غيار لها يستلزم من الوقت اسبوعاً أو اكثر.»

سألته: «ألم يكن ذلك صحيحاً؟»

اجاب: «لقد كانت ذلك الصباح بالذات عندي هنا.» وبينما كانت عيناها الكبيرتان تتسعان دهشة تابع هو كلامه: «كانت ومازالت هنا مقفلاً عليها أمام احدى أبنيتي.»

عادت تسأله: «ولكن... لماذا الكذب؟ ألم يكن في استطاعتك...»

أكمل جملتها يقول: «لم يكن في استطاعتي أن أخبرك الحقيقة.» فأومأت برأسها بالايجاب، فقال بشيء من غطرسته القديمة: «ولماذا أفعل ذلك؟ ربما كنت سأخبرك، لو لم تدفعيني إلى الشعور بأشد الغضب لتناولك الغداء مع سكرتيري. انها الغيرة مرة أخرى طبعاً، ثم قضاؤك فترة من الوقت اثناء العشاء تتحدثين عن ذلك. وعلى كل حال وان كنت في ذلك الحين لم أكن ادرك مبلغ تأثيرك علي، الا انني لم اشأ ان اراك تذهبين بسيارتك إلى حيث لا أستطيع العثور عليك بسهولة.»

www.liilas.com

قالت له والحب يملأ عينيها: «يا لك من ماكر حقاً.»

سألها مازحاً: «أمازلت تحبينني؟»

همست: «جداً.»

همس هو أيضاً: «يا ملاكي.» ثم رجع إلى الخلف ينظر إلى وجهها المتورد الجميل. وتنهدت وهو يحني رأسه ليطبع قبلة على جبينها ثم يقول: «أليس من الغريب انني، بينما اشعر بالعناد نحو ما يحدث في اعماقي من مشاعر، لم استطع انكار ما شعرت به تلك الليلة؟»

سألته: «متى؟»

أجاب: «متى؟ في هذه الغرفة بعد ان انتهيت من اخبارك عن تلك النافورة التي ترقص وتغني. وقلت أنت، ما أجمل ذلك. ففكرت أنا في أنك اجمل مخلوقة عرفتها، روحاً وجسداً.»

تنهدت قائلة: «ما أجمل الاشياء التي تقولها.»

قال: «إنني أخبرك بالحقيقة، يا جميلتي.»

قالت وهي تجمع اشتات نفسها: «انك... لم... لم تكذب عليّ سوى تلك المرة... عن سيارتي اليس كذلك؟»

قال: «آه... حسناً، أيضاً عندما امضيت ليلة قلقة افكر فيها بك، اتصلت بك في الصباح إلى الفندق آملاً ان لا أكون قد ازعجتك.»

تذكرت حالاً، وقالت: «كان ذلك صباح الخميس.»

قال: «هذا صحيح.»

قالت: «وكان عليك ان تذهب إلى مدينة كارلوفي فاري، فدعوتني للقدوم معك.»

أجاب: «هذا غير صحيح.» وعندما نظرت اليه بحيرة،

تابع قائلاً: «لقد كنت بشوق لرؤيتك والتحدث اليك... عندما رأيت سائقي آيفو حاملاً طرداً يريد ان يرسله بالبريد إلى ابن عم زوجته في كارلوفي فاري، فقلت له انني ذاهب إلى هناك وفي امكاني ان آخذ الطرد معي فأوصله إلى المتجر الذي يعمل فيه ابن عم زوجته.»

سألته متعجبة: «ولكن، لماذا أردت الذهاب إلى تلك المدينة؟»

قال: «لأنك كنت قد ذكرت، أثناء السهرة عندي، انك تتمنين مشاهدة تلك المدينة، فاردت ان استمتع بصحبتك إليها.»

قالت: «هل سبق وقلت لك انك داهية؟»

قال: «وهل سبق وقلت لك انك جميلة؟»

قالت: «آه، يا فين.»

أحست بتوقف الزمن برهة وهي في احضانه. ثم ما لبث ان تركها فجأة وهو ينظر حوله قائلاً: «أين نحن، وما الذي كنا نتحدث عنه؟»

قالت وقد سرها ان يبدو عليه نفس تشوش الذهن الذي كانت تشعر به: «أظن، ربما كنا نتحدث عن شيء يتعلق بمدينة كارلوفي فاري.»

فقال: «آه، نعم. لقد كان ذلك الصباح، انها الغيرة مرة أخرى، عندما كنت تتناولين معي القهوة، وتجرأت على أن تأتي على ذكر رجل آخر. لقد عرفت، حينذاك، أن قراري في ارسال سكرتيري بعيداً، في عمل طارىء، كان قراراً حكيماً.»

سألته بحيرة: «لا أظنك أرسلته بعيداً بسببي؟»

www.liilas.com

أجابها بحدة دون اعتذار: «نعم، ايتها الآنسة، انك على حق.» ولكنه ما لبث ان ابتسم وهو يتذكر قائلاً: «ولكن علاقتنا قد تحسنت، بعد ذلك، أليس كذلك؟»

أجابت: «طبعاً. وكان ذلك رائعاً. لقد تناولنا الغداء في مطعم اسمه بيكوف ثم...»

قاطعها: «وعندما اوصلتك إلى فندقك، وسرت في طريقي إلى منزلي، أدركت ذلك النهار انني وقعت في شباك فتاة انكليزية جميلة وساحرة.»

عندما سكت نظرت اليه وهي تتنهد وقالت: «أوه، يا فين. لا تسكت عن الكلام.»

ابتسم، وقبلها على طرف انفها، ثم قال: «وبعد ذلك، أمضيت بقية النهار افكر فيك، ثم لم انم تلك الليلة إلا قليلاً لكثرة تفكيري بك.»

قالت بوجه مشرق: «إنني آسفة لأجلك.»

قال ضاحكاً: «يبدو عليك الاسف فعلاً، وعند الصباح، قررت ان أرحل إلى براغ.»

سألته: «لا أظن ذلك بسببي.»

أجاب: «طبعاً هو بسببك.»

سألت: «لماذا؟»

أجاب: «لماذا؟ لأنه في اي وقت آخر كنت استطيع السيطرة على مشاعري، ولكن هذه المرة ولسبب لم اعرفه ذلك الحين، وجدت الأمر مختلفاً بالنسبة اليك.»

قالت بعد تفكير: «هل ذلك بسبب المقابلة؟»

قال: «في الحقيقة، موجي ميلا...»

سألت: «وما معنى موجي ميلا هذه؟»

أجاب: «معناها يا عزيزتي.»

تمتمت بسعادة: «شكراً. لقد كنت في غاية الصدق.»

قال: «لكي اكون صادقاً، يجب ان أقول انه لم يكن ثمة أهمية عندي لتلك المقابلة. المهم عندي هو الحاجة إلى اطاعة غريزتي في الابتعاد عنك.»

سألته: «هل كنت... خائفاً؟»

قال: «ولِمَ لا؟ إنني لم أشعر قط من قبل بمثل تلك الاحاسيس القوية التي تدعى الحب؟ هذه الأحاسيس التي دفعتني إلى ان اسهل عليك أمورك وما قد يعترضك من مشكلات، وذلك باعطاء ارشادات إلى لابور...»

قالت تغيظه: «عن سيارتي؟»

أجاب: «ذلك امر مختلف، لقد كنت متأكداً من ان لابور عنده من العمل ما يشغله في عطلة الاسبوع تلك وأنه ليس ثمة ما يدعوك إلى الاتصال به، طلبت من لابور اوتدراس ان يقدم إليك اية مساعدة في ما لو اعترضتك مشكلة.»

قالت: «ولكن بشرط ان يبقى ذلك محصوراً في مسائل غير شخصية.»

قال فين: «آه.» وسكت برهة، ثم عاد يقول: «لم لكن اعلم انه اخبرك بذلك. لقد كانت غيرتي، مرة اخرى، تعمل عملها بالطبع.»

قالت: «آه يا فين. لقد ظننت انا، عند ذلك، انك لا تثق بي في انني لن أسأل لابور اسئلة شخصية عنك لاكتب المقابلة.»

تمتم: «يا للعزيزة الحلوة.» وهزّ رأسه وهو يتابع ساخراً من نفسه: «وقد ظننت انني، بابتعادي عنك إلى براغ، سأستطيع أن أتخلص من تأثيرك عليّ ونبذك من تفكيري.»

www.liilas.com

قالت: «ولكن ذلك لم يكن بوسعك إذ أنك اتصلت بي في المساء التالي من براغ. لقد ظننت ان اتصالك بي كان بشأن تلك المقابلة البغيضة. ولكنك كنت ذا مزاج سيىء...» وسكتت فجأة عندما رأت حاجبه يرتفع. وأدركت في الحال ان له عذره اذ انها هي ايضاً لم تكن ذات مزاج حسن اثناء تلك المخابرة.

ولكنه لم يقل شيئاً، بل رسم على شفتيه ابتسامة مصطنعة، ثم سألها: «ولماذا لا أكون سيىء المزاج؟ لقد اتصلت بك فقط لكي اسمع صوتك. فماذا وجدت من وراء ذلك الضعف الذي ألجأني لذلك؟ وجدت ان ذلك الصوت لم يضع الوقت، بل اخبرني تواً انك تعشيت مع سكرتيري.»

سألته بلطف: «آه، يا عزيزي، أهي الغيرة؟»

أجاب معترفاً: «نعم، انها الغيرة، وكان ذلك لم يكن كافياً، حتى وأنا أدرك انني أحمق، اذ اغضب للصداقة التي يبدو انها تتقدم بينك وبين سكرتيري، فاذا بك تأخذين كلبي، حيث انك لا تخافين منه، تأخذينه في نزهة ذلك النهار، وبدا لي انك استوليت على الكلب أيضاً، عند ذلك قررت ان الوقت قد حان لعودتي.»

قالت: «ولكنك عدت لتأخذ بعض الأوراق؟»

أجاب: «لقد كذبت عليك.»

هتفت فجأة، بملء فمها: «آه، أيها الماكر. لقد سألتني ايضاً ما اذا كان المرآب قد اعاد إلي سيارتي بينما هي موجودة عندك طوال الوقت.»

قال: «وفي الوقت الذي كنت افكر فيه في كيفية ابعادك عن طريق سكرتيري، ذكرت انك تريدين السفر إلى براغ، فوجدت هذه فكرة ممتازة.»

قالت: «وهكذا صممت على ان تأخذني معك عائداً إلى براغ.»

قال: «طبعاً، وهكذا غرقت في حبك اكثر فاكثر. تغدينا معاً، وتعشينا معاً، وراقبت بهجتك البريئة بينما كنت تراقبين تلك الساعة الفلكية، وعندما اخذتك بين ذراعي في المرة الأولى، ووجدت في نفسي تلك الرغبة نحوك، فكرت في اننا يجب ان نخرج من ذلك المكان ونعود تواً إلى ماريانسكيه لازنيه.»

قالت: «ولكنك لم تفعل.»

هز رأسه قائلاً: «ظننت ان في استطاعتي ان ادير الأمور بحكمة. ولكن، عندما عدنا في اليوم التالي من الطواف في الغابة، ونظرت في عينيك شعرت بنفسي اغرق. وكانت الطريقة الوحيدة لأحميك في ذلك المساء، هو أن ابتعد عن المكان.»

قالت: «لقد قلت، ذلك الحين، ان عندك موعد.»

قال: «ها انك تذكرت كل شيء.»

قالت ببساطة: «لأنني أحبك.»

تنهد فين وهو يهمس: «يا حبيبتي الغالية.» وأخذها بين أحضانه لفترة طويلة تملؤها السعادة.

قالت: «هذا مما يعزيني جداً، إذ كنت أنا في منتهى الغيرة عندما خرجت لموعدك ذاك تلك الليلة.»

هتف وهو يعود برأسه إلى الخلف ليتمكن من النظر إلى وجهها: «هل كنت حقاً كذلك؟»

ابتسمت قائلة: «نعم، ولكنني انكرت ذلك بيني وبين نفسي، طبعاً.»

www.liilas.com

قال: «طبعاً. وأنا طبعاً، لم اكن على موعد مع أحد ذلك المساء.»

هتفت وقد اكتنفها السرور: «أحقاً؟»

أجاب: «نعم. لقد أردت ان ابقى معك، ولكن، حباً بك، كان عليّ ان ابتعد. على أن لا أعود إلا بعد ان تكوني في فراشك آمنة، دون اي اغراء لي.»

نظرت فابيا اليه بصمت، بينما تابع قوله: «ثم الليلة الماضية، بعد يوم رائع، خرجنا لتناول العشاء، وبدأت اعترف لنفسي انك بدأت تدخلين حياتي.»

تمتمت بسعادة: «لقد بدوت لي فعلاً، مشغول البال.»

قال وهو يضع أصبعه على طرف انفها: «وأنا رأيتك باردة المظهر والتصرف احياناً.»

قالت: «إنني كنت حديثة الاعتراف لنفسي بانني أحبك، وهذا جعل ضميري متعباً بسبب تلك المقابلة البغيضة التي وعدت كارا بها، ولكوني انتحل شخصية شقيقتي، كان في ذلك ما يضغط على اعصابي ويرهقني نفسياً.»

همس: «آه، يا حبيبتي الصغيرة.» وعرفت من صوته المحب انه سامحها، وتابع قائلاً: «لا أدري تماما كيف أخبرك بهذا...»

سكت برهة، ثم وجد ان لا مناص من أن يخبرها بالأمر، فتابع يقول، مما أصابها بصدمة عنيفة: «الحقيقة، يا عزيزتي، هي انني لم أعد أحتك قط بمقابلة، كلا. ولا لأي شخص من مجلة الحقيقة.»

شهقت قائلة: «لم...لم تفعل؟»

أجاب: «لو كنت قد فعلت ذلك، لكنت في ذلك اليوم المعين في منزلي تحقيقاً لوعدي.»

جاهدت فابيا لتستعيد أشتات نفسها وهي تقول: «ولكن... كارا وصلتها رسالة منك... إنها...»

فقاطعها قائلاً: «لقد تلقت رسالة من ميلادا بانكراكوفا وعليها توقيع باسم ميلادا بانكراكوفا، ولكن...»

قاطعته: «ولكنك لم تملها عليها!»

أجاب: «أعتقد ان تلك الرسالة كانت آخر عمل لها قبل ان تترك خدمتي.»

قالت فابيا: «إنك طبعاً طردتها من العمل.»

قال: «لم يكن عملها كما يجب. وعندما سمعتها تستعمل كلمات بذيئة في مخاطبة مديرة منزلي، كما انها كانت بالغة الخشونة مع آيفو، قررت أنني لم أعد أستطيع احتمال تلك المرأة.»

قالت: «وهكذا طردتها على الفور.»

قال: «لقد منحتها فرصة ساعة واحدة لاخلاء مكتبها. وفي هذه الساعة، كتبت إلى شقيقتك رسالة تعطيها فيها موعداً لتلك المقابلة في حين انها تعرف جيداً انني لا أعطي مقابلات لأحد.»

هتفت فابيا: «تباً، لم يكن ذلك عملاً حسناً منها.»

قال: «وهو أحقر عمل سمعت به.» وابتسم فين وهو ينظر إليها بحب، ثم تابع: «ليس فقط بما كان سيسببه لشقيقتك من ازعاج بالغ، اذ لن يكون بامكاني رؤيتها لو كانت الأمور قد سارت حسب البرنامج ذاك...»

قالت: «ألانك كنت في براغ؟»

قال: «لم يكن في برنامجي الذهاب إلى براغ، ذلك الحين اذ، حسب توقعاتي، كان كل اهتمامي سيتركز على انهاء

www.liilas.com

الفصل الأخير من كتابي... وفي هذا الوقت، كما كانت تعلم ميلادا بانكراكوفا، لم يكن في امكاني مقابلة احد على الاطلاق. ولكن الذي لم تعرفه، طبعاً، انني انهيت كتابي قبل الموعد المقرر في البرنامج ببضعة أيام. وهكذا، عندما جئت أنت، متنكرة بشخصية شقيقتك.» وابتسم لها برقة، وهو يتابع: «لم أكن أنا موجوداً.»

اتسعت عينا فابيا ذهولاً عندما استوعبت ما أخبرها به فين. وقالت: «أتريد ان تقول انك، لم تعرف بأمر تلك المقابلة الا بعد أن أريتك رسالة ميلادا بانكراكوفا إلى كارا؟»

أجاب: «أخشى ان الأمر كذلك.» وأضاف قبل ان تشعر بالاحباط والمذلة. «ولكن، هل اخبرتك عن مقدار سعادتي، روحاً وقلباً، بمجيئك؟»

تنهدت هامسة: «آه، يا فين.» وابتدأ ذهنها يعمل بعد لحظات، لتقول: «وهكذا، لم يكن لابور يغيظني عندما أبدى دهشته لأنك وافقت على المقابلة، حيث انه يعلم انك لم توافق.»

أومأ فين برأسه وهو يقول: «عندما عدت إلى منزلي، بعد ان أوصلتك إلى فندقك ذاك، يوم الاثنين، طلبت منه ان يحضر إلي كل المراسلات التي تتعلق بمجلة الحقيقة منها واليها، ولكنه لم يجد شيئاً.»

سألته: «هل أتلفتها ميلادا بانكراكوفا؟»

أجاب: «يبدو ذلك.»

فكرت فابيا، ما أسوأها من امرأة، ولكنها ما لبثت ان تذكرت شيئاً، فقالت: «ولكن لابور أخبرني أن المقابلة كانت

مسجلة في مفكرة المكتب عندك، ولم ينظر اليها احد. انني متأكدة من قوله ذاك.»

أجاب فين: «ألم أقل لك انه سكرتير مثالي؟ إن شهادته تنبعث من ولائه الكبير.»

أخذت تفكر في كل ما قامت به ميلادا بانكراكوفا لكي تعسر الأمور أمام فين. ثم هتفت: «حسناً، بينما أنا، في براغ، كنت أظن انك لا تريد الحديث بشأن تلك المقابلة لأنك كنت قد ارهقت نفسك في العمل دون راحة.»

قال بلطف: «إن لديّ طاقة كبرى لاسترداد قواي بسرعة. وبمناسبة العودة إلى ذكر براغ، يحسن بي ان أوضح لك أنه، عندما رجعنا إلى الفندق بعد العشاء، الليلة الماضية، وقد تصاعد شعوري نحوك إلى درجة الغليان، كان عليّ ان اخترع فكرة ان ثمة من يتبعني ان أراه.»

قالت: «تخترع؟ ألم...»

قال: «لقد كنت في حاجة إلى بعض الوقت أقضيه بمفردي لأستجمع شتات نفسي، فقد كنت تحيرينني.»

قالت بمكر: «إنني مسرورة. لقد ذهبت إلى فراشي شاعرة بالتعاسة ووخز الضمير لتحمل إليّ ذنوبي حلماً مرعباً بأنك في خطر. وكنت شبه نائمة عندما اندفعت من سريري إلى غرفة الجلوس لكي أساعدك.»

هتف مسروراً: «أردت ان تساعديني؟ لقد كنت حقاً في حاجة بالغة إلى من يساعدني، عندما عدت في ضوء النهار إلى ذلك الفندق لاكتشف انك رحلت بالقطار إلى ماريانسكيه لازنيه.»

سألته بأدب: «وهكذا... لحقت بي!»

www.liilas.com

أجاب: «حتى في ذلك الحين، لم يخطر في ذهني سبب تصرفي ذاك. لقد قدت السيارة بسرعة جنونية حتى وصلت إلى هنا قبل وصول قطارك بساعة، الذي تأخر هذا اليوم دون سائر الأيام.»

سألته: «هل علمت بتأخره؟ هل اتصلت بالمحطة؟»

أجاب: «اتصلت بالمحطة، بفندقك، بانكلترا... لقد كنت كتلة من الحركة والتوتر والخوف؟»

اتسعت عيناها وهي تسأله: «الخوف؟ ولِمَ؟»

أجاب: «الخوف من ان تتركي تشيكوسلوفاكيا دون العودة إلى فندقك. للمرة الأولى في حياتي أفكر بشكل غير منطقي... إذ لماذا تستقلين القطار إلى ماريانسكيه لازنيه لتسافري منها إلى انكلترا بينما باستطاعتك السفر من مطار براغ بسهولة؟ لقد اكتشفت ان الحب لا يخضع للمنطق.»

قالت وهي تستمع إليه بسعادة: «انك، إذاً، لم تستطع التفكير منطقياً؟ وهكذا...»

قاطعها قائلاً: «وهكذا زاد هياجي، اذ انني لا أعرف عنوانك في ما لو سافرت إلى انكلترا.»

قالت: «هل كنت ستتصل بي إلى انكلترا؟»

أجاب دون تردد: «طبعاً. وهكذا اتصلت بفندقك، وبينما كنت أصرّ عليهم بأن يخبروني حال وصولك دون ان يعلموك بالأمر، دخلت انت في تلك اللحظة إلى الفندق...»

شهقت قائلة: «هل أخبرتهم بأن يتصلوا بك؟»

أجاب: «بالتأكيد، كما انني طلبت عنوانك في انكلترا، في نفس الوقت.»

هتفت هي: «تباً!» لقد ادركت الآن فقط مبلغ حالة التأثر التي كان يمر بها.

عاد يقول: «ولكن الحمقى، كما ظننت حينذاك، قد اعطوني عنواناً لك في غلوسسترشاير بينما أردت عنوانك في لندن.»

قالت: «لقد كنت على وشك العثور عليّ.»

قال: «لقد كنت موشكاً على الخبل. لقد كان من عادتي، في عملي، ان أمحّص الحقائق مرتين. وهكذا تذكرت، ما قاله لابور من ان عنده بطاقتك العملية على مكتبه.»

قالت: «يا للعجب. أما زال محتفظاً بها؟»

أجاب: «نعم، بحجة اعادة القلم الذي نسيته كارا خلفها حين جاءت أول مرة لأجل المقابلة، والذي ربما كان له قيمة عاطفية. وهكذا اتصلت بالمجلة.»

قالت: «ثم أعطوك هم عنوان كارا في لندن.»

قال: «ليس هذا فقط، ولكن المرأة التي تحدثت معها، وكان يبدو عليها الرغبة في ارضائي، كما ظننت، نصحتني أنّ من الأفضل ان أرسل امتعة كارا إليها باسمها الزوجي وليس المهني وذلك لضمان وصولها. وهكذا اعطتني اسمك الزوجي.»

تمتمت قائلة: «يا للعون!»

قال موبخاً اياها برقة: «يجب ان تخجلي من نفسك، فقد مررت بالجحيم نفسه عند ذاك. كنت اهتز من الصدمة. وكررت (متزوجة؟) ولأخفي ذهولي وجدتني أقول، انها تبدو اصغر من ان تكون متزوجة، ولكن المرأة التي كانت تحدثني أجابت: «ان كارا ستقتلني إذا أنا أخبرتك بانها

www.liilas.com

ستبلغ التاسعة والعشرين في آب المقبل. وأنا أعرف ذلك لأنها تشاركني نفس تاريخ الميلاد.»

«لقد سبق وأخبرتك انني في الثانية والعشرين.»

قال: «كنت واثقاً من أنك لم تتجاوزي التاسعة والعشرين. ولكن كل شيء كان يتفجر حولي، ولم أكن قد تمالكت نفسي. بعد حين، اتصلوا بي من فندقك يخبروني بوصولك.»

قالت: «ثم طلبت من لابور ان يتصل بي ليخبرني ان سيارتي قد احضرت إلى هنا.»

قال: «لم أكن في حالة تسمح لي بأن أتحدث إليك. هل عندك فكرة كم من الوقت امضيته في انتظار وصول سيارة الأجرة التي تقلك؟»

قالت: «هل علمت [illegible] حبيبي؟»

قال: «لقد عرفت [illegible] من اللحظة التي وضعت فيها السماعة بعد انتهاء اتصالي بانكلترا. لم أعرف فقط، انني أحبك بكل جوارحي، بل أيضاً علمت انني لا يمكن ان أحتمل رؤيتك متزوجة من رجل سواي.»

أجفلت قائلة: «أوه.»

سألها بسرعة مفاجئة: «إنك تحبينني، أليس كذلك؟»

أجابت: «طبعاً، أحبك كثيراً.»

ابتسم برقة قائلاً: «لقد شككت بالامر حين رأيتك على وشك مغادرة البلاد دون ان تحققي وعدك لأختك التي تحبينها كثيراً. فتجرأت على التفكير بانك لا شك هاربة مني لأنك تحبينني، وهذا الذي جعلك تشعرين بكل ذلك الالم لأنني جرحتك بتلك الكلمة التي اتهمتك فيها بانك تلتصقين بي.»

همست وهي تهتز: «انك ذكي جداً.»

قال: «أخرجي اذن ذلك الرجل الذكي من تعاست
واخبريني، هل تتزوجين مني؟»

هتفت وهي لا تكاد تصدق ما سمعت: «هل انت متأكد مم
تقول؟»

قال: «لم أكن في حياتي كلها، متأكداً من شيء كما أن
متأكد الآن. تزوجي مني يا فابيا. دعيني اسافر معك إلى
انكلترا لأرى والديك، واعطي اختك تلك المقابلة التي جعلته
ترسلك إليّ ثم...»

قاطعت: «[illegible] تعطي كارا تلك المقابلة؟»

أجاب: «[illegible] شيء لا أفعله لأجلك يا فتاة.» وذكرها
بما [illegible] قالته له مرة في ذلك المطعم، بيكوف.
وهو، أعطني جواباً مباشراً لسؤال مباشر. هل تتزوجين
مني؟»

صرخت: «آه، يا عزيزي فين، نعم.»

قال: «[illegible] اً، شكرك، يا حبيبتي، سنتزوج حالاً. لا
استطيع الانتظار طويلاً لكي آخذك إليّ وأضمك بين
ذراعي.»

تمت

liilas.com
هدهودة